

وليم شيكسبير

////////////////////

مأساة الملك

# ريتشارد الثاني

ترجمة وتقديم

محمد عناني

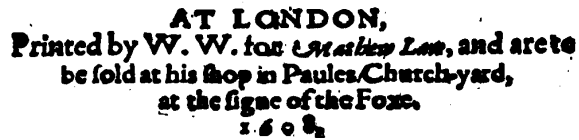


الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

With new additions of the Parlia-  
ment Sceme, and the deposing  
of King Richard.

*By William Shake-speare.*



صفحة الغلاف لطبعة الكوارتو الرابعة وتتضمن الإعلان  
عن إضافة مشهد خلع الملك (وتعرف الطبعة باسم نسخة مالون).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





### تصدير

هذه هى المسرحية السابعة للشاعر الانجليزى وليم شيكسبير التى أقدمها من خلال الهيئة المصرية العامة للكتاب بعد تاجر البندقية (١٩٨٨) ويوليوس قيصر (١٩٩١) وحلم ليلة صيف (١٩٩٢) وروميو وجوليت (١٩٩٣) والملك لير (١٩٩٦) وهنرى الثامن (١٩٩٧) وهى مصحوبة بمقدمة وافية عن المسرحية والاتجاهات النقدية لتناولها حتى أواخر القرن العشرين .

وقد رأيت ألا أرفق قائمة للحواشى بهذه الترجمة ، اكتفاء بالمقدمة وبيعض الهوامش المحدودة التى لم أجد مناصاً من إدراجها ، وأرجو أن يكون ذلك كافياً للقارئ العربى ، فأنا أعرف من خبرتى أن القارئ نادراً ما يرجع إلى ثبت الحواشى فى ذيل الكتاب ، اكتفاءً بهوامش النص .

وأود فى هذا التصدير أن أعرب عن شكرى وامتنانى لصديقى ماهر البطوطى الذى أمدنى بأربع طبعات حديثة للمسرحية ، وبكتاب تاريخى مهم أفادنى فى تفهم النص وفى كتابة المقدمة ، ولتلميذى السابق الدكتور سعيد العليمى ، مدرس الدراما بجامعة طنطا ، الذى أمدنى بكتب كثيرة عن لغة شيكسبير ومشاكلها ، وللدكتور ماهر شفيق فريد الذى قرأ النص المترجم

بعناية، وفحص المقدمة ونبهني إلى ما كنت أغفلته ، وأخيراً وليس آخراً إلى الفنان فاروق الدمرداش الذي 'كلّفني' بترجمة هذا النص الشيكسبيري الصعب لتقديمه إلى الإذاعة البريطانية ، بعد أن قدم أربعاً من ترجماتي الشيكسبيرية السابقة ، فكان في ذلك خير تشجيع لي على العمل .

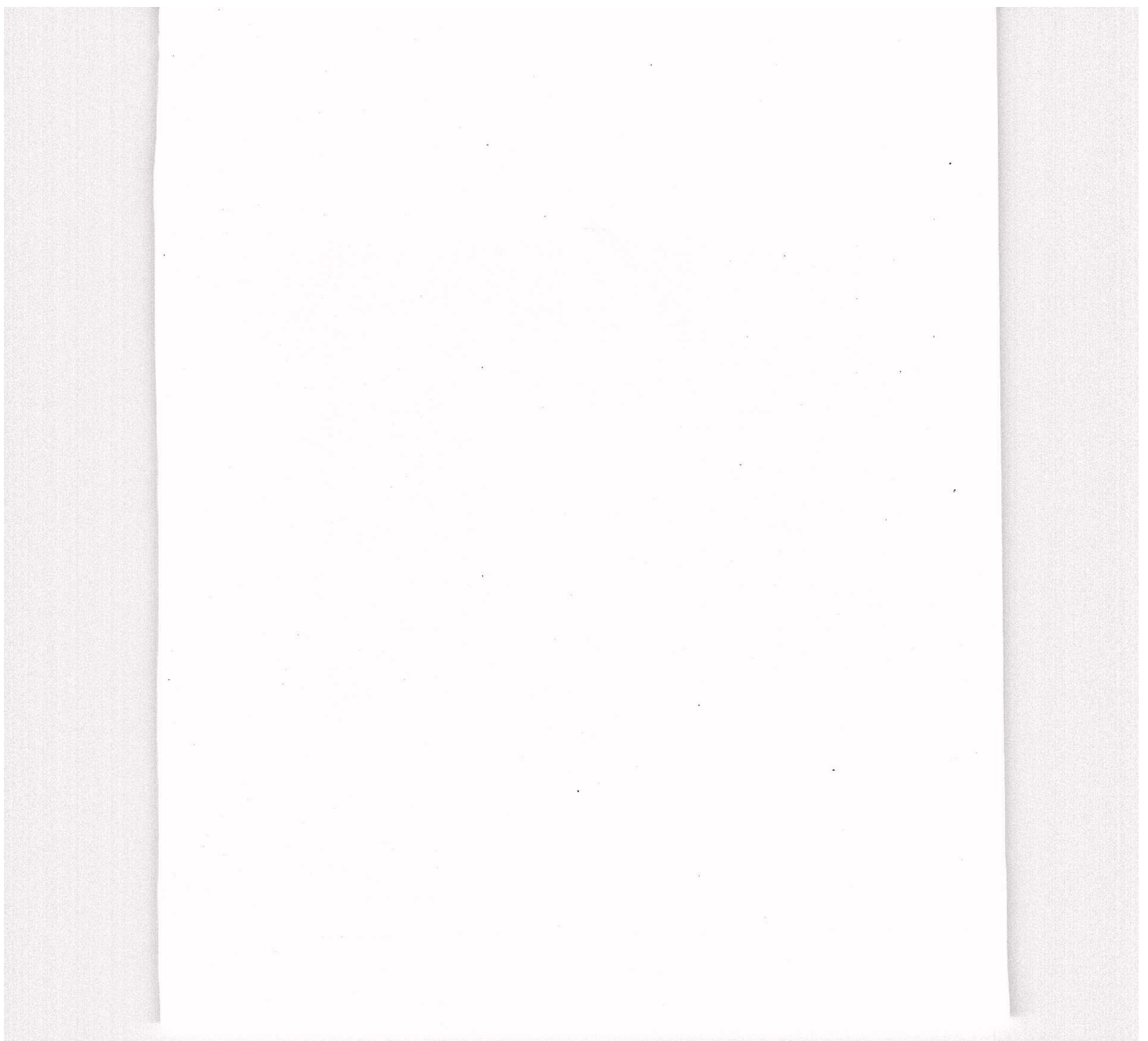
والله ولي التوفيق

**محمد عناني**

**القاهرة - ١٩٩٨**

(٢) صورة الملك ريتشارد





### المقدمة

أصبح لزاماً على كل من يتصدى لدراسة عمل أدبي تاريخي ، رواية كان أم مسرحية أم قصيدة ، أن يأخذ في اعتباره المناهج الطريفة التي أتت بها 'النظرية النقدية' الجديدة ، سواء كان يقبلها أم يرفضها ، فالوعى بهذه المناهج لا مناص منه حتى ولم يطبق الدارس أيًا منها - وأهمها هنا بطبيعة الحال هو ما يسمى بالمدرسة 'التاريخية الجديدة' New Historicism تمييزاً لها عن المدرسة التاريخية التقليدية . وقد سبق إيراد تعريف موجز لهذا المصطلح في المصطلحات الأدبية الحديثة ( محمد عناني ، القاهرة ، لوانجمان ، ١٩٩٦ ) ( ط ٢ - ١٩٩٧ ) دون تطبيقه على عمل معين ، ولا شك في أنه ما يزال غامضاً في أذهان الكثيرين . ولذلك فربما يكون من المفيد في هذه المقدمة أن نحدد ملامحه بإيجاز قبل التعرض للمسرحية من شتى وجهات النظر ، ومن بينها وجهة النظر التي تمثلها هذه المدرسة .

وقد يكون من المفيد لدارس الأدب العربي أن نقول له إن هذا المنهج ليس جديداً باعتباره منهجاً علمياً بالمعنى الدقيق للكلمة ، فلقد استعان به الكثيرون من أبناء القرن العشرين في مصر ، وعلى رأسهم العقاد وأحمد أمين ، في

تناولهم للأعمال والشخصيات الأدبية ، وإن لم يطلقوا عليه أى اسم ، كما استعان به طه حسين فى عدد من أهم دراساته ، فهو منهج يقول ، إن شئنا الإيجاز ، بأن العمل الأدبى لا ينفصل عن إطاره التاريخى ، ولا سبيل إلى تفهم العمل الأدبى تفهماً كاملاً وصحيحاً ، دون أن نأخذ فى اعتبارنا تفاصيل هذا الإطار ، وأما مصدر 'الجدّة' فهو الصبغة الأيديولوجية التى يصطبغ بها ، وأنا استخدم مصطلح الأيديولوجية هنا عامداً لأشير إلى ما يدعيه أصحاب 'المدرسة' لأنفسهم من حياد وموضوعية بسبب أخذ 'كل شئ' فى الاعتبار ، وخصوصاً ما يزعمونه من السبق إلى مراعاة العوامل الاجتماعية ، وإن كانوا فى ذلك مسبقين ، بعد صبغها أو تلوينها بلون سياسى واقتصادى ، يشبه إلى حد كبير اللون الماركسى البريطانى الذى يتميز بوضع جميع تلك العوامل فى إطار شامل كبير يُطلق عليه تعبير 'الثقافة' .

وهنا لابد من وقفة ثانية عند مسائل المصطلح ، فقد درجنا على ترجمة كلمة method الانجليزية ونظائرها فى اللغات الأوربية ، وبخاصة الكلمة نفسها بزيادة حرف [e] فى الألمانية والفرنسية بكلمة « منهج » العربية ، وقد نقول 'منهج' التناول أو المعالجة أو البحث ترجمة لـ : / method of approach handling / research كما شاع هذا المصطلح فى العلوم الطبيعية للدلالة على الخطوات الخمس المعروفة وهى الملاحظة والافتراض والتجريب والنظرية والتنبؤ ، مما جعل للمنهج معنى 'إجرائياً' ونقصد به الخطوات التى يتخذها الدارس للوصول إلى النتائج العلمية الثابتة والتى يمكن أن تؤدى إلى الخروج 'بقانون' يمكن تطبيقه فى كل حالة والتنبؤ بنتائج مماثلة إذا تماثلت المقدمات . وأما منهج هذه المدرسة فهو يتميز بما أصبح يسمى 'بالتوجه' الخاص specific orientation ( أو التوجه النوعى ، إن شئت ) بمعنى أنه يتوسل دائماً بمعطيات

données مستمدة من مذهب فكري ثابت system of thought فالمذهب هنا ليس المنهج أو المدخل أو طريقة التناول أو المعالجة أو البحث أو خطوات التطبيق ، لكنه يتضمن أفكاراً مسبقة أو مفهومات جاهزة .

( preconceived ideas, ready - made concepts )

وهذه المفهومات والأفكار هي التي تميز هذه 'المدرسة' عن المدارس التاريخية الأخرى ، بل إن هذه المفهومات والأفكار أصبحت تشكل فيما بينها مدرسة أخرى قرينة للتاريخية الجديدة وتختلف عنها في إلغاء البعد الزمني عند تناول التاريخ أو الأعمال التاريخية ، والتي اصطُح على تسميتها بمدرسة 'المادية الثقافية' ، ومعظم دعائها بريطانيون ، يدينون بدين كبير إلى أفكار رايوند ويليامز ، وتقترب أفكارهم كثيراً من أفكار الماركسيين المحدثين في بريطانيا وعلى رأسهم تيري إيجلتون .

وإذا كنا أُلحنا إلى أن هذه المدرسة تقترب من الفكر الماركسي ، أو تستمد منه بعض أصولها ، فهي ليست مدرسة ماركسية بالمعنى المألوف ، ولكنها تستعين بنظريات الفلاسفة المحدثين الذين طوروا أفكار ماركس (Marx) وعلى رأسهم الفرنسيان ألتوسير (Althusser) وماشيري (Macherey) ( انظر المعجم المشار إليه في الهامش السابق ) وتستعين بنظريات فرنسي مهم آخر هو فوكوه (Foucault) في 'تحديث' النظريات القديمة القائمة على العوامل الاقتصادية وحدها ، فتجعلها أوسع نطاقاً بأن تضعها في إطار ما يسمى بصراع القوة ، وتعريف القوة تعريفات جديدة مستمدة من الثقافة السائدة في مجتمع ما ، وكيف يتحكم الأقوياء - سياسياً أو اجتماعياً - في حركة الفكر في ذلك المجتمع ، بحيث يتلون شكل الفكر والكلام ( الخطاب ) فيه بما يمليه هؤلاء ،

ويصبح التاريخ مرآة صادقة لتأثير 'مراكز القوى' الثقافية ( سواء كانت الطبقات الاجتماعية ، أو المؤسسة الدينية ، أو الأجهزة السياسية ) فى حركة الفكر والأدب ، وفى تقبل الناس لهذه الحركة أو مقاومتها ، ويصبح على الدارس أن يرصد فى تحليله للنص الأدبى هذه الملامح كلها مجتمعة ، أى دون أن يفصل النص الأدبى عن غيره من 'المادة' التاريخية ، سعياً وراء القوى الثقافية التى ترسم حركة التاريخ .

وأنا أقول هذا لأبين عدم دقة وصف 'التاريخية الجديدة' بالمنهج على نحو ما ذهب إليه جرينبلاط Greenblatt المتخصص فى دراسات عصر النهضة ، فإنه يقول أولاً إنها ليست عقيدة مذهبية doctrine بل هى طريقة تناول practice ثم يعود فى نحو منتصف كتابه ( تعلم اللعن ١٩٩٠ ) ليؤكد أن على الناقد أن يأخذ فى اعتباره جميع العوامل الاجتماعية والأيدولوجية المؤثرة فى إنتاج العمل الأدبى مثل مقصد الكاتب ، و'نوع' العمل الأدبى ، والظروف التاريخية التى ظهر فيها ، قائلاً إن ذلك محتوم ، لأن تفهم آثار الماضى يقتضى إدراك التغيرات التى تطرأ على القيم والاهتمامات نتيجة « الصراعات فى الحياة الاجتماعية والسياسية » . وهذا البحث عن أهداف 'ثقافية' بالمعنى الواسع للكلمة ، حتى ولو لم يكن يمثل عقيدة مذهبية ، معناه 'التوجه' الذى يسير فى طريق مفاهيم وأفكار معينة ، بدلاً من تطبيق خطوات منهج البحث العلمى المجرد ، أى البحث البرئ من المسبقات ( والذى يتسم من ثم بالحياد التام أو الموضوعية المطلقة ) .

ويتضح من الكتب الكثيرة التى صدرت منذ بداية التسعينيات صحة ما ذهبت إليه خصوصاً فى تناول مسرحيات شيكسبير . ويقول جارى والر Gary



Waller فى مقدمة كتابه عن كوميديات شيكسبير Shakespeare's Comedies (١٩٩١) إن التاريخية الجديدة :

« تركّز على النص الشيكسبيرى باعتباره جزءاً لا يتجزأ من شبكة واسعة من القوى الثقافية ، وترتبط بين النص الأدبى وبين المادة التاريخية والممارسات العملية التى تعتبر أدبية ، مثل المذكرات ، والسجلات القانونية ، والأزياء ، والحكايات ، وأنماط السلطة السياسية أو الدينية . وهى ترى أن المسرحيات تشترك مع هذه النصوص الثقافية الأخرى فى الإفصاح عن القوى الثقافية المهيمنة فى المجتمع . وترى التاريخية الجديدة أن الثقافة تتسم بالترابط بين شتى تفاصيلها الخافلة ، كأنما هى مؤامرة ، تُحبس فى داخلها النصوص المفردة والموضوعات المفردة ، وتكتسب منها شرعيتها » . ( ص ١٨ - ١٩ ) .

ونحن نلاحظ فى ذلك الإبقاء على البعد الزمنى ، كما سبق أن أوضحنا ، الذى يُبقى التاريخ تاريخاً ، فى حين تعتمد 'المادية الثقافية' البريطانية إلى إلغاء هذا البعد ، فتناقش المادة الأدبية التاريخية مناقشتها للفكر الحى القائم ، وتؤكد وجود العمل الأدبى 'التاريخى' فى زمان قراءته الحالى أى باعتباره عملاً أدبياً معاصراً لقارئه ، وما دام القارئ يقرؤه اليوم وينفعل به اليوم ، فهو أثر أدبى حاضر ، ولو كان قد كتب فى الماضى . وهى بهذا تختلف فى 'الموقف' عن التاريخية الجديدة ، ولكنها تفصح عما يجمع بينهما فى سعى وراء الكشف عن القوى الثقافية وصراعاتها ، فتركيزها الأول ، كما يقول والر ، ينصب على « التناقضات المادية والأيدولوجية ، والمواقع التى يمكن أن تنشأ منها المعارضة والمقاومة » ويستمر قائلاً :

« إن المادية الثقافية تفحص مقاومة السلطة لا ما يبدو من هيمنتها، فالشخصيات والمشاهد الدرامية التى يرى التاريخيون الجدد أنها تدل على التواطؤ مع سلطة القصر الملكى المهيمنة أو بمشابة استعادة لهذه السلطة، يراها أصحاب المادية الثقافية أدلة على تخريب اجتماعى ناشئ، أو على مقاومة كامنة، أو مقاومة واسعة الانتشار ( رغم قمعها ). فالمادية الثقافية تبحث فى مظاهر مقاومة السلطة لا فى سيطرتها البادية، وتركز على الفئات الهامشية مثل النساء والساحرات أو من لم يتحرروا جنسياً أو اقتصادياً، وعلى الصراع بين فصائل الطبقات، والأقليات العرقية - وباختصار، فهى تبحث القوى الهامشية الصاعدة التى تتحدى بناء السلطة الفردى الجامد وقد تتمكن فى النهاية من إسقاطه ». ص ٢٠ .

ويختتم والر هذه الدراسة بأن يقابل بين اهتمام التاريخية الجديدة بالسلطة وبين اهتمام المادية الثقافية بالأيديولوجيا، مؤكداً الأهمية التى توليها المدرسة الأخيرة لدلالة النص التاريخى للحياة المعاصرة، والالتزام السياسى للناقد المعاصر، سواء كان مفهومنا للسياسة محدوداً بالسلطة الحاكمة أو واسعاً يشمل شتى القوى الاجتماعية والاقتصادية التى تصب فى تلك السلطة، فهكذا يفعل تيرى إيجلتون (Eagleton) وكاثرين بلسى (Belsey)، وهكذا فعل جون دراكاكيس (Drakakis) فى كتابه الذائع 'بدائل شيكسبيرية' (١٩٨٥) الذى يقدم فيه تحليلات تجمع بين المنهج النسوى المعاصر ( مذهب مناصرة المرأة ) وبين التحليل الأيديولوجى الصريح، ولكن التفريق بين نقاط تركيز كل من المدرستين ينحصر، كما رأينا، فى الصلة التى تربط العمل الأدبى بالحياة المعاصرة، فهما يشتركان فى إقامة الإطار الثقافى للعمل الأدبى، وإذا كان كل

عمل أدبي يعتبر - من زاوية معينة - عملاً تاريخياً بحكم انتمائه للماضى، فإن ما يقال فى هذا الصدد ينطبق على النقد الأدبى كله، أى على تحليل أى عمل أدبى، بغض النظر عن 'موضوعه' - سواء كان التاريخ أم الحياة المعاصرة .

ولكن المسرحية التاريخية التى نقدمها اليوم للقارئ العربى لها مشكلاتها الخاصة ، فهى عمل تاريخى بالنسبة لنا ونحن نقرأها فى القرن العشرين ، وهى تقدم لنا ما عُرِض على الناس منذ أربعة قرون عما حدث قبل قرنين ! فإذا كان من اليسير تناول ملهات تدور أحداثها - افتراضاً - فى زمن عرضها ، وتطبيق هذا المذهب أو ذلك ( أو المنهج ) عليها ، فنحن مطالبون بأن نضع أنفسنا فى موقعين متميزين عند قراءة مسرحية تتناول التاريخ الحقيقى - الأول هو موقع المتفرج أو القارئ للنص فى عصر شيكسبير ، والثانى هو موقع المتفرج أو القارئ فى آخر القرن العشرين ! وإذا لم يكن من اليسير علينا أن نتصور وجودنا فى عصر شيكسبير ، وإن كنا نفعل ذلك شئنا أم أبينا عند قراءة النص والدخول إلى عالمه ، فكيف نتصور وجودنا فى عصر سابق عليه بقرنين كاملين ؟ وبعبارة أخرى كيف نتذوق النص كما تذوقه الناس فى آخر القرن السادس عشر ، وكما ينبغى أن نتذوقه بغض النظر عن زمن كتابته ؟

نحن هنا لا نواجه عملاً أدبياً مستقلاً عن الحياة ، بل هو صورة أبدعها خيال شاعر لما حدث فى الحياة الواقعية بعد تعديلها فنياً لإخراج العمل المسرحى ! ودارس التاريخ لن يجد مقرأً من اتخاذ موقعه فى زمن شيكسبير وفى زمن ريتشارد الثانى معاً ، أما دارس الأدب فيكفيه أن يحيط بالتاريخ الحقيقى ، فى حدود ما سجله الرواة والمؤرخون ، لأحداث المسرحية ، حتى يتذوق إبداع الشاعر ! بل ربما لا يكون ذلك ضرورياً ، وإلا كنا نأخذ بالمذهب

الكلاسيكى الذى يقصر استمتاع القارئ على ملاحظة 'فن' الكاتب فى تحويل المادة التاريخية إلى مادة درامية ، مثل المتذوق للفنون التشكيلية ، إذ يقول الكلاسيكيون إن متعته تنشأ من إدراك براعة الفنان فى تصوير ما يعرفه من أشياء ، بمعنى تذوق الشكل الذى يضيفه الفنان عليها فحسب !

ولكننا تخطينا مرحلة الفصل بين الشكل والمضمون ، وأصبحت المادة الأدبية التى اتخذت شكلاً فى المسرحية لا تنقسم إلى 'حقائق تاريخية' وبناء درامى ، فالشاعر يتخطى التاريخ حين يحوِّله إلى مسرح ، ومأساة الملك ريتشارد الثانى التى أبدعها شيكسبير قد أبدعت تاريخاً بديلاً لما ورد فى كتاب التاريخ الذى وضعه هولينشيد Holinshed ، وبدلاً عن الأعمال الأدبية التى صورت المأساة نفسها فى الملحمة التى لم تكتمل للشاعر المعاصر لشيكسبير صمويل دانيال (Daniel) ، بعنوان الحروب الأهلية ، وعن المسرحية مجهولة المؤلف بعنوان وودستوك (Woodstock) التى تروى اغتيال دوق جلوستر بإيعاز من الملك ريتشارد الثانى . إننا نلغى الفترة الزمنية التى تفصلنا عن زمان شيكسبير عند قراءة النص ، على كل ما يؤكد انتماءه إليها ، ونستمع بقراءة نص تاريخى « لازمنى » ، بحيث يمكن للناقد تطبيق ما يقوله دعاة 'التاريخية الجديدة' على النص ، أو ما يقوله دعاة 'المادية الثقافية' ، دون تقييد بنوع الاستجابة التى حظى بها من جمهور شيكسبير ، وهذه هى المعضلة التى لا بد أن نتصدى لها .

فى عام ١٩٨٨ حرّر جرايام هولدرنيس (Holderness) كتاباً بعنوان أسطورة شيكسبير يتضمن مقالات لعدة أساتذة عن موقع شيكسبير فى الثقافة المعاصرة والمسرح المعاصر ، وهو يقول فى مقدمته إنه يعارض اعتبار شيكسبير كاتباً ينتمى

للتاريخ أى إلى العصر الذى كتب فيه مسرحياته فحسب ، فتحليل تذوق أبناء عصر شيكسبير لأعماله من اختصاص 'المؤرخ الثقافى' ، ولكن الذى يعنيننا هو شيكسبير 'الحى' ، الذى يعتبر معاصراً لنا حقاً ! وكان الكتاب بمثابة مواصلة للسير على الدرب الذى بدأه البولندى الأشهر يان كوت (Jan Kott) فى الستينيات بكتابه 'شيكسبير معاصرنا' ، والطريف أن كتاباً صدر فى عام ١٩٨٩ من تحرير جون إلسم (Elsom) بعنوان « هل ما يزال شيكسبير معاصراً لنا ؟ » وفحواه أن محاولة الإبقاء على البعد الزمنى عند قراءة شيكسبير عبث لا طائل من ورائه ، وأن النتائج 'الثقافية' التى يفرح النقاد باكتشافها ليست جديرة بكل هذا العناء ، فهى لا تضيف الكثير إلى علم المؤرخ ، ولا تضيف الكثير إلى علم دارس الأدب - ويتساءل أحد الدارسين فى الكتاب الأول عن جدوى أن نعود القهقري إلى القرن السادس عشر حتى نتذوق شيكسبير « على نحو ما تذوقه أبناء عصره » قائلاً إن تحويل المادة التاريخية إلى نص أدبى من نصوص أى كاتب ممن كتب له البقاء يجعلها أعمالاً « لا زمنية » ، وإنما لا نحتاج إلى تفهم عصر شيكسبير إلا فى حدود ما نفهم فيه هذه النصوص ، أما اعتبار الأدب 'وثائق تاريخية' فحسب - أو قل 'وثائق ثقافية' - فهو بمثابة 'اختزال' لها (reduction) أى تجريدها من صفتها الأساسية وهى طابعها الأدبى، بحيث تصبح مسخاً غريباً ، وهذا هو ما كان أصحاب 'النقد الجديد' يحذرون منه ، وما جاء البنيويون لينقضوه ، والتفكيكيون لينقضوا النقض !

ولكننا حين نقبل، ولو مؤقتاً، ضرورة تحرير النص الشيكسبيرى من العصر الشيكسبيرى فسوف تبرز لنا مشكلة المادة التاريخية التى يتناولها شيكسبير فى ريتشارد الثانى، التى نقدمها إلى قراء العربية هنا. إن شيكسبير يتحدث عن تاريخ بلاده إلى أبناء بلاده، بأسلوب الكاتب الدرامى الذى يقدم القضية

ونقيضها ، فجوهر الدراما ، وهو الصراع ، يقتضى عدم الانحياز الواضح إلى موقف دون سواء ، رغم أنه ينحاز - بالتأكيد - رغمًا عنه إلى بعض 'القوى الثقافية' النابعة من مفاهيم عصر النهضة ، والتي لا بد أن تختلف عن مفاهيم القرن الرابع عشر الذى كان ما يزال مثقلًا بتراث العصور الوسطى . والصراع الدرامى ينهض ولاشك بدور كبير فى إخفاء هذا الانحياز ، فشيكسبير دائمًا ما يوازن بين ما يراه فى ريتشارد الثانى ، الملك المخلوع ، من وجهة نظر زمانه ، وبين ما كان عصر ريتشارد الثانى نفسه يراه فيه ، بحيث يترك للقارئ أن يقوم ( أو يقيم ) بنفسه تلك 'القوى الثقافية' التى شغل بعض المحدثين أنفسهم بها ، فهل كان شيكسبير يقوم بعمل الناقد 'التاريخى الجديد' فى معالجته لمادته التاريخية ؟ أى هل كان يحافظ على البعد الزمنى مثل ذلك الناقد ، أم كان يشبه أصحاب 'المادية الثقافية' فى تأكيد دلالة التاريخ الذى يصوره لحياتهم الحاضرة وارتباطهم بها ، سواء عن طريق 'إسقاط' الماضى على الحاضر ، أو تناول بعض قضايا الحاضر فى إطار الأحداث الماضية ، وهو ما استدل عليه بعض النقاد من تدخل الرقيب أكثر من مرة ليحذف مشهدًا أو مشهدين ، وليطمس كثيرًا من العبارات التى وردت عند شيكسبير ؟

الواقع أنه من المحال على قارئ اليوم أن يتذوق فن شيكسبير دون الإلمام بمادة هذا الفن ، والعودة إلى التاريخ لازمة لا لرصد حركة المجتمع بل لتذوق النص الدرامى نفسه ، والصورة الدرامية التى أبدعها شيكسبير موجودة على أكثر من مستوى وفى أكثر من إطار زمنى واحد ، ولذلك فقبل تقديم تحليل فنى للبناء والنسيج والتغمة لا بد لنا من إلقاء نظرة سريعة على ذلك العصر - عصر أحداث المسرحية - الذى لا يكاد أبناء العربية يعرفونه خارج نطاق التخصص .

تدور أحداث المسرحية فى إطار الأسرة المالكة ، ومحورها هو الصراع بين حقوق 'الرعايا' ( أو الشعب ) وحقوق الملك . وأجد من الطريف أن الكلمة العربية التى نستخدمها ترجمة لكلمة King الإنجليزية أقرب فى معناها إلى المعنى الاصطلاحي ، لا الاشتقاقى لهذه الكلمة الألمانية الأصل ( فهى Kunig / Kuning ) ذات العلاقة بكلمة Kin التى تعنى القريب أو النسب ، والكلمات الأخرى وأهمها royal ترجع هى وصورها المختلفة مثل regal إلى الكلمة اللاتينية التى تعنى يقود أو يحكم أو يحدد الطريق القويم ، فالفعل اللاتينى هو regere بهذا المعنى ، والاسم rex ومنه حالة المضاف إليه regis التى تشتق منها الكلمات الإنجليزية المذكورة ، وتتصل بها كلمة right (صحيح / صواب / حق ) المشتقة من اللاتينية rectus ، ويقول الباحثون إنها جميعاً ترجع إلى السنسكريتية raja ( وهى ما تزال كلمة حية فى اللغة الهندية ) . أما المعنى السائد فى المسرحية والذى ما يزال سائداً لهذه الكلمات فما أبلغ ما تعبر عنه الكلمة العربية ! إن المُلْك والملَكِيَّة صفتان متقاربتان متداخلتان ، فالملك كان له المُلْك بمعنى الحكم ، ولكنه كان يملك الأرض أيضاً (ومن عليها ، فى نظر البعض) باعتباره خليفة لله سبحانه وتعالى ، والملك حاكم ومالك معاً ، و'حق' الملك يأتى بالنسب والوراثة (المعنى الاشتقاقى لكلمة King ) ولكنه ينفرد بالحكم ، فهو monarch ( المشتقة من اليونانية monarchos / Mōvαpxos ومنها الصفة اللاتينية monarcha ) . وصفة الملكية هى التى تبرر الانفراد بالحكم ، ولكن المجتمع الإنجليزي لم يكن آنذاك قد تشرب معانى الدولة الموحدة بعد ، أو أقام الأسس اللازمة لمثل ذلك التوحيد ، فكان المُلَّاك أى اللوردات (و'لورد' الإنجليزية تعنى المالك ) يملكون الكثير ، وكانت لكل منهم قوات 'الدفاع' الخاصة به ، وكان الملك يستعين بهم للدفاع عن المملكة كلها

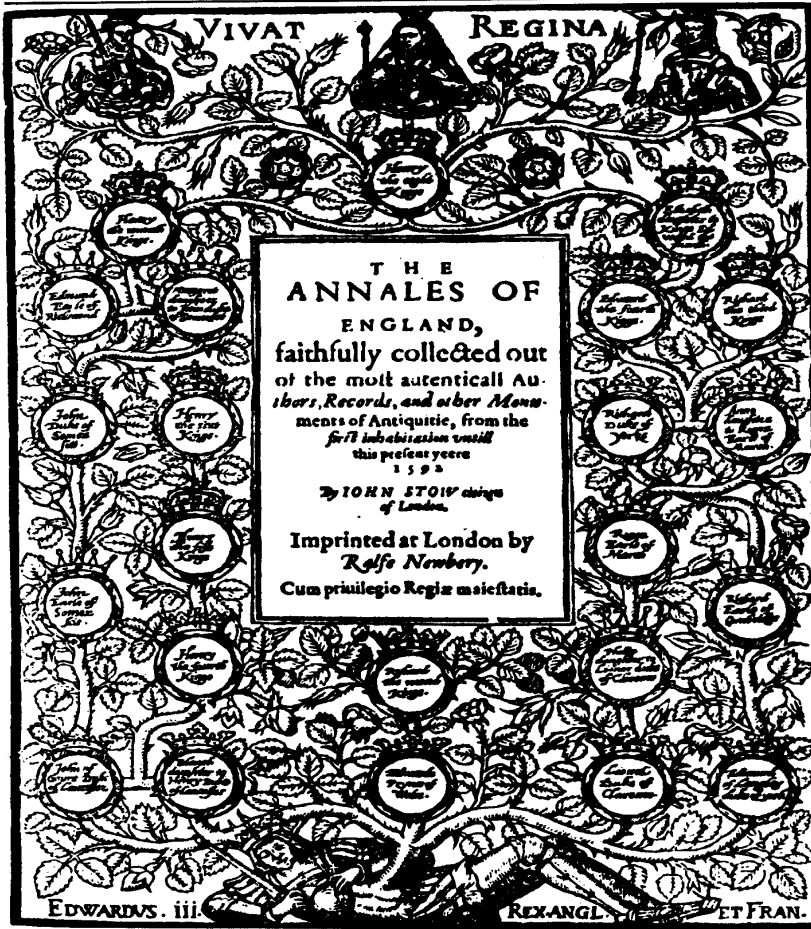
the realm - وهي كلمة مشتقة أيضاً من كلمة regalis اللاتينية ، عبر regalimen ( العامية ) وعبر الفرنسية القديمة reaume ثم realme - وأما العامل الذى أصبح يوحد بين هؤلاء جميعاً فى ساعة الخطر فهو العدوان الخارجى الذى يتصدى له الملك باسم الله ، فهو ، كما كانوا ( وما يزالون ) يصفونه 'حامى حمى الدين' . ومن ثم يبرز الدين هنا باعتباره السند الشرعى للملك، وكان إقرار الكنيسة لسلطة الملك بمثابة تفويض إلهى له بالحكم دون منازع، كما استمرت فكرة القرابة المتأصلة فى معنى King، وما يرتبط بها من 'الحق' أو الشرعية، وفى مقابل ذلك كله كان هناك البرلمان الذى لم يكن يمثل الشعب بالمعنى المفهوم بل الطبقة المالكة ، وبعد ذلك يأتى الرعايا أو الشعب .

هذه المفهومات 'الثقافية' كانت من الأسس المشتركة بين عصر ريتشارد الثانى وعصر الملكة إليزابيث ، ولم يكن شيكسبير بحاجة إلى أن يخوض فيها بالشرح لجمهوره، ولكن أغلب المتفرجين أو قراء المسرحية كانوا على علم بالتاريخ القريب، والذى يمكن أن نبدأه بالملك إدوارد الثالث ، الذى يرد اسمه كثيراً فى المسرحية، والذى حكم زهاء خمسين عاماً فى منتصف القرن الرابع عشر ( ١٣٢٧ - ١٣٧٧ ) ويقول بيتر ساكيو (Peter Saccio) فى كتابه 'الملوك الانجليز عند شيكسبير' (١٩٧٧) إن قدرة هذا الملك الفذة على الانحجاب هى سبب التناحر الذى وقع بعد وفاته ، فقد أنجب اثنى عشر طفلاً شرعياً ( إلى جانب غير الشرعيين) وعاش منهم خمسة، ظفروا بسلطات وممتلكات واسعة، ورثها عنهم أبناؤهم . وكانت قوة الملك هى العامل الأول الذى كفل للأسرة المالكة التماسك والمنعة، ولكن ابنه الأكبر ، الذى يشار إليه فى المسرحية باسم 'الأمير الأسود' (ربما بسبب ارتدائه دروعاً سوداء) توفى قبل أبيه ، مما جعل ميراث العرش ينتقل إلى ابنه ريتشارد الثانى الذى كان ما يزال فى العاشرة من



عمره. وتولى ريتشارد الثاني الملك فى عام ١٣٧٧ عند وفاة جده ، وظل يحكم اثنين وعشرين عامًا ، فكان آخر الملوك من أسرة بلانتاجينيت (Plantagenet) ، وكان محاطًا بأقاربه من الأعمام وأولاد العم الأقوياء والطامعين الجشعين ، فكان مضطراً إلى الإذعان لهم فى طفولته ، وميلاً إلى الانتقام منهم عندما بلغ أشده واستوى ، فطغى وبغى فى ذلك حتى بلغ الذروة فى عام ١٣٩٩ ، وعندما توفى أقوى أعمامه ، وهو جون جونت ، دوق لانكاستر ، استولى عنوة على جميع أملاكه ، وعندها عاد هنرى بولينبروك ، ابن جونت ، الذى كان منفيًا فى باريس ، إلى إنجلترا وأعد جيشًا لمحاربة الملك وكان السبب الذى أعلنه على الملأ هو استرداد أملاكه ، ولكنه كما نرى فى هذه المسرحية ، سرعان ما استولى على العرش ، وحبس الملك ثم أوعز للبعض بقتله بعد عدة شهور .

والمسرحية تركز على العامين الأخيرين من حكمه ، ولكنه كما ذكرنا ظل يجلس على العرش من يونيو ١٣٧٧ حتى سبتمبر ١٣٩٩ ، ولم يعد أحد يذكر شيئًا عن سنوات حكمه الأولى ، إذ أصبح الجميع ينظرون إليه من خلال حادثة خلعه ، وهو ما أغضب كثيرًا من الباحثين . ويركز المؤرخون الاجتماعيون اليوم ، محققين ، على حادثتين مهمتين فى تاريخه ، الأولى هى ثورة الفلاحين فى عام ١٣٨١ ، والثانية هى نشأة النزعة البروتستانتية الوليدة على أيدي جون ويكليف (Wyclif) ، أول مترجم للكتاب المقدس إلى اللغة الانجليزية ، والذى توفى عام ١٣٨٤ . والمؤرخون الدستوريون يركزون على البحث فى دلالة اكتشاف البرلمان لحق الشعب فى محاسبة الملك ، وتنمية هذا الحق وممارسته فى عامي ١٣٧٦ و ١٣٨٦ ، وبطبيعة الحال يركز مؤرخو الأدب



صورة إدوارد الثالث في شكل شجرة يسى، وهي المنشورة على غلاف كتاب «حوليات إنجلترا» لمؤلفه جون ستو (١٥٩٢)

على أعمال الشاعر جيفرى تشوسر (Chaucer)، الذى كان معاصراً للملك، فى حين ينعى كُتاب سيرة الملك ذلك التركيز المجحف على سقوطه، ولا أدل على ذلك من أن شيكسبير يبدأ أحداث المسرحية بالنزاع بين هنرى بولينبروك وتوماس موبراى (دوق نورفوك) الذى أدى إلى سقوط الملك، وإن كانت للنزاع جذور عميقة بالغة الأهمية لا يشير شيكسبير إليها إلا لماماً، وفى لمحات غامضة، ربما لأن جمهوره كان يعرفها حق المعرفة، ولكن ذلك النزاع كان يمثل المرحلة قبل الأخيرة من الصراع السياسى الذى كان كثيراً ما يتفجر إبان حكم ريتشارد الثاني. ولاشك أن كل صراع سياسى يتعلق بحق الحكم، وكان الصراع فى حالة هذا الملك الحدث أشد وأعتى، لأنه كان يتعلق بمجموعات تدعى كل منها لنفسها الحق فى الوصاية على الصبى، والحق فى توجيهه وإرشاده حتى بعد أن بلغ العشرين من عمره. وكانت هذه 'المجموعات' تتكون من أقاربه (وفقاً للتعريف السابق للملك) ومن النبلاء أو الأشراف (اللوردات من أصحاب الأملاك) ومن المقربين إلى الملك وموضع ثقته.

وقد سبق أن ذكرنا أن جده أنجب أطفالاً كثيرين عاش منهم خمسة، تضخمت ثرواتهم وتضخم نفوذهم، وكان أكبرهم إدوارد (الأمير الأسود) أمير ويلز، ويلييه ليونيل (Lionel) دوق كلارينس، وجون جونت دوق لانكاستر، وإدموند دوق يورك، وتوماس وودستوك دوق جلوستر (بطل المسرحية مجهولة المؤلف التى أشرنا إليها آنفاً). أما ليونيل فقد توفى فى طفولة ريتشارد، ولذلك فلم يؤد إلى تعقيد قضية النزاع على السلطة أى على 'الميراث' إلا فى القرن التالى، حين هب أحفاده للمطالبة 'بحقهم'، وأما إدموند دوق يورك (يورك فى مسرحية شيكسبير) فكان فيما يبدو رجلاً هادئاً

الطبع ، ويقول المؤرخون إنه كان 'نكرة' فى الحياة السياسية ، وكان هائلاً بموقعه الهامشى عضواً فى مجلس الوصايا أولاً ، ثم فى المجلس الملكى الخاص فيما بعد . وأما الثلاثة الآخرون - الأمير الأسود ، وجونت ، وجلوستر - فكانوا ذوى طموح ونشاط وحمية . فقد تمكن الأول من إحراز انتصارات عسكرية فذاعت شهرته فيما يسمى بحرب المائة عام التى نشبت مع فرنسا منذ عام ١٣٣٧ وكان إدوارد الثالث هو الذى أشعلها ، ثم توفى فجأة فى عام ١٣٧٦ فأصبح ابنه ريتشارد الثانى وريثاً لعرش جده ، وإن كان جونت هو الذى يدير شئون المملكة آنذاك بعد أن وصل إدوارد الثالث إلى الشيخوخة ، ويقال إنه كان خرقاً وغير قادر على الحكم . وهنا تبرز أول حادثة يهتم بها المؤرخون ، على نحو ما ذكرنا ، وهى ممارسة البرلمان لسلطة لم يكن يعرفها من قبل ، إذ أصر أعضاء البرلمان على استدعاء ريتشارد الذى كان ما يزال فى التاسعة ، وأعلنوا رسمياً أنه الوريث الشرعى لجده ، ثم قاموا بتعيين مجلس وصاية للحكم ، عندما تولى ريتشارد الثانى الحكم فى العام التالى ( ١٣٧٧ ) ، دون أن يكون بين أعضائه أى عمّ من أعمام الملك .

وقد برزت فى الصراع الذى تلا ذلك ثلاث مجموعات من الأشخاص ، لابد من الإلمام بها بسبب علاقتها المباشرة بالمرحلية . أما المجموعة الأولى فكانت تتكون من جون جونت ، عم الملك ، ومناصريه من كبار رجال مقاطعة لانكاستر ، التى كان يحكمها ( ويملك فيها الكثير - وهذا معنى تعبير 'دوق' لانكاستر ) - ولم يكن جونت أكبر أعمام الملك الأحياء فحسب ، بل كان من كبار الملاك وذوى النفوذ أيضاً ، فكان يملك القلاع والغابات والضياع والعقارات الكثيرة المنتشرة فى أرجاء المملكة . وكان يتمتع باعتباره 'دوق لانكاستر' بمنصب الحاكم الاقطاعى لكيان سياسى يوصف بأنه ذو حكم ذاتى

شبه مستقل (county palatine) ، أى إنه كان يتمتع بسلطات ملكية فى مقاطعة لانكاستر ، وكانت أوامره لا تحتاج لمصادقة الملك بل أحيانا ما كانت توازيها أو تناقضها . وكانت أملاكه الشاسعة تكفل له أعدادا هائلة من الأنصار الذين يعملون فى خدمته ، مثل الخدم والحشم ، وموظفى المقاطعة ، ومستأجرى الأراضى ، وممثلى المصالح 'المتحالفة' ( وهو تعبير يقصد به تجار لندن ) . وشيكيستير يصور هذا الشخص ذا النفوذ البالغ والثروة الطائلة فى صورة رجل مخلص لوطنه يتمتع بالاستقامة وتحيط به هالة الوقار ، مخالفاً بذلك ما ورد فى تاريخ هولنشييد من أنه كان طموحاً طامعاً ، لا يقنع بما لديه ، بل إنه قضى ثلاث سنوات ( ١٣٨٦ - ١٣٨٩ ) فى إسبانيا فى حرب فاشلة للاستيلاء على مدينة قشتاله (Castile) ، التى كان يدعى أنها من حقه ، وكان العامة يكرهونه ويستريبون فيه ، وعندما اندلعت ثورة الفلاحين فى عام ١٣٨١ هجم الفلاحون على قصره فى لندن ونهبوا كل ما فيه ، وكانت السعادة تغمر وجوه الجميع لذلك ! لكنه كان مخلصاً فى الواقع لابن أخيه على امتداد التسعينيات وظل ينهض بدور المستشار الوفى الأمين له . أما انسحابه من الحياة السياسية فكان مرجعه إلى ظهور الجماعة الثانية .

والذى حدث أن ثورة الفلاحين كانت نذيراً بتحول فى حياة الصبى ريتشارد، إذ كان لم يتجاوز الخامسة عشرة، ولكنه استطاع أن يواجه الجماهير الغاضبة، وأن يحدث الناس بمنطق المتفهم لأحوالهم، فعزل الموظفين الذين اشتكى إليه الفلاحون من ظلمهم، واستطاع تهدئة خواطر الثوار برباطة جأش جعلت بعضهم يتحول إلى الولاء له على الفور، وخرج من 'المواجهة' أصلب عوداً وأقوى عزمًا على اختيار 'مستشارين' جدد، والتخلص من سلطة مجلس الوصاية. وكان من بين هؤلاء مايكل دى لابلول (de la pole)، الذى أنعم

الملك بلقب لورد سافوك (Suffolk) ، وإدوارد دى فير (de Vere) ، الذى أنعم عليه الملك أولاً بقلب مركيز دبلن ، ثم بلقب دوق أيرلندا . ولكن هذه 'العصبة' التى أحاطت بالملك لم تكن تتميز بشيء إلا بثقة الملك ، وسرعان ما انحرف الملك فى طريق الإسراف والتبذير ، مما دعا البرلمان رسمياً إلى الاعتراض على ذلك السلوك ، وعلى تخبط سياسة الملك وعلى شروخ الحاشية التى تشجعه عليها . وهكذا ، فما أن رحل جوننت إلى إسبانيا فى عام ١٣٨٦ حتى قام وفد من اللوردات ، برئاسة أصغر أعمامه وهو جلوستر ، بزيارته وتقريعه تقريراً شديداً على سوء الإدارة وفساد الحكم ، ثم أصدر البرلمان أمراً بعزل دى لا بول وتوجيه اللوم إليه ، وبتعيين مجلس جديد لإدارة شئون الحكم كلها . وكان رد الملك على ذلك هو التماس التأييد الشعبى ، فقام بجولة فى العام التالى فى شمالى إنجلترا وغربها ، اكتسب فيها أنصاراً كثيرين ، ثم عين مجموعة من القضاة فى محكمة خاصة ، برئاسة السير روبرت تريزيليان (Tresilian) ، حتى تصدر حكماً بىطلان عزل البرلمان لصديقه دى لا بول ، وتعين مجلس جديد ، واعتبار هذين بمثابة خيانة عظمى لأنهما يسلبان الحق الملكى الثابت .

وهنا برزت العصبة الثالثة بوضوح ، إذ تقدم جلوستر عم الملك ، وهو دوق له نفوذه وسطوته ، مع اثنين من اللوردات ، وكانا يتمتعان بنسب عريق وصيت عسكري ذائع ، هما اللورد واريك (Warwick) واللورد أرندل (Arundel) ، إلى البرلمان بعريضة يتهم فيها أصحاب الملك المقربين بالخيانة العظمى ، كما جمع جيشاً خاصاً ، وانضم إليه بعد قليل اثنان من الشبان ، هما ابن جوننت (هنرى بولينبروك) الذى كان قد أصبح لورد داربى (Derby) ، وتوماس موبراى ، لورد نوتنجهام (Nottingham) آنذاك . وكان هؤلاء

'الخمسة المشتكون' أو اللوردات أصحاب الدعوى (Lords Appellant)، يمثلون الأشراف من ذوى الحسب الذين يعارضون الحاشية الجديدة، وكانوا جميعاً يتميزون بالقرابة أو النسب مع بعضهم البعض. وقام 'اللوردات المدّعون' - وهو الاسم الذى شاع عنهم فى كتب التاريخ ، بشن حملة عسكرية على جيش الملك، الذى كان دى فير يقوده، إذ لم يكن الملك محارباً ولم يحمل السلاح يوماً فى معركة، وانتصروا عليه، فى موقعه جسر رادكوت (Radcot) فى مقاطعة أوكسفوردشير، ثم اتجهوا إلى البرلمان الجديد الذى انتخب عام ١٣٨٨، وأطلق عليه اسم 'البرلمان الذى لا يرحم'، فعرضوا قضيتهم ضد أصحاب الملك. أما الموالون للملك ممن ظلوا فى إنجلترا، مثل تريزيليان، فقد نفذ فيهم حكم الإعدام، وأما الذين فروا، مثل دى فير ودى لابلول، فقد ماتوا فى المنفى، وانقض 'اللوردات المدّعون' على جميع من كانوا يتمتعون بالحظوة لدى الملك فأقصوهم وحكموا إنجلترا عاماً كاملاً.

وتورد المصادر التاريخية بعض الأدلة على أن الملك قد خلع من عرشه لفترة قصيرة بين معركة رادكوت ومحاكمة أصحابه ، فإذا صدق ذلك فإن محاولة خلعته النهائية لم تنجح بسبب الخلاف الذى نشأ بين 'اللوردات المدّعين' حول اختيار وريث له ، وكانوا يحرصون إبان الإجراءات البرلمانية على عدم إبراز صورة الملك ، كما حرص هو على عدم الزج بنفسه فى تلك الأحداث حتى حل عام ١٣٨٩ ، وكان قد بلغ الثانية والعشرين ، ففاجأ الجميع بأنه يعتزم أن يتولى مقاليد الحكم وحده ودون مشاركة أحد . وكان ذلك من الحقوق الملكية التى لم يستطع أحد أن يمارى فيها ، فانفض تحالف ( المدّعين ) وعاد جوننت من إسبانيا ، وأذعن الجميع لسلطة الملك ، ومن ثم استقر الحكم استقراراً لا بأس به بفضل التعاون الذى أبداه المجلس الجديد

الذى شكله وكان من بين أعضائه جوننت وبعض المدّعين السابقين ، وبدأ فى تنفيذ بعض المشروعات والأصلاحات ، وكان من بينها على الصعيد السياسى التوصل إلى إحلال السلم فى أيرلندا عام ١٣٩٤ ، واتباع سياسة سلمية خارجية ، فنجح فى إقرار هدنة شبه دائمة مع فرنسا فى عام ١٣٩٦ ، كلّها بالزواج من الأسرة المالكة الفرنسية إذ تزوج إيزابيل (Isabel) ابنة ملك فرنسا وكانت ما تزال فى السابعة من عمرها آنذاك ( مما يدل على أن مشاهد الملكة الكبيرة فى المسرحية من ابتداء خيال شيكسبير ) ودامت تلك الفترة سبع سنوات انتهت فى عام ١٣٩٧ بصراع جديد بين أصدقاء الملك والنبلاء ، وكان على رأس أعدائه هذه المرة كبار 'المدّعين' السابقين وهم جلوستر وأرنلد و واريك .

ويختلف المؤرخون حول الأسباب المباشرة التى أدت إلى نشوب الأزمة بين الملك وهؤلاء ، فيذهب بعضهم - مثل هـ.ف. هتشيسون (Hutchison) فى كتابه « التاج الأجوف : حياة ريتشارد الثانى » ( نيويورك ، ١٩٦١ ) إلى أن الملك كان ما يزال ناقماً عليهم ويريد الانتقام منهم ، ومن ثم أمر باعتقالهم جميعاً ومحاكمتهم . أما التهم التى وجهت إليهم فلم تكن واضحة بمعايير عصرنا الحالى ، فمن قائل إنهم رفضوا تلبية استدعاء الملك لهم ذات يوم ، ومن قائل إنهم ألّفوا خطاباً يسخرون فيها من سياسته الخارجية ، ومن قائل إنهم كانوا يتآمرون ضده . ولكن بيتر ساكيو يقول فى كتابه الذى سبق الإشارة إليه إن الملك ربما كانت له دوافع أخرى ، وأهمها إثبات أن السيادة الملكية لا تقبل المساس بها من أى جانب ، ولا شك أن ريتشارد الثانى كان يفوق كل من سبقوه فى الإيمان الراسخ بعظمة الملك ووقاره وجبروته ، وهو ما وجده



شيكسبير فى تاريخ هوليشيد فصاغه صياغة شعرية بليغة ، وإن كانت اللغة والمفاهيم هنا تنتمى إلى العصر الإليزابيثى لا إلى العصور الوسطى .

وسواء كان الدافع على اعتقال الثلاثة المذكورين هو الانتقام أم تأكيد سلطة الملك ، فقد تحقق لريتشارد ما يريد . إذ قدم أصدقاءه دعوى إلى البرلمان تتضمن 'الاثامات' المختلف عليها ، وقام أصدقاءه بمهمة الفصل فى الدعوى ، فأدانوا الثلاثة جميعاً : أما واريك فقد انهار واعترف ، وحكم عليه بالنفى ، وأما أرندل فأظهر التكبر والعناد ، فحكم عليه بالإعدام ، وأما جلوستر ، فقد أرسل قائد حامية قلعة كاليه (Calais) ، وهى التى كان معتقلاً بها ، رسالة وصلت أثناء المحاكمة يقول فيها إن السجين قد مات . ولاشك لدى المؤرخين فى أنه قد قتل ، وإن كانوا يختلفون حول قاتله . إذ كان البرلمان قد عهد إلى نورفوك (Norfolk) ، وهو من أصدقاء الملك ، بالتحفظ على جلوستر فى القلعة المذكورة ، فهل قُتل جلوستر بناءً على أوامر الملك ، وهل قام نورفوك بتنفيذ تلك الأوامر ، وهل نفذها - إن كان ذلك كله صحيحاً - بمحض إرادته أم تباطأ وتردد بسبب وخز الضمير ؟ لا أحد يدري على وجه الدقة ، كما لا ندري عن جلوستر سوى ما يذكره هوليشيد :

« كان جلوستر حاد الطبع ، قاسياً متسرعاً فى أحكامه ، وعنيداً . . . وهى خصال لا تحمد له على الإطلاق ، وكان دائماً ما يعرب عن استيائه وسخطه على الملك فى كل شئ » .

( من النص الوارد فى طبعة سيجنت كلاسيك ( Signet Classic ) ص ١٥٧ )

وترجع أهمية مقتل جلوستر إلى أن تلك الحادثة تبرز فى المشهد الأول للمسرحية ( فالمسرحية تبدأ بعد مقتله ) باعتبارها الجريمة التى تُضعف موقف

الملك الأخلاقي في الفصلين الأول والثاني ، ويشير الحوار إليها إشارات مستترة، مؤكداً أن الملك هو الفاعل ، ولما كانت صورة جلوستر التي رسمتها مسرحية وودستوك ( واسم جلوستر هو توماس وودستوك ) ما تزال قائمة في الأذهان باعتباره الناصح الأمين للملك ، فإن قتله كان معناه أن الملك أصبح مستبدًا لا يستمع لنصح أحد ، كما أن شيكسبير يستفيد من هذه الصورة في إضفاء طابع الناصح الأمين على أعمام الملك ، مثل جونت العجوز ، ويورك الحائر المتردد . وهكذا فإن المسرحية تبدأ بصورة الملك الشاب الذي يركب رأسه ولا يصغى لأحد ، بل والذي لوث يديه بقتل أحد أفراد الأسرة المالكة . وعلى أى حال فإن مقتل جلوستر كان نذير شر لمن بقى في قيد الحياة من 'اللوردات المدّعين' ، إذ خاف كل منهم أن يرجع الملك عن عفوه ويفعل به ما فعله بجلوستر . وهكذا فإن مويراي ( الذي أصبح دوق نورفوك ) يحذر بولينبروك من مغبة الوثوق بالملك ، فيما يروى الرواة ، فينقل بولينبروك هذا التحذير إلى أبيه جونت ، فينصحه الأخير بأن يرفع إلى البرلمان عريضة يتهمه فيها بالخيانة العظمى . وهو ما فعله في يناير ١٣٩٨ ، وكانت دورة انعقاد البرلمان قد قاربت على الانتهاء ، فاستقر الرأي على تشكيل لجنة تحقيق برلمانية، واجتمعت اللجنة فوراً ثم تأجل الاجتماع حتى إبريل ، وكان ما دار فيها ( أى في الجلسة الثانية ) هو موضوع المشهد الأول من المسرحية .

وأثناء التحقيق أضاف بولينبروك اتهامات جديدة إلى نورفوك ، منها الاستيلاء على المال العام والتواطؤ في حادثة مقتل جلوستر ، وأنكر نورفوك جميع التهم ، وطالب باللجوء إلى المباشرة للفصل في القضية . ومن الصعب علينا الآن أن نحدد من كان على صواب ومن كان على خطأ ، والمسرحية لا تلقى بتبعة جرم على أحد دون سواه ، فهذا هو شأن الدراما التي تقابل بين

وجهات النظر دون أن تفصل فيها ، ولكن الصراع بين هذين أتاح للملك فرصة رائعة للتخلص منهما جميعاً ، وهنا تبرز ظاهرة تؤكد ما ذهب إليه النقاد فيما بعد عند تحليل المسرحية ، خصوصاً والتر باتر و وب . بيتس (Pater) و (Yeats) ، من ولع الملك ريتشارد بالحركات المسرحية و'التمثيل' ، كما سنوضح فيما يلي .

كان بوسع ريتشارد أن يأمر بإجراء المبارزة على الفور ، أو أن يحكم بالنفى عليهما على الفور ، ما دامت لا توجد أدلة إثبات أو نفى قاطعة لدى أىٍّ منهما ، ولكنه يؤجل المبارزة تسعة أشهر ثم يلغيها ويأمر بنفيهما فى آخر لحظة ! ويجمع النقاد على أن ذلك يدل على ولعه 'بالحركات المسرحية' وهو يؤكد ما يفصح عنه دور ريتشارد فى المسرحية من ارتدائه عدة أقنعة ، توحى بهذه النزعة الكامنة 'للتمثيل' ! وشيكسبير يلوّن هذه الأقنعة تلويّنًا جميلًا فى اللغة التى يستخدمها ، مركزًا على قناعين أساسيين هما قناع الملك ( الذى يمثله التاج الأجوف ) وقناع الإنسان ( الذى تمثله لحظات الضعف البشرى ) بحيث يبرز الصراع أيضًا ، على نحو ما يقول أندرو جور Andrew Gurr ، محرر طبعة كيمبريدج ، بين قناع منصب الملك ( أو فكرة الملكية ) وقناع الإنسان الذى يشغل المنصب ، وهو تناقض يصل إلى ذروته فى الحديث المنفرد الأخير ، دون حل ودون تحيز من الكاتب المسرحى إلى أى من القناعين - والقارئ أو المشاهد للمسرحية هنا يوازن بين إدعاء قداسة المنصب ( القناع الإلهى ) والأخطاء البشرية التى أدت إلى إسقاط ذلك القناع ، ولا مندوحة من أن يستنتج أن ذلك القناع تاجٌ أجوف حقًا ، فكل ما يفعله ريتشارد على مدى أحداث المسرحية ، بعد نفى نورفوك ووفاته فى البندقية ، يؤكد رنة التمثيل المرتبطة بالقناع الملكى ( الذى زعمت قداسته ) .

إن ريتشارد مبذر متفاخر ، فهو شاب فى مطلع الثلاثينيات ، 'يلعب' دور الملك 'المقدس' ، وهو يصغى لما يقوله المدهنون ، ولا يتورع عن ابتزاز أموال الشعب . إذ بدأ بفرض ضريبة جمركية - عن طريق البرلمان - على جميع الواردات والصادرات من الصوف والجلد مدى الحياة ، وفرض على الأفراد ، بل وعلى المقاطعات التى كان 'اللوردات المدعون' يعيشون فيها ، أن يشتروا العفو الملكى عنهم بمبالغ باهظة ، ثم أرغم كبار الأثرياء على تقديم ما نسميه اليوم 'شيكات على بياض' (blank charters) وهى رقع من الجلد عليها أختامهم ، ولا تبيّن المبالغ التى يسمحون بصرفها ، وكان ينتوى أن ينال منهم ما يريد وقتما يريد ، إلى جانب ما ذكره هولنشييد ونقله عنه شيكسبير من تحصيل الإيجارات مقدماً من الوكلاء ( المحتسين أو العريقين فى التراث العربى ) لمدة أعوام كثيرة مقبلة . وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير هى توسيع 'الولاية القضائية' للجنة البرلمانية المشكلة للفصل فى النزاع بين بولينبروك ونورفوك بحيث أصدرت أمراً يحظر على المحامين الذين وكلهم بولينبروك أن يطالبوا بميراثه وتركه أبيه جونى الذى توفى عام ١٣٩٩ .

وكان معنى ذلك استيلاء الدولة على أملاك جونى ، والدولة هى الملك ! وانزعج اللوردات ( الملاك ) أيما انزعاج ، فإذا كان ريتشارد قادراً أن 'يسرق' مقاطعة لانكاستر كلها ، فما أيسر أن يسرق الغنائم الأدنى والأقرب ! ومن ثم فإن شيكسبير يصور هذا الانزعاج فى المشهد الذى يجمع بين نورثمبرلاند ، وويلابى وروس فى المشهد الأول من الفصل الثانى ويختصر الزمن هنا إذ يبدأ المشهد بتصوير جونى وهو على فراش الموت ، وينتهى بعودة ابنه للمطالبة بأملاكه المغتصبة ، وهو ما لا يُعقل أبداً ، وإن كان ذلك لا يبدو غريباً على المسرح . ومن ثم يرحل ريتشارد إلى أيرلندا فى وقت أساء اختياره ، فى حين

يصل بولينبروك إلى رافنسبير ( التى يسميها شيكسبير رافينسبرج - والأصل هو Ravenspur ) على ساحل يوركشير ، وهى منطقة حافلة بأنصار والده ، وكان أتباعه يزدادون كلما تقدم جيشه ، وكانت الأنباء تصل إلى لندن فتثير الفزع والذعر فى المجلس الملكى ، فبادر بعضهم بالكتابة إلى الملك ، ورحل بعضهم على رأس بعض القوات إلى الغرب حتى انضموا إلى جيش الملك عند وصوله . وعندما علم بولينبروك بذلك قرر أن يتجه إلى الغرب بجيشه حتى يمنع القوات من الالتحاق بجيش الملك ، وكان له ما أراد ، فاستسلم له يورك فى باركلى (Berkeley) ، واستسلم 'ديدان' المملكة وهو اللفظ الذى كان يطلق على أصحاب الملك من المتسلقين والمداهنين فى بريستول (Bristol) وحكم عليهم بالاعدام . ولكننا لا نعلم حقيقة نواياه فى تلك المرحلة . هل كان حقاً يريد استعادة ميراثه الذى اغتصبه الملك ، أم كان يطمح فيما هو أكبر؟ وتدل قراراته 'شبه الملكية' آنذاك على طموح لا يمكن أن يُنسب إلى طالب الثأر فقط ، كما إن شيكسبير لا يكشف لنا أبداً عما يدور بخلده ، مما يجعل الفصل الثالث سجلاً حافلاً لمشاعر ريتشارد ورد فعله إزاء ما يحدث .

ولا تهمنا تفاصيل الأحداث التى دارت بين الجيشين إلا فى حدود خروج شيكسبير عن التاريخ فى تصوير الدور الذى 'لعبه' أوميرل ، ابن عم الملك الذى رافقه إلى أيرلندا وأخّر موعد عودته، ثم نصحه بتقسيم جيشه ، وتسريح قوات المقاطعات الجنوبية فى ويلز . ولم يلبث بعد هذه النصيحة المهلكة أن انضم إلى بولينبروك . فشيكسبير لا يشير إلى ذلك مطلقاً، ولا يحتمل أنه كان يعرف 'دور' أوميرل فى تلك الأحداث، إذ إن هولينشيد لا يذكر ذلك 'الدور'، ومصدر معلوماتنا هو المؤرخ الفرنسى جان كريتون (Créton)، وحتى لو كان شيكسبير يعرف ذلك فقد قرر ألا يشير إليه، فهو يصور أوميرل فى صورة

الصدى المخلص الذى يحاول أن يرفع الروح المعنوية لريتشارد . وشيكسبير لا يشير إلى حنث نورثمبرلاند بيمين الولاء للملك ، أو إلى الكمين الذى نصبه له . وهكذا فإن التاريخ يقول إن ريتشارد كان ضحية خيانة الكثيرين فى ويلز ، ولكن شيكسبير يصوره فى صورة الملك الذى يواجه خصومًا شرفاء ، ويرافقه أصحاب مخلصون . ويعلق پيتر ساكو على ذلك قائلاً :

« إن مناصريه الذين كان من بينهم أوميرل ، وأسقف كارلايل ، والسير ستيفن سكروب ( وكان من إخوة ويلتشر Wiltshire ) أشاروا عليه بخطوات رشيدة ، وكان لديهم من سعة الحيلة ما يكفل اتخاذ هذه الخطوات ، ولكنه كان يتجاهل مشورتهم أو يقاومها . إذ كان أولاً يبدى ثقة غير واقعية فى العناية الإلهية التى ترعى كل ملك من الملوك ، ثم أصابه اليأس قبل الأوان ، فسقط ريتشارد الذى يصوره شيكسبير كأنما يسقط باختياره ، فى أيدي أعدائه » .

( المرجع السابق ، ص ٣٠ )

ويقول دافيد بجنجتون David Bevington محرر طبعة البانتام (Bantham) للمسرحية (١٩٨٨) إن مشكلة خلع الملك لم تكن تمثل مشكلة كبرى ، فقد كانت هناك سابقة وهى خلع الملك إدوارد الثانى قبل سبعين عاماً ، ولكن المشكلة كانت تتمثل فى الجلوس على العرش . كيف يعتلى بولينبروك عرش إنجلترا دون وجه حق . أى دون أن يكون وريثاً للملك ؟ فعندما خلع إدوارد الثانى جلس على العرش ابنه ووريثه الشرعى ، ولكن هنرى بولينبروك لم يكن سوى ابن عم للملك ، وكان له وريث شرعى هو اللورد مارش (March) ، ابن حفيد ليونيل كلارينس (Lionel of Clarence) ، وكان لم يتجاوز السابعة

من عمره . وهكذا أمر بولينبروك بتشكيل لجنة من المحامين والمسئولين لوضع تقرير لتولييه العرش ، بعد أن حبس ريتشارد فى قلعة بومفريت كما يسميها شيكسبير أو بومفراكت أو بونتفراكت (Pontefract) فى أغسطس عام ١٣٩٩ انتظاراً لنتيجة بحوث اللجنة .

وبعد محاولات عديدة لتبرير أحقية نسب بولينبروك أو انتسابه للأسرة المالكة ، حاول أن يبرر اعتلاءه العرش استناداً إلى النصر العسكرى ، ولكن المحامين فزعوا لذلك الاقتراح أشد الفزع ، إذ كان معناه أن يستطيع أى فرد أن يجمع جيشاً فيخلع الملك ويجلس على العرش بالقوة الغاشمة ! واستطاع بولينبروك آخر الأمر أن يقنع المحامين بقبول الصيغة الغامضة التالية للحصول على التاج ، وهى أنه يلبس التاج :

“ through the right that God of his grace hath sent me, with the help of my kin and friends to recover it ”

أى « من خلال الحق الذى أنعم به الله علىّ من فضله ، بمساعدة أقاربي وأصدقائي على استرداده » .

ويوردها هولينشيد دون تعليق ، وكانت تمثل خطوة وحسب ، وكان لابد أن تتلوها خطوات قانونية أخرى يقبلها الشعب . ولم يجد بولينبروك مفراً من اللجوء إلى البرلمان . كانت هناك عقبات قانونية وإجرائية ، ولكنه كان يريد الإسراع بالجلوس على العرش قبل أن تضعف قوة الدفع ، وقبل أن يظهر المنشقون والمعارضون ، وقبل أن يهب ملك فرنسا لمساعدة ريتشارد ، زوج ابنته . ويقول بعض النقاد إنه لم يكن مستريحاً، على الأرجح ، لهذا الحل ،

لأن البرلمان قد يتخذ اليوم قراراً ثم يعدل عنه غداً ، ولكنه لجأ إليه لأنه لم يجد حلاً آخر .

وقد حرصت الرواية الرسمية لوقائع تلك الجلسة البرلمانية ، وهى الرواية التى استكملها المؤرخون المناصرون للملك الجديد ، على حذف أى إشارة إلى أقوال المعارضين ، رغم أن أصواتهم ظلت تعلو ويتردد أصدائها فى مجلس اللوردات سنوات عديدة ، وما زال المؤرخون الدستوريون فى خلاف حول أساس مطالبة بولينبروك بالعرش وصحة تلك المطالبة ، وتزعم تلك الرواية بصفة خاصة أن ريتشارد كان قد وعد نورثمبرلاند فى كونواى (Conway) بالنزول عن العرش ، وأنه كان سعيدياً بتنفيذ ذلك الوعد أثناء وجوده فى القلعة ، وأنه أوصى بأن يخلفه هنرى بولينبروك ، أما الذى حدث فى الواقع فهو أن الملك كان مقهوراً ولا حيلة له فى محبسه المظلم ، فخلع التاج ووضع على أرضية الغرفة قائلاً إنه يسلمه إلى الله ، وكانت تلك 'حركة مسرحية' أخيرة ، تتفق تماماً مع طبع ريتشارد ، وقد أشار هولنشييد إلى ما حاق بالملك من ظلم ، لأنه لم يكتف بالرواية الرسمية ، فسجل احتجاجات واعتراضات أسقف كارلايل ، وهى جديرة بالوقوف عندها قليلاً .

يعتبر النقاد أن وجود أسقف كارلايل على المسرح فى مشهد النزول عن العرش ذو أهمية كبرى ، ليس بسبب الصحة التاريخية فقط أو بسبب تقديمه الجانب الآخر للقضية ، ولكن لأنه يمثل وجهة النظر الدينية التى يستند إليها ريتشارد فى احتفاظه ( أو فى مطالبته بالاحتفاظ ) بعرشه . والتاريخ يقول إن هذا الأسقف كان اسمه توماس ميرك (Merke) ، وكان راهباً من الطائفة البندكتية (Benedictine) ، عمل سنوات طويلة فى حكومة ريتشارد ، فكوفئ



بالأسقفية ، وأنه دافع دفاعاً مجيداً عن حق الملك 'المقدس' أثناء المناقشات البرلمانية فى سبتمبر وأكتوبر ١٣٩٩ ، وكانت حجته تتلخص ببساطة فى أن الرعية ليس لها الحق فى إصدار أى حكم على الملك . وشيكسبير يستفيد مما أورده هولنشييد من تفاصيل زاخرة بالحياة ، وتمتد شهوراً طويلة ، فى إبداع مشهد النزول العلنى عن التاج فى البرلمان ( وهو ما لم يحدث فى الواقع ) مع اعتراضات كارلايل ، وبموافقة يورك الذى كان يمثل بوضوح موقف مجلس اللوردات باعتبارها الهيئة البرلمانية المسئولة ، كما يضيف إليه محاولة نورثمبرلاند إقناع ريتشارد بقراءة قائمة بمخالفاته علناً على أعضاء البرلمان! إنه المشهد (الفصل الرابع من السطر ١٦١ حتى النهاية) الذى يمثل الذروة الدرامية، فهو يجمع قوى الصراع معاً بحيث يتيح لرجل الدين أن يعارض معارضة يصعب دحضها بأى حجج عقلانية، ويقدم فى نفس الوقت سابقة تاريخية خطيرة تؤكد إمكان عزل الملك استناداً إلى أحكام 'الرعايا' ، وإمكان مناقشته وإدانته من جانب نواب الشعب ، ونقل السلطة لا إلى وريث شرعى، بل إلى شخص آخر لا تستند دعواه على رأى رجل الدين! والواقع أن الرقيب لم يستطع أن يقبل نشر هذا المشهد فحذفه من الطبقات الأولى للمسرحية .

لماذا حذفته الرقابة ؟ هل لأنه يمثل انتصار المعارضة و'القوى الثقافية' المناوئة التى يحدثنا عنها أصحاب مذهب 'المادية الثقافية' ؟ أم لأنه يمثل اغتصاباً للعرش « ليس من اللائق » عرضه على الجماهير المؤمنة بحق الملك الإلهى فى الحكم ، ومن ثم فقد يدفع البعض إلى التشكك فى هذا الحق ؟ الواقع أن الإجابة ليست يسيرة ، وكل ما نعرفه هو أن المشهد كان يقدم على المسرح ، وكان يحظى باستحسان الجماهير ، وأن ما طبع منه فى حياة الملكة إليزابيث كان قد تعرض لمقص الرقيب ، ولم يطبع كاملاً إلا بعد وفاتها !

ويكفيينا ذلك العرض التاريخي للوقائع ، فشيكسبير يصل فى ذروة الفصل الرابع حقا إلى النهاية ، ولكن الفصل ينتهى بذكر المؤامرة التى دبرها الأسقف ورئيس دير وستمنستر، وكان لابد أيضاً من « الانتهاء » من ريتشارد . وهكذا يتناول الفصل الخامس بإيجاز تلك المؤامرة ، ودور أوميرل فى الكشف عنها ، ثم يصل بنا إلى موت ريتشارد . والتاريخ يقول إن ريتشارد توفى فى غضون شهر واحد من تلك المؤامرة ، دون أن يذكر شيئاً عن موعد وفاته بدقة أو طريقة وفاته . كان ريتشارد معتقلاً فى قلعة بونتيفراكت فى يوركشير ، وتقول بعض المصادر إنه مات جوعاً، سواء كان ذلك بإضرابه عن الطعام أو بحرمانه منه . وترددت الشائعات بأنه قتل . ويبدو أن الملك الجديد قد تعلم من مؤامرة اللوردات أن وجود الملك فى قيد الحياة بعد خلعه يمثل خطراً وتهديداً لعرشه ، ومن ثم فيحتمل أنه أمر بقتله أو أن يكون بعض الموالين له قد قتلته تحجباً وتقرباً إلى الملك . وسواء كان الملك قد أصدر أمراً مباشراً بقتله أم لا ، فإنه يعتبر ولا شك مسئولاً عن موته ، ولو بصورة مباشرة . أما شيكسبير فإنه يختار إحدى وجهات النظر أو الروايات التى أوردها هولنشيده ، وهى أن السير بيرز إكستون ، الذى لم يظهر من قبل فى المسرحية ، قام بقتله استجابة لطلب غير مباشر من الملك . وإذا كانت المسرحية تصور هنرى - الملك الجديد - فى صورة حاكم يتمتع بكفاءة أكبر من سلفه ( وابن عمه ) فهى تنتهى ، مثلما بدأت ، بملكٍ تُلَوِّثُ الدماء الملكية يديه .

هذا بإيجاز هو الإطار التاريخي للأحداث على نحو ما رواه هولنشيده فى كتابه عن تاريخ إنجلترا، وما روته المصادر الأخرى، مثل مسرحية وودستوك المجهولة المؤلف، وكتاب آخر كتبه السير جون هايوارد Sir John Hayward بعنوان هنرى الرابع، وقيل إن شيكسبير قرأه وتأثر به، وهو كتاب يتناول حياة

ريتشارد الثاني بصفة أساسية ، ولايكاد يتناول حياة الملك هنري الرابع ( وهو عنوان الكتاب ) ، وأهم ما يميزه هو أنه يستغل التشابه بين حكم ريتشارد وحكم الملكة إليزابيث ، التي كانت على العرش آنذاك ، وكان ذلك التشابه ، أو تلك الموازنة ، مما شاع بين 'مثقفي' العصر آنذاك ، إذ كتب السير إدوارد كوك Sir Edward Coke مقالاً يهاجم ذلك الكتاب ويصفه بأنه من المنشورات التي تدعو إلى الفتنة « وأنه « كتاب خيانة » لأن مؤلفه « يختار قصة عمرها ٢٠٠ سنة وينشرها في العام الماضي معتزماً تطبيقها على عصرنا الحالي » (وقد نشرت باحثة تلك المقالة في دراسة لها عن المتاعب التي صادفها هايوارد بسبب ذلك الكتاب ، وكان اسم الباحثة مارجريت داولنج - Margaret Dowl-ing ، وذلك في عام ١٩٣١ .

ويروى المؤرخون أن الملكة إليزابيث قد غضبت غضباً شديداً من ذلك الكتاب وأرادت إعدام المؤلف ، لولا تدخل السير فرانسيس بيكون (Bacon) شخصياً ، بحذق ومهارة ، لتأجيل الحكم عليه ، والواقع أن هايوارد ظل محبوساً حتى توفيت الملكة . ويقول شونبوم Schoenbaum في دراسته المحورية في هذا الصدد بعنوان حقائق السلطة The Realities of Power المنشورة في الكتاب الدوري السنوي الذي يتضمن أهم الدراسات عن شيكسبير (وكننت من المشتركين فيه حتى عام ١٩٧٦) وعنوانه Shakespeare Survey 28 (1975) ( أى مسح الدراسات الشيكسبيرية ) إن شيكسبير وفرقته لم يتعرضوا لأي أذى بسبب المسرحية ، مضيئاً :

« ربما تدخل أحد الأطراف المحايدة، على أعلى مستوى ، لإنقاذ شيكسبير . وقد حدد الباحثون هذا الطرف في الآونة الأخيرة بأنه

وليام لامبارد William Lambarde ، القصاصى ورئيس ديوان  
التصاريح ، وهو الذى قدمت إليه الملكة احتجاجها على كتاب هايوارد  
وقالت قولتها المشهورة له « ( ص ٦٧ ) .

ويعنى الكاتب بهذه القولة كلماتها التى أصبحت مضرب الأمثال : « إننى  
أنا ريتشارد الثانى - ألا تعرف ذلك ؟ »

“ I am Richard II, Know ye not that ? ”

وأما الناقد الذى يشير إليه شونبوم فهو W. Nicholas نايت Knight وكتابه هو حياة شيكسبير الخفية : شيكسبير أمام القانون ١٥٨٥ - ١٥٩٥ (١٩٧٣) وهو يستفيد فيه من أعظم بحث صدر حتى الآن عن علاقة ريتشارد الثانى بالملكة إليزابيث الموحى بها فى المسرحية ، وهو البحث الذى نشرته منذ ما يزيد على سبعين عاماً الأستاذة إيفلين مارى أولبرايت Evelyn Mary Albright بعنوان «ريتشارد الثانى عند شيكسبير ومؤامرة اللورد إيسيكس» Essex وفيه تقيم الأسانيد على أن مؤامرة اللورد إيسيكس ضد الملكة إليزابيث لها علاقة مباشرة بمسرحية شيكسبير ، وقد نشرته فى عام ١٩٢٧ فى مجلة PMLA ، ثم رد عليها الناقد هيفنر Ray Heffner ( فى المجلة نفسها عام ١٩٣٠ ) ليعارض ما جاءت به ، فعادت إلى الرد عليه ردًا مفحماً فى المجلة نفسها فى العام التالى ، مما دفع الباحثين إلى أخذ وجهة نظرها مأخذ الجد ، حتى إن شونبوم يزعم فى المقال المشار إليه أن اللورد إيسيكس وأصدقاءه طلبوا من فرقة شيكسبير تقديم المسرحية يوم السبت ٧ فبراير ١٦٠١ ، وأنهم اجتمعوا للغداء للتمتع بمشاهدة سقوط الملك قبل تنفيذ المؤامرة يوم الأحد ، ولكن محاولة الانقلاب فشلت ، وحوكم إيسيكس وأعدم ، ولدينا شهادة السير

فرانسييس بيكون الذى كان يعرف أحد المتآمرين فكتب عنه يقول (والرواية هنا واردة فى مقال شونبوم) «إنه [ أى السير جيلى مايريك Gilly Meyrick ] كان حريصاً أشد الحرص على إمتناع عينيه بمشاهدة تلك المأساة، والتى كان يظن أن رئيسه [ أى لورد إيسيكس ] لن يلبث حتى ينقل أحداثها من خشبة المسرح إلى واقع الحياة فى الدولة، ولكن الله أحبط سعيهم ورد كيدهم إلى نحركم » .

ولاشك أن من يؤمن 'بالمادية الثقافية' سوف يجد فى كل هذه الدراسات زاداً يستعين به فى إثبات صحة التناول الذى يربط بين مسرحية شيكسبير والعصر الذى كُتبت وقُدِّمت فيه، وإثبات دلالتها المعاصرة للحقبة الإليزابيثية، باعتبارها نبتاً فكرياً ناضجاً 'للقوى الثقافية' المتناحرة فيه، كما سيجد المؤمن 'بالتاريخية الجديدة' بعض 'الوثائق' التى تحصر مسرحية شيكسبير فى حدود عصرها، وتنسبها بقوة إلى ذلك العصر. ولكن أياً من المدرستين لن تفلح فى إلقاء الضوء على أهم ما تتميز به هذه المسرحية، وهو تصويرها الفريد للشخصية المحورية، وهو ما تنبّه له كبار الشعراء والنقاد، ومن بينهم وليم بطليريتس والتر بات، على نحو ما ذكرنا، وأظن ظناً أن إبداع هذه الشخصية، والبناء الفريد للمسرحية، هو ما كفّل النجاة للشاعر المسرحى الكبير من براثن الحكومة، بغض النظر عن تدخل الرقابة بالحذف أو التعديل.

ولنبداً بالرأى الذى أبداه والتر باتر منذ أكثر من مائة عام ، فشق الطريق لمنهج جديد فى النظر إلى المسرحية ، لم يعارضه سوى عدد محدود ، وسوف نعرض للمعارضة أيضاً ! يبدأ والتر باتر مقاله فى كتابه (فى التذوق والتقويم) Appreciations (١٨٨٩) بعبارة أصبح الكثيرون مولعين باقتطافها ، وما يليها من عبارات مرهقة للمترجم ، وها هى :

« إن الملوك الانجليز عند شيكسبير يتمتعون بمزية رائعة بكل تأكيد: إنهم صحبة ذات فصاحة وبلاغة ، وريتشارد الثانى يفوقهم جميعاً فى حلاوة لسانه وطلاوته . وربما كانت هذه « المسرحية التى تدور حول خلع الملك ريتشارد الثانى » أكثر المسرحيات حفولاً بزهور الكلم النضرة البهيجة المنوعة ، لوئاً وشكلاً ، وهى ليست مضافة إضافة لطيفة إلى العبارة بل مذبابة فيها ، وشيكسبير يُنطق بشخصه بها، ويكفيه أنه شاعر باهر ، من البداية إلى النهاية ، فى النور والظلمة معاً ، قادر على أن يرى كل شىء بعين الشاعر ، وأن يضيف الشعر على حركة كل شىء ، وهو ينعش النفس بلغته الذهبية ، ويث النضارة حتى فى أقدم الجوانب المألوفة لذلك التناقض الساخر الأليم بين ما يتظاهر به الملك ويدعيه ، وما تضطره إليه حقائق مصيره الفعلى . يا لها من حديقة للكلمات ! » .

ونحن عادة ما نستخدم 'زهور الكلم' فى أيامنا هذه للدلالة على البديع والبيان، خصوصاً على لغة المجاز من تشبيه واستعارة، ولكننى فضلت أن أقدمها فى صورتها الأصلية لأنها جزء من أسلوب باتر المميز، فكأنما يحاكي شيكسبير فى التعبير باللغة المجازية! والواضح أن باتر، الذى ارتبط اسمه بالنقد الانطباعى أو الجمالى، يرى - على ما فى أسلوبه من إطناب - رؤية محددة للشخصية المحورية، فهو يقيم علاقة وثيقة بين ريتشارد وبين ما أضفاه شيكسبير عليه من طاقة شعرية - والمفتاح هنا هو كلمة 'يتظاهر' وكلمة 'يدعى'! فالناقد ذو الحساسية الفائقة قد أدرك أن ثمة تظاهراً ما يجعل من ريتشارد أقرب إلى الممثل الذى 'يلعب' دوراً مرسومًا له. وبعد عرض وجهة نظره بصفة غامة، يستدل بجزء من المشهد الذى يستدعى فيه بولينبروك غريمه حتى يعلن

نزوله عن العرش في البرلمان ، وعلى الملأ . إن مغتصب التاج يقول :

أحضروا ريتشارد هنا حتى ينزل عن الملك

أمام الجميع

( ١٥٦ - ١٥٥ / ١ / ٤ )

ويعلق باتر على ذلك قائلاً :

« إن ريتشارد يبدي ما يزيد عن الموافقة : إنه يلقي بنفسه في ذلك الدور [التمثيلي] ويحقق نغماً معيناً من الشخصية ، ويهبط برشاقة على مسرح العالم . لماذا استدعاه بولينبروك ؟ »

ويجيب باتر على ذلك مقتطفاً كلمات يورك أولاً - ويتبعها بسطر يقوله ريتشارد :

- تنفيذ ما عرضت القيام به بمحض إرادتك

بعد أن أرهقتك تبعات الحكم ...

١٧٩ - ١٧٨ / ١ / ٤

- انظر الآن كيف أنفى وجودي وأخلع ذاتي

٢٠٢ / ١ / ٤

ثم يمضى قائلاً :

« لا ! إن الملوك عند شيكسير ليسوا عظماء ، بل ولا يرمى شيكسير إلى أن يجعلهم عظماء ، فالواقع أنهم من البشر الصغار أو

العاديين الذين فُرضت عليهم العظمة فرضاً ، مما يؤدى إلى إثارة أعمق  
الأشجان . إن رثاء الضعيف لحاله أمر طبيعى ، ولكنه يسمو لديهم  
ويرتفع بسبب منزلتهم الملكية حتى ما يملك أحد إلا أن يستجيب  
إليه .»

المفارقة التى يكتشفها والتر باتر هى مفارقة الضعيف الذى كُتب عليه أن  
يكون قوياً ، أو أن يبدو قوياً على الأقل ، وهو لذلك يحاول جاهداً أن  
« يلعب » الدور المرسوم له ، متجاهلاً حساسية الشاعر التى لا تحتمل أو لا  
تستطيع أن تتحمل ضربات القدر العاتية ، فتتهشم بسرعة ، وهو ما دهش له  
بعض النقاد - أقصد سرعة استسلامه وتسليمه بالهزيمة - بل إنه هو ما دهشت  
له الملكة ، فهى تصيح فى وجه الملك الذى سقط عنه قناع الممثل ( الملك ) :

- عجباً ! هل انقلب حال زوجى ريتشارد ؟

هل أصابه الضعف فى الجسد والنفس معاً ؟

هل خلع بولينبروك عقلك ؟ هل نفذ إلى قلبك ؟

إن الأسد فى النزاع الأخير يخمش الأرض بقدمه

إن لم يجد ما يخمشه حنقاً وغضباً لهزيمته !

- ( ٢٦/١/٥ - ٣٠ )

فالملكة فى رأى باتر لاتستطيع أن ترى أن ريتشارد ليس أسداً ، ليس مثل  
سميه ريتشارد قلب الأسد ، بل هو شاعر حساس ، وممثل يرتدى ثوب الملك  
ويمسك بالصولجان ، فإذا خرج من المسرح ، كان عليه أن يغير ملابسه !



وقد أعرب عن مثل  
العشرين ، فكتب و.ب. ي.  
مقالاً بعنوان 'فى سترانفورد أو

« لا أستطيع إلا الاعتق  
الثانى فى المسرحية بعين العطف  
أنه لم يكن خليقاً بمهام الملك ، فى  
ولو أنه كان يدرك أنه شخصية محببة  
الذى يشطح به أنى حلّ وارتحل » .

[ الأسمال الكاملة ]

وفى عام ١٩٣٩ أصدر مارك قّان دورين Joren  
شيكسير يطرح فيه السؤال نفسه ويجيب عليه إذ يقول :

« ما الذى يفسر عجز ريتشارد عن معارضة بولينبروك على  
الإطلاق ؟ ما الذى يفسر انهياره المفاجئ حالما يصبح خطر خلعه عن  
العرش خطراً حقيقياً ؟ ما الذى يفسر هبوطه إلى حالة من الرثاء  
الخالص لنفسه والشعر الصافى ؟ والإجابة بسيطة ، فإن ريتشارد شاعر  
وليس ملكاً » ( ص ٨٩ ) .

وفى عام ١٩٧٢ أصدر روبرت أورنشتاين Robert Ornstein كتاباً عنوانه  
« مملكة فى مقابل خشبة المسرح يقول فيه :

« نحن لا نعرف على وجه الدقة سبب قرار ريتشارد بإلغاء المباراة  
بين بولينبروك وموبراى فى آخر لحظة . ولكننا ندرك الطابع المسرحى

المميز الذى تتسم به تلك الحركة ، فهذا هو ذا الضعيف يجد لذة غامرة  
فى إصدار الأوامر إلى من هم أقوى منهم وأجسر ، ( وفى إهانتهم  
وإذلالهم ) « . ( ص ١١٠ ) .

ولم يختلف مع هذا رأى إلا عدد محدود ، على نحو ما ذكرنا ، كان  
أولهم شونبوم الذى حاول إبراز قوة الملك فى تحليله للمشهد الافتتاحى ، وهو  
حجته برمتها على افتراض الدهاء فى الملك الذى يجعله يتظاهر بالضعف ،  
لا يؤيده فيه أحد ، وإن كان يحاول دعم موقفه ، بأن يستشهد برأى  
ناقد يدعى مودى برايور Moody E. Prior نشره فى كتاب بعنوان دراما السلطة  
عام ١٩٧٣ ويبدو أنه يتفق مع شونبوم فى تحليله للمشاهد الأولى فى  
المسرحية ، كما يستشهد بالمقال الرائع الذى كتبه لويس بوتير Lois Potter فى  
Shakespeare Survey ( العدد ٢٧ الصادر عام ١٩٧٤ ، الصفحات ٣٣ -  
٤١ ) ويرى فيه تأييداً له ، وما هو بمؤيد ولا مناصر ! إذ إن بوتير يعرض  
للبلاغة التى تتضح فى أفواه الضعفاء حتى لتكاد تغنيهم عن 'الفعل' أو لتكاد  
أن تصبح بديلاً عن القوة ، فهى مصدر قوتهم الوحيد . وهو يحلل النمو  
المطرد للغة الشعر الحافلة بالسّمات البلاغية فى أحاديث ريتشارد ، على عكس  
بولينبروك . ويستدل شونبوم من ذلك على أن الملك كان قوياً فى البداية ثم  
ضعف ، وهو استدلال لم يلق القبول من سائر النقاد .

أما الرد الحقيقى على هذا الرأى ، رغم أنه لا يدحضه ، فقد جاء متأخراً ،  
إذ أورده أندرو جور فى مقدمته لطبعة المسرحية ( كيمبريدج ) التى صدرت عام  
١٩٨٤ ، وأعيد طبعها عام ١٩٨٨ ( والطبعة التى فى يدي هى طبعة جديدة  
صدرت عام ١٩٩٥ ) وهو يبدأ مقدمته الطويلة ( ٥٠ صفحة من القطع الكبير )

بمعارضة أساطين الدراسات الشيكسبيرية فى القرن العشرين ( مثل جيفرى بولو Geoffrey Bullough وتليارد E. M. W. Tillyard ) فيما ذكره عن انتماءات شيكسبير السياسية والمصادر التى استقى منها مادته ، وحديثه هنا يفيد المؤمن بالتاريخية الجديدة ، ثم ينتهى إلى القول بأن « افتراضاتى الخاصة بمصادر مادته ، على نقيض افتراضات ناشرى طبعات كيمبريدج السابقين ، تقول بأن اختيار شيكسبير لمادته كان يهتدى بفكرة بالغة الدقة عن البناء الذى كان يريد أن يقيمه ، وأن اختياره كان يعتمد على الشكل الدرامى ومبدأ التوازن أكثر من اعتماده على أى توجهات سياسية سابقة . إن الشكل الكامل للمسرحية هو كل ما نستطيع أن نعتمد عليه فى الحقيقة » . ( ص ١٥ - ١٦ ) .

وانطلاقاً من تلك القاعدة يبدأ 'جور' فى عرض ما يعنيه بالتوازن أو الاتزان ، فيقتطف عدة أبيات وفقرات ليؤكد وجود صورة الميزان الاستعارية فى صلب البناء ، وكذلك فى بعض الصور الشعرية التى يحفل بها النص ، مثل صور العناصر الأربعة فى الطبيعة التى تشكل نمطاً استعارياً عاماً للبناء ، فهى توحى بأن ريتشارد يبدأ كالنار والهواء ، وينتهى كالماء والتراب ، وأن بولينبروك يصعد فى الاتجاه المعاكس ، ويورد من الصور ما يؤكد ذلك ، ومن خطوط الحبكة ما يثبت انعكاس الأوضاع فى كفتى الميزان فى الفصل الثالث ( المشهد الثالث ) . كما يشير إلى مبدأ التوازن أو الخلل ( فالاختلال صورة انعدام الاتزان ) الذى يتجلى فى المقابلة بين الأجيال ، فالجيل الجديد خائن ، فى مقابل الجيل القديم المخلص ، ويدلل على ذلك بنماذج وأبيات من النص حتى يقول :

« هذا البناء يلقي بعض الضوء على شخصيتى ريتشارد

وبولينبروك ويمثل وسيلة لتلافي النظريات المتحذلقة عن كون ريتشارد ممثلاً أو شاعراً ، وهى التى دخلت إلى تفسيرات القرن العشرين للمسرحية بإيعاز من باتر وييتس . وهو يقدم كذلك منظوراً لما أصبح بعض القراء يرونه فى المسرحية ، نتيجة لذلك ، من انقسام بين الذات الحقيقية واللغة الحقيقية ، أى بين ريتشارد الفرد المستقل ، وبين الذات العامة واللغة الزائفة - أى القناع الملكى » .

ولكنه يتعرض مع ذلك بالتفصيل لفكرة ذلك الانقسام ، ويورد من آراء النقاد ما يؤكد ما يريد أن ينتهى إليه ، فهو يورد رأى الناقد كانتوروفيتز Kantorowicz الذى عرضه فى كتاب نشره عام ١٩٥٧ بعنوان « جسد الملك : دراسة فى اللاهوت السياسى للعصور الوسطى » ويقول باختصار إن الانقسام بين الجسدين كان من 'الخرافات القانونية' التى نشأت فى العصور الوسطى ، وكانت تقوم على فكرة الانفصال المصطنع بين جسد الملك المادى وبين وجوده الروحى أو القانونى بصفته حاكماً ، وكانت فكرة الحق الإلهى فى الحكم بمثابة دعم لتلك 'الخرافة' ، لأنها حالت دون انفصام الكيانين ، ولكن تحول انجلترا منذ عام ١٢٧٢ إلى نظام الملكية الوراثية ( بدلاً من الانتخاب ) جعل افتراض السلطة الإلهية ضرورة لا غنى عنها ، إذ أصبح قانون الوراثة الطبيعى قانوناً إلهياً أيضاً ، فأصبح التاج من الأملاك التى تُورث .

وبعد التفصيلات المستفيضة لهذه النظرة ، يورد إشارة لكتاب أظنه من أفضل الكتب التى ظهرت حتى الآن فى هذا الصدد ، وهو كتاب كولدرودود J.L. Calderwood الذى أصدره عام ١٩٧٩ بعنوان « الميتادراما فى سلسلة مسرحيات الملوك الذين يحملون اسم هنرى : من ريتشارد الثانى إلى هنرى

الخامس » وكنت أتوقع أن يعرض لرأيه بالتفصيل ، فهو من أهم الدراسات الخاصة بفن المسرح بصفة عامة ، ولكنه أشار إليه فى عبارة مقتضبة وأرجأ الحديث المفصل إلى وقت آخر . ولما كانت هذه النظرة الجديدة إلى المسرحية تضعها فى سياق 'علم العلامات' أو السيميوطيقا ، ولما كان قد سبق هذا الكتاب أستاذ متخصص فى هذا العلم هو تيرنس هوكس Terence Hawkes بكتاب رائع اسمه « الحيوانات الناطقة فى شيكسبير : اللغة والدراما فى المجتمع » ، لندن ، ١٩٧٣ ، فلا بد لنا من وقفة قصيرة نعرض فيها لمعنى 'الميتادراما' .

أبسط معنى للميتادراما هو الدراما التى يصبح موضوعها هو الدراما ! وتيسيراً لهذه الفكرة العصبية ، نقول إن القصيدة التى تتناول موضوع الشعر يسمونها اليوم 'ميتاشعر' ، والرواية التى تتحدث عن كتابة الرواية تسمى 'ميتارواية' والنقد الذى يناقش النقد يسمى 'ميتانقد' وهلم جرأ ، فما معنى أن يكون موضوع الدراما هو الدراما ؟ إن شيكسبير هنا يجعل الدراما ( أو الحركة والصراع ) تتجسد فى وعى الشخصيات بأنها ليست حقيقية ، أى بأنها 'تلعب' أدواراً كتبها لها القدر ، وأنها تحاول الإجابة فى أداء هذه الأدوار إذا قبلتها ، أو الخروج منها إذا لم تقبلها ! أى أن المعيار هنا هو وعى كل شخصية ، خصوصاً الشخصية الرئيسية ، بوجود مستويين للواقع ، أحدهما فعلى ، ومادى وتثبتته الحواس اليقظة ، والآخر فكرى ، وشعورى ، ومتخيل أو متوهّم . فإذا اندمج الشخص فى المستوى الثانى اندماجاً يبعده عن المستوى الأول لم يعد يختلف عن الشخصيات الكلاسيكية فى المسرح المعروف ، أما إذا كانت عينه دائماً على المستوى الأول ، مهما تكن درجة اندماجه ، فسوف يكون قد دخل حيز 'الميتادراما' !

ولنضرب مثلاً للتدليل على وجود المستويين المتلازمين اللذين يجعلان ريتشارد ( وغيره ، كما سنبين ) على وعى بالأبعاد 'التمثيلية' لكيانهم وفعالهم . ولنبدأ بالمشهد الذى حذفه الرقيب من المسرحية ، وهو مشهد نزول ريتشارد عن العرش ، وبالتحديد مشهد المرأة الذى ابتدعه شيكسبير . إن المرأة هى الذروة التى تمثل وعى ريتشارد بأنه يمثل دوراً رسم له ، وهو يخاطب الحاضرين مثلما يخاطب الجمهور واعياً بأن دور الملك لم يعد يناسب الممثل ! وهو ينكر أن له ذاتاً ثابتة لم تتغير بتغير الزمن ، ثم يكتشف أن وجهه (وجه الممثل الأصلي) لم يتغير فى المرأة ، ويذهل لهذه المفارقة :

ريتشارد : أعطني تلك المرأة وسوف أقرأ ما فيها

ألم تبرز الغضون الغائرة بعد ؟ هل لطمنى الحزن

كل هذه اللطمات على وجهى دون جروح غائرة ؟!

يا لك من امرأة مدهانة ...

هل هذا هو الوجه الذى كان يرعى

عشرة آلاف رجل كل يوم تحت سقف منزله ؟...

ما يزال يبرق بريقاً هشاً بمجد غابر

والوجه هش مثل بريق المجد !

[ يحطم المرأة ]

وها هو ذا قد انكسر وتفتت مائة شظية

إذ ما أسرع ما دمر الحزن وجهى !

بولينبروك : بل إن ظل حزنك قد دمر ظل وجهك !

ريتشارد : قل ذلك ثانيا : ظل حزني ؟ فلتنظر في الأمر

(٤ / ١ / ٢٧٥ وما بعده)

أى إن انكسار 'الظل' كان ينبغي أن يمثل انكسار 'الشيء' ، ولكن ريتشارد وبولينبروك يناقشان تبادل الأدوار هنا ، أى إن الموضوع هو 'تمثيل' دور الملك ، لا الملك الذى يتولى الملك 'بالحق المشروع' وفقاً لقواعد 'اللعبة' ! والشخصيات الأخرى تشارك هذين فى إدراك الطابع 'التمثيلي' للحدث ، وصورة الظل من الصور الرئيسية وإن لم يلتفت إليها النقاد ، فى تفسير ذلك :

بوشى : لكل حزن جسم له عشرون ظلاً

ويبدو الظل شبيها بالحزن وإن لم يكن كذلك ...

إن ما تريته ظلال لكيان كاذب !

ولا وجود لما يتراءى لك إلا

فى عين الأسى الخادعة التى تندب الوهم لا الحقيقة

الملكة : ... لكأنما أصبح تفكيرى فى عدم الفكر

مصدر هم وفكر ! وأصبح عدم الفكر

عبئاً ثقيلاً أنوء تحته وأرزع !

بوشى : إنه وهم أى عدم يا مولاتى !

الملكة : الوهم يتحدر من سلالة حزن قديم

ولكن حزني وجود ينحدر من عدم

أو قل إن العدم الذي يحزنني له وجود !

( ١٤ / ٢ / ٢ ) وما بعده

هذا الحوار الذي وقف النقاد طويلاً أمام التلاعب اللفظي فيه ليس مجرد 'استعراض' للمهارة اللفظية ، ولكن اللغة هنا هي مناط الحدث الدرامي ، فوعى كل متحدث بما يقول يدل على إدراك راسخ للمستوى الأول - مستوى الواقع الذي يفصله عن الدور الذي 'يلعبه' ، فهو يدور في اتجاه كسر حاجز الوهم الذي يجعل الممثل يندمج في الدور فينسى أنه 'يمثل' ! وليس ذلك مقصوداً بطبيعة الحال على ريتشارد بل يشاركه الكثيرون من 'الممثلين' الآخرين !

فلماذا وافقنا كولدرود على هذا الرأي ، كان علينا أن ننظر في الصور الشعرية التي يبنها شيكسبير بمهارة فذة للإيحاء بالانفصام بين الوهم والحقيقة ، وقد سبق للناقد ريتشارد ألتيك Richard D. Altick أن تعرض بالتفصيل لهذا الموضوع ، دون ربطه بفكرة الميتادراما ( إذ لم تكن قد وُلدت بعد ! ) في عام ١٩٤٧ ، في مقال بعنوان « الصور الشعرية السيمفونية في ريتشارد الثاني » ، ونشر في مجلة PMLA . ويعرض الناقد لشتى الصور مثل النار والهواء والتراب والماء ، ومثل الدم بمعانيه المختلفة ، مقارناً إياه بصورة الدم في مكبث مثلاً ، وغيرها ، ولكنني سأقف هنا عند صورتين أو ثلاثاً من الصور التي أراها أقرب إلى هذه الفكرة المحدثة ، وأول هذه الصور صورة اللسان (وصورة الأنفاس والفم ) وكل ما يوحي بالكلام . وهو يعلق على ذلك قائلاً :



« وهذه المجموعة من الكلمات المترابطة تؤكد بشدة فكرتين رئيسيتين فى المسرحية . فهى تلفت الانتباه فى المقام الأول إلى النزوع نحو الكلام [ أى التعبير بالألفاظ لا بالأفعال ] وهو الضعف المهلك فى حالة ريتشارد . إنه لا يستطيع أن يقنع نفسه بالحياة فى عالم الواقع المحسوس والحقائق الصلبة ، فحقيقة العالم لديه تتمثل فى مجموعات من الكلمات الجميلة . ويحاول أوميرل بنبرات تكاد تكون فظة استدعاه من العالم الذى ينسج فيه أصواتاً عذبة شجية حزينة إلى إدراك أزمة الواقع الذى يواجهه ، وهو يفىق للحظة عابرة ، ثم ينجرى من جديد فى متعة الإصغاء إلى صوت لسانه . ونحن نتذكر هذه الخصيصة دوماً لأن جميع الشخصيات تلجأ إلى أساليب التعبير الملتوية المسهبة عند روايتهم لما قالوه أو قاله غيرهم . وقيامهم بأداء فعل الكلام المادى ، وإبراز حقيقة اللغة بوضوح وجلاء ، يوجه الأنظار إلى طابعها الوهمى - أى إلى الفرق الشاسع بين ما يسميه علماء دلالة الألفاظ عالم 'المفهوم' وعالم 'المصدق' . ولا يغيب مطلقاً عن أذهان الشخصيات أن الكلمات أصوات تقليدية متعارف عليها ، يصوغها اللسان ، وأن الواقع شئ آخر » .

( ص ٢١٣ - ٢١٤ )

وقد أوردت هذه الفقرة كاملة لتأكيد الصلة بين أحدث النظريات النقدية - أى الميتادراما - وبين ما رآه باتر وييتس من نزوع ريتشارد إلى الشعر ، وإرتدائه قناع الممثل ، بغض النظر عن صدق نظرية 'الجسدين' وفكرة الحق الإلهى للملك .

وقد يكون من المناسب أن أشرح عبارة التناقض بين عالم 'المفهوم' وعالم 'المصدق' التي أوردها ألتيك : المفهوم أو (intension) هو الخصائص والصفات التي تحدد ماهية الشيء أو الأشياء ، وأما 'المصدق' (extension) فهو الأشياء الفعلية التي توجد فيها هذه الخصائص أو الصفات ، ولم يعد بعض علماء دلالة الألفاظ يحافظون على التفرقة بينهما ، على نحو ما يفعل جون ليونز Lyons في أحدث كتاب له عن دلالة الألفاظ من منظور علم اللغة **Linguistic Semantics** (١٩٩٥) إذ يعتبرهما متكاملين فيما يسميه بالمعنى المحدد denotation (ص ٨٢) ولكن كثيرين آخرين ما يزالون يفرقون بينهما ، والتفرقة هنا لازمة لأنها تعني أن اللغة في المسرحية يمكن أن تعتبر المسرح الذي تنفصل فيه المفاهيم عن الأشياء ، والأشياء عن دلالاتها ، في حدود 'الأدوار' التمثيلية التي تصطنعها كل شخصية من الشخصيات .

وختاماً لهذه المقدمة التي طالت بعض الشيء ، أورد رأياً اعتبره مثيراً للنقاد الذي بدأت به العرض (أو الاستعراض) وهو والتر باتر ، إذ يزعم أن 'وحدة الانطباع' في المسرحية ترقى بها إلى مصاف الشعر الغنائي . ولن أقف طويلاً عند ما قاله النقاد وهم كثيرون تحليلاً لعناصر هذه الوحدة ، بل سأذكر مناقشة دارت بين اثنين من كبار الأساتذة حول رأى إدجار ألان بو في الشعر ، وجوهره أو قل مثله الأعلى هو وحدة الانطباع التي لا تتحقق إلا في القصيدة القصيرة ! فإذا أمكن للقصيدة الطويلة أو المسرحية الشعرية أن تحقق ذلك المثل الأعلى فقد اقتربت من الشعر الغنائي ! رحم الله رشاد رشدي وأمين روفائيل !

ولا أدل على قصور التقسيمات التاريخية للنقد الأدبي إلى 'رومانسى' و'حديث' أو (حديث modernist) من أن يعلى نقاد اليوم شأن التركيب

’السيمفوني‘ التي يجمع بين الأصوات المتعددة (أو تعدد الأصوات -polypho-ny) في العمل الفني ، الذي يعزى إلى كتابات ميخائيل باختين Bakhtin ، وأن يهتموا بمبدأ الثنائيات binary sets أو binarism أو المقابلات الثنائية - binary oppositions - الذي يعزى إلى رومان جاكوبسون (أو ياكوبسون) Roman Jakobson .

( انظر )

**Jakobson on Language**, ed. Linda R. Waugh and Monique Monville - Burston, Combridge, Massachusetts and London, 1990, pp. 261 - 262 & 489 - 490 & 320 - 321 ).

وذلك في إطار وحدة العمل الفني، في حين ترجع جذور هذه النظرة إلى كولريدج (انظر المصطلحات الأدبية المشار إليه آنفاً) ووردزورث Wordsworth في مقدمته الشهيرة لديوان البالادات الغنائية (طبعه ١٨٠٢) وإلى النقاد الكلاسيكيين من أبناء النهضة الأوروبية أيضاً. والمدعش أن تتغير الألفاظ التي يستعملها كل منهم في الإشارة إلى مبدأ ’التقابل في ظل الوحدة‘ ثم لا يتغير ما يرمون إليه ، ولم يكن والتر باتر حسن الحظ في هذا السبيل ، إذ تجاهله النقد الحديث ، ولا يكاد يلتفت إليه الدارسون العرب ، على ما يحفل به نقده من نظرات ثاقبة يدين الكثيرون إليها بالكثير - وهكذا فإن ريتشارد ألتيك الذي كتب عن ’الصور الشعرية السيمفونية في ريتشارد الثاني‘ على نحو ما سبقت الإشارة إليه يبدأ دراسته باقتطاف أجزاء من ختام دراسة باتر عن المسرحية ، وأوثر هنا أن أقدم للقارئ العربي هذا الختام كاملاً من كتاب « في التدوق والتقييم » الذي سبق اقتطاف جزء منه . إن باتر يمهد لحديثه بأن يضع هذه المسرحية مع روميو وجوليت في إطار عدد صغير من المسرحيات ، يقترب

فيها الشكل الدرامى من بناء 'السيمفونية الكاملة' ، ومن ثم يقترب من شىء يقول إنه :

« يشبه البالاد [ الموال الغربى ] الغنائى ، أو الأنشودة أو الأغنية ، أو النغمة الموسيقية الواحدة . أما ما هو 'النوع الشعرى' الذى ينبغى أن نعتبره أرفع الأنواع ، فربما كان سؤالاً عقيماً . فإذا كانت وحدة الانطباع فى العمل الفنى تعتبر بصفة عامة دليلاً على الكمال ، فسوف يكون الشعر الغنائى الذى يحتفظ ، مهما يبلغ من تعقيد تركيبه وبنائه ، بوحدة العاطفة المتدفقة وتفرداها ، أعلى مكاناً من الشعر الدرامى ، خصوصاً من وجهة نظر القارئ ، لا من وجهة نظر المتفرج فى المسرح الذى يساعد [ عن طريق التعاطف والمشاركة ] فى الأداء المسرحى ، إذ يظل العمل المسرحى فى حاجة إلى الجهد اللازم لمنع أجزائه المختلفة من التشتت ، وهو ما يسمى بالاستمرار الناقص أو 'التقطع' وهو الذى حاول النقد القديم عبثاً أن يتغلب عليه من خلال قاعدة «الوحدات» الدرامية . ومن ثم فإن درجة الكمال الفنى فى أى مسرحية من المسرحيات ، تتوقف على درجة اقترابها من تحقيق تأثير الشعر الغنائى ، فكأنما ما يزال البالاد الغنائى (أو الأنشودة) قائماً فى أصلها ، أى فى جذورها ، بحيث نرى جميع ألوان الصراع والتقابل بين الشخصيات وبين الأحداث وقد انضوت جميعاً فى نطاق نغمة واحدة ، أو لحن موسيقى واحد . وكان بناء النماذج الدرامية الكلاسيكية يعتمد على الجوقة التى ينفصل عنها شخص أو شخصون ، ويتفرع عنها حدث أو أحداث ، ومن خلال التقابل بين الأضداد والصراع ، تعود هذه جميعاً ، بعد تعميق نطاقها الفكرى وتعقيده

وتوسيعه لتشكيل وحدة الانطباع، وهو الذى لابد أن يشعر به الإنسان فى الدراما الكاملة، فهى وحدة العمل، وهى تفرد، وهى هويته. إن ذلك الانطباع الواحد الذى يتركه العمل فى ذهن الإنسان بعد ستار النهاية، لا أى حدود مصطنعة للزمان أو المكان، هو الذى يكمن فيه سر «الوحدات» الدرامية، فهو الوحدة الإبداعية الحقيقية». (المرجع نفسه ص ١٩٨).

واستناداً إلى هذه النظرة، يمكن للناقد أن يحلل بناء النص من زاوية التناغم السيمفونى بين الصور الشعرية التى تحقق الوحدة، أو من زاوية البناء الثنائى الذى يستخدم أندرو جور تعبير 'التوازن' فى الإشارة إليه، ويمكننا إذا وسعنا نطاق النظرة الدرامية أن نجد مكاناً لتعدد الأصوات الباختينية من زاوية 'المادية الثقافية' نفسها بل ومن زاوية 'التاريخية الجديدة' بل ويمكن للقارئ المحدث أن يجد مكاناً لتطبيق المنهج التفكيكى الذى سيبين له كيف تنفى أقوال ريتشارد نفسها بنفسها، وكيف يؤدى كل قول من داخله إلى نقيضه، فالشاعر شيكسبير هنا يستعين 'بأفعال الكلام' Speech acts لتدمير معنى الكلام، أى إن مجرد النطق بالألفاظ قد يترك فى النفس أثراً مخالفاً لمعناها، وهو الذى كان يبتس ينسبه إلى 'التمثيل'، فالممثل يقول شيئاً يعرف أنه غير متحقق فى الواقع، وقد يكون ريتشارد - على نحو ما يزعم جور - غير مؤمن فى أعماقه بنظرية الحق الإلهى للملوك، فإذا صح ذلك، كان كل قول يقوله لتأكيد ذلك، بمثابة نفى لتلك الفكرة! وقد طبق دريدا (Derrida) ذلك فى نقده لمسرحية روميو وجوليت فى كتاب الأفعال الأدبية **Acts of Literature** (من تحرير أتريدج Attridge عام ١٩٩٢) ولاشك أن المسرحية تقبل مثل هذه المعالجة!

وإذا كان أرباب 'المادية الثقافية' قد رأوا في صور الدم دعوة إلى الثورة في عصر شيكسبير ، فإن أصحاب النظريات الحديثة سوف يدهشون للسياقات التي تستخدم فيها صور الدم من جانب جميع الشخصيات على تناقضها ! فصور الدم في المسرحية لا تقتصر على خلق إحساس بعالم القتل ( سفك الدماء ) والظلم ، بل هي تستخدم لتطوير المحاور الأخرى التي تدور حولها المسرحية ، فالدم في المسرحيات التاريخية رمز لحق الوراثة ( وراثة الملك أولاً ، بطبيعة الحال ) وطيب الأرومة ، وكرامة الأسرة وزهوها وفخارها ، واستخدام صورة الدم هنا يجعلها توحى بأن الملك حق فطري غير مكتسب ( يجرى مجرى الدم في عروق من يولد ليرث الملك ) وهذا هو المعنى الثاني ، أما المعنى الثالث فهو المعنى الحرفي للدم . ولذلك فلم يعد في طوقنا أن نقبل ببساطة البيان الإحصائي لصور الدم ، على نحو ما فعلته كارولين سبيرجون في كتابها الشهير عن دلالة الصور الشعرية عند شيكسبير :

( C. Spurgeon, Shakespeare's Imagery and what it tells us ) .

وانظر معي منذ البداية ما تقوله الدوقة عن مقتل توماس جلوستر زوجها ، وكيف تستخدم صورة الدم في أبيات معدودة :

- هل خبت نار الحب في دم شيخوختك ؟

لقد أنجب إدوارد سبعة إخوة ، وأنت منهم ،

وكانوا بمثابة سبع قوارير مترعة بدمه المقدس

أو سبعة أغصان لشجرة أصلها ثابت

ذوى بعضها على كر الأيام  
 واجتثت بعضها مناجل الأقدار  
 ولكن انظر يا سيدى اللورد إلى توماس جلوستر !  
 ماذا حدث لجلوستر حبيبي وحياتي ؟  
 تلك القارورة المترعة بدم إدوارد المقدس  
 أو ذلك الفرع الذى أزهر برحيق جذوره الملكية الخالصة !  
 لقد كسر كسرًا .. فسال منه الرحيق الثمين وتبدد !  
 أو قل قُطع عَنوةٌ فذبلت أوراقه الخضراء فى إبانها  
 كَسَرَتْهُ يدُ الحسد ، وقطعته فأسُ القاتل الدامية !  
 اسمعنى يا جونت ! لقد كان دمه من دمك !

(٢٢-١٠ / ٢ / ١)

إن الكلمة تتكرر عدة مرات ، ولا شك فى أهمية هذا التكرار ودلالته ،  
 والأهم من ذلك أن تلك الدلالة تتغير وتتبدل من موضع إلى موضع فى  
 المسرحية ، ولكن دلالة وجودها هنا فى سياق الشجرة والفروع تجعلها ترتبط  
 ارتباطًا وثيقًا بصورة الأرض ، وهى من الصور الأساسية ( التى سبقت الإشارة  
 إليها ) مثل اعتبار الدم من الصور الأساسية المقابلة لها ، والغريب هنا هو أن  
 'التقابل' الذى أشرت إليه يؤدى إلى الربط لا إلى الفصل بين الصورتين على  
 مدى أحداث المسرحية :

- سوف أستعين بقواتي الظافرة

وأروى تراب الصيف الجفاف بوابل من الدماء

التي ستنهمر من جراح قتلى أبناء المجلترا !

(٤٣ - ٤١ / ٣ / ٣)

- ما أشد ما تأنف نفس بولينبروك

أن تهب تلك العاصفة القرمزية لتغمر بالدماء

أرض الملك ريتشارد الجميلة ، بثوبها الأخضر اليانع !

(٤٦ - ٤٤ / ٣ / ٣)

- أخبر بولينبروك ، إذ إخاله واقفاً هناك ...

[ أنه ] ... أتى لتنفيذ وصية قرمزية

وهي توزيع تركة الحرب من الدماء !

لكنه سيشهد قبل أن يضع التاج على رأسه في سلام

إسالة الدم في مكان التاج لعشرة آلاف من أبناء الأمهات

فيشوه وجه المجلترا الزاهر

ويحول طلعة السلم البيضاء في محياها

إلى سخط قرمزي ، ويخضب كلاً مراعيها

بدم الانجليز الأوفياء !

(٩٢ - ٩١ / ٣ / ٣)



- وإذا وضعت التاج على رأسه ، فإننى أتنبأ بما بلى :

ستسيل دماء الانجليز حتى تخصب الأرض

وتكايد الأجيال القادمة الأمرين من هذه الفعلة الشنعاء !

(١٣٨ - ١٣٦/١/٤)

وتنتهى المسرحية بالمفارقة المستمرة ( Sustained Paradox )

- أعلن لكم أيها اللوردات أن روحى يغشاها الأسى

لأن أرضى ارتوت بالدم حتى ينمو فرعى !

(٤٦ - ٤٥/٦/٥)

بلى بما هو أفعل وأشد تأثيراً - أى صورة بيلاطس الذى يتبرأ من دم المسيح بأن يغسل يديه - بحيث تتحول صورة الدم فى المسرحية إلى رمز مهيم يحوّل السياقات التى وردت فيها بمعنى الحب والنسب إلى دلالات خاوية - أو منفية - أو ما يُسمى بنقطة قلقلة أو شك أو تشكك فى المعنى (aporia) - خصوصاً بسبب ارتباطها برمز الأرض التى تنبت الشجر والزهر والثمر ، فهى صورة تحمل فى داخلها نقيض معناها ، لأن الأرض أيضاً هى الموت - وهى تجمع بين صورة النمو وصورة القبر على نحو فريد ، ويندر أن نجده فى مسرحيات شيكسبير الأخرى .

ومعنى هذه المفارقة أن 'الثنائية' التى تتسم بها الصورة لا ترجع ببساطة إلى المقابلة بينها وبين غيرها ، بل إلى طبيعته تكوينها نفسها

فيما يسميه سيسيل داي لويس بنمط الصور الشعرية ( انظر كتاب Cecil Day - Lewis, **The Poetic Image**, London, 1977 ) فالنمط هنا pattern ( بمعنى النظام أو الشكل لا النوع ) هو الذى يجعل المعنى الشعرى لهذه الصور يتغير على مدار الأحداث بصورة فريدة ، فهو لا يتغير تبعاً للأحداث بل هو يحدد فى تغييره مسار الأحداث! والقول إذن بأن المسرحية تعتمد على النسيج مثلما تعتمد على البناء هو بمثابة القول بأنها تعتمد على لغة الشعر بقدر ما تعتمد على التركيب الدرامى . والناقد الذى يشكو من قلة الأحداث وكثرة الكلام عليه أن يذكر أن الكلام هنا ، كما سبق أن ذكرنا ، يقوم بدور الفعل الشعرى فى الدراما !

وغنى عن البيان أن مسرحية هذا شأنها تقتضى الدقة فى نقل الصور وفى نقل الكلام الذى يقوم مقام الفعل ، ولذلك فقد يلمح القارئ خروجاً عن مذهبى فى ترجمة النظم نظماً ، أو الابتعاد عن 'الإيضاح' بالعبارة المبسطة ، أو الالتزام الذى يكاد يكون حرفياً ( ولو على حساب البلاغة العربية ) بالنص الأصيل ، ولكن الأمانة فى ترجمة هذا النص الفريد تستلزم ذلك ، ولا بد أن يجد القارئ فيه ما يصدق عليه كلام النقاد من أبناء اللغة الانجليزية . أى إننى - بإيجاز - حاولت تقديم المقابل العربى ، لا 'المثيل الثقافى' العربى ، للمصطلح الانجليزى . وأقول أخيراً إننى لم أشعر أننى قادر على التصدى للترجمة حتى من الله على بعدة طبعات حديثة أرسلها لى صديقى ماهر حسن البطوطى ، المترجم والكاتب الروائى ، من نيويورك ، وعدة كتب نقدية أهداها لى الدكتور سعيد العليمى عن شيكسبير ، وبازدياد الكتب ازدادت المسئولية ، ولكننى أزعم أننى لم أغفل رأى ناقد مهم بل كنت أوازن وأضاهى حتى أفهم النص كما ينبغى . وقد علمت أن المسرحية سبقت ترجمتها إلى العربية ، وما زلت

أحاول الحصول على ذلك النص ( أو النصوص ) إن وجدت . وأرجو على أى حال أن أكون قد وفقت فى سد ثغرة فى المكتبة الشيكسبيرية العربية .  
أما أرقام السطور فتشير إلى طبعة : New Cambridge المشار إليها ، والغرض منها مساعدة من يريد المضاهاة بين النص الأصيل والترجمة .



(كرسى العرش) الذى استخدمته اليزابيث عند افتتاح  
البرلمان فى عام ١٥٨٢

### الشخصيات

مرتبة حلب الظهور على الملح

Richard	ريتشارد
Gaunt	جونت
Bullingbrook	بولينبروك
Mowbray	موبراي
Duchess of Gloucester	دوقة جلوستر
Marshal	قائد عسكري
Aumerle	أوميرل
2 Heralds	حاجبان
Green	جرين
Bagot	باجوت

Bushy	بوشى
York	يورك
Queen	الملكة
Ross	روس
Willoughby	ويلابى
Northumberland	نورثمبرلاند
Percy	بيرسى
Berkeley	باركلى
Salisbury	سولزبرى
Welsh captain	قائد من ويلز
Carlisle	كارلايل
Scroope	سكروب

Queen's ladies	وصيفات الملكة
Gardener	بستاني
Gardener's servants	خادما البستاني
Fitzwater	فيتزوتر
Surrey	سري
Westminster	وستمنستر
Duchess of york	دوقة يورك
Exton	إكستون
Groom	سائس الاصطبل
Keeper	سجان

أتباع وأشراف وجنود وخدم وقتلة





## الفصل الاول

### المشهد الاول

[ يدخل الملك ريتشارد ، وبصحبه جون جونت وعدد آخر من

الأشراف والأتباع ]

- ريتشارد** : صديقى جون جونت ! أهلاً بك أيها الشيخ هنا !  
 أهلاً بك يا أمير لانكستر الوقور ! قل لى :  
 هل بررت بقسمك وأوفيت بعهدك ؟  
 هل أحضرت ابنك الجسور هنرى هيرفورد  
 حتى يثبت صحة التهمة الشنيعة التى رمى بها مؤخراً  
 توماس موبراى ، وهو دوق نورفوك ؟  
 تعلم أن وقتنا لم يتسع للتأكد من صحتها آنذاك ! ٥
- جونت** : أحضرته يا مولاي
- ريتشارد** : قل لى إذن . . هل تحققت أن دافعه على الاتهام  
 ليس حقداً قديماً بينه وبين الدوق ؟  
 وأنه يقيم اتهامه بالخيانة  
 على أسس من الوقائع المؤكدة ؟  
 شأنه شأن الرعايا المخلصين لى ؟ ١٠
- جونت** : لقد سبرت أغواره قدر استطاعتي فرأيت أن دافعه  
 هو خوفه على مولاي من خطر واضح يتهده

من جانب الدوق ، لا أية أحقاد قديمة بينهما .

**ريتشارد**

: إذن فاستدع ابنك واستدع الدوق . .

١٥

وليواجه كل منهما صاحبه . .

وليتبادلا الاتهام والدفاع . .

وليغضبا ويتجهما إن أرادا . .

وليُفَض كل منهما بما لديه دون قيود !

إن كلا منهما شجاع ذو عزة ، مفعم بالحنق ،

يهدر كالبحر إذا ثار ، ويحرق كالنار إذا فار !

[ يدخل هنرى بولينبروك ومعه موبراي ]

**بولينبروك**

٢٠

: فليَنعم مولاي بالسعادة سنوات طويلة

وليمد الله فى عمر مولاي الذى يحب رعاياه !

**موبراي**

: فلتزد سعادتكم يوماً بعد يوم حتى تحسد السماء الأرض

على حظها السعيد ، فتتعم بلقب الخلود على تاجكم !

**ريتشارد**

٢٥

: شكراً لكما ! ولو أن أحدكما منافق ولا شك !

فقد حضرتما حتى يوجه أحدكما إلى الآخر

تهمة الخيانة العظمى !

قل يا ابن عمى هيرفورد . . ما هى تهمتك لتوماس

موبراي ، دوق نورفوك ؟

**بولينبروك**

٣٠

: فليشهد الله أولاً على ما أقول :

إن دافعى هو الحب والولاء للملكى المحبوب ،

فأنا من أفراد الرعية ، أحرص على سلامته الغالية ،

ولا يدفعنى أى حقد ذميم مقيت

- إلى المثل أمام حضرته الملكية .
- ٣٥ والآن جاء دور مخاطبتك يا توماس موبراي
- فانتبه لما أقول . . إننى أقدم حياتى ثمناً لصحة أقوالى
- فى الحياة الدنيا ، وروحى الخالدة فى الدار الآخرة !
- إنك خائن سافل منحط !
- لم يكن يليق بطيب منتبك أن تخون
- ٤٠ ولا يحق للخائن أن يحيا !
- فكلما زاد بهاء السماء وتألؤ النور فى أرجائها
- زاد قبح السحب التى تكدر صفوها .
- إننى من جديد أؤكد تهمة الخيانة بحقك
- وأحشر لقب الخائن حشراً فى حلقك
- ٤٥ وإذا سمح مولاي فأرجو ألا أبرح مكانى
- قبل أن يثبت سيفى المسلول ما يقول لسانى .
- موبراي :** لا تظنوا أن كلماتى الرزينة العاقلة
- تعنى نقص الحماس والإخلاص !
- فليس هذا خلافاً بين امرأتين
- أو صراخاً مريراً بين لسانين بذيئين
- ٥٠ يتنصر فيه الأقدع والأسلط !
- بل يجب أن نفصد دماء ذلك الشاب الثائر حتى يتعقل !
- ومع ذلك فليت لى من الصبر الخانع ما أتباهى به
- فلا أنطق ولا أنبس بينت شفة !

لا بد أن أتكلم ،  
 وإن كان احترامى لسموكم يربط لسانى  
 ولا يطلق العنان له ولا ينخسه بالمهماز حتى يركض ! ٥٥  
 فإنه إذا ركض أسرع ورد تهمة الخيانة مضاعفة  
 إلى نحر صاحبها ! وإذا نَحَّيت شرف محتده الملكى  
 وافترضت أنه ليس قريباً لمولاي الملك  
 فسوف أتحداه ، وأبصق فى وجهه ٦٠  
 وأعلن أنه جبان رعديد ، وهماز لَمَّاز ، ووغد سافل !  
 وسأثبت ذلك فى ساحة النزال ،  
 فأسمح له بمزية البداية ثم أدركه وأقهره  
 حتى ولو أرغمت على الجرى لاهثاً خلفه  
 حتى سفوح جبال الألب ، وقممها المتجمدة ،  
 أو حيثما شاء ، فى أى أرض خاوية ، ٦٥  
 لم تجرؤ قدم انجليزى على ارتيادها .  
 ورثما يجرى النزال فلأدافع بهذا السيف عن إخلاصى  
 ولأقسم بكل آمالى العراض إنه لكذاب أشر !  
 أيها الجبان الشاحب المرتعد فرقاً !  
 ها أنذا ألقى بقفاز التحدى ،  
 وأنحى قرابتى للملك ، وشرف محتدى الملكى ، ٧٠  
 فأنت لا تتحاشى المبارزة إجلالاً لذلك  
 بل خوفاً ورعباً ! فلو كانت لديك بقية من قوة  
 بعد أن أهدر خوفُ المذنب المريب طاقتك

**بولينبروك :**

- فاقبل التحدى والتقط القفاز رمز شرفى !  
 فبشرفى ، وبكل حقوق الفروسية وشعائرها الأخرى ، ٧٥  
 سوف أثبت صدق دعواى فى النزال ،  
 وكذلك أقوالك ،  
 أو ما عساك ترمينى به من تهيم أفضع !  
**موبراى** : قبلت التحدى ! وأقسم بهذا السيف  
 ذاك الذى مس كتفى ذات يوم  
 فأضفى على رتبة الفارس !  
 أقسم أن أواجهك فى أى نزال شريف ٨٠  
 أو أى صراع فى حلبة الفروسية  
 فإذا امتطيت جوادى فلن أنزل عن صهوته حيا  
 لو كنت خائئاً أو تنكبت الحق فى القتال  
**ريتشارد** : ولكن ما هى التهمة التى يوجهها ابن عمنا  
 إلى موبراى ؟  
 لابد أن تكون خطيرة حقاً . . .  
 حتى تورثنا سوء الظن به ! ٨٥  
**بولينبروك** : مهما يكن ما أقوله ، فسوف أثبت صدقه بحياتى !  
 لقد تسلم موبراى ثمانية آلاف قطعة ذهبية  
 ليدفع مقدم رواتب جنود جلالته  
 ولكنه استولى عليها وأنفقها فى غير ما جعلت له ٩٠  
 فخان الأمانة وغش الدولة ،  
 وسلك سلوك الأوغاد الأنذال .

- ولأُضِفَ إلى ما قلت شيئاً آخر ،  
 سأثبت صدقه في حومة الوغى أو في أقصى مكان  
 وقعت عليه عيون أبناء إنجلترا  
 ألا وهو إن جميع الدساتس والمؤامرات  
 وضروب الخيانة التي ارتُكِبَتْ في هذه البلاد  
 ٩٥ على مدى السنوات الثماني عشرة الماضية  
 كانت من تدبير موبراي الخائن ،  
 الذى بذر بذورها ورواها !  
 وأضيف هنا - وسأثبت صدق ذلك كله  
 بإزهاق روحه الدنيئة -  
 ١٠٠ أضيف أنه هو الذى دبر قتل دوق جلوستر  
 وحرّض على ذلك خصومه السُدَج ،  
 وهكذا تدفقت روح جلوستر فى أنهار من الدم  
 وهو الدم الذى يصرخ طالباً الثأر ، مثل دماء هابيل  
 الذى قدم قرباناً قبله الله ، فقتله قابيل غيرة وحسداً  
 ١٠٥ إنه يصرخ من كهوف الأجداد دون لسانٍ ويناديني  
 أن أقيم العدل وأنزل به العقاب الصارم  
 وأقسم بحسبى ونسبى وكرم محتدى  
 أن يأخذ ساعدى بثأره أو أموت دون ذلك !  
 ما أرفع السماوات التى يحلق فيها عزمه !  
 ١١٠ وبماذا ترد على ذلك يا توماس نورفوك ؟  
 موبراي : أرجو أن يشيخ مولاي بوجهه ويعيرنا أذنا صماء ،  
 ريتشارد :

- ولو هنيهة ، ريشما ألقن ذلك الكاذب درساً ،  
ذاك الذى جلب العار للدم الملكى ! سأعلمه  
كيف يكره الله والشرفاء شر الكاذبين !
- ريتشارد** : اسمع يا مويراي ! إن عيني وأذني لا تتحيز لأحد ! ١١٥  
لن أنحاز إليه ولو كان شقيقى أو ولى العهد ،  
ولكنه فى الحقيقة ابن عمى فحسب !  
وأقسم بجلال صولجانى  
أن قرابته من دماثنا المقدسة لن تمنحه أى مزية ١٢٠  
ولن تركع هامة العدل القائمة فى نفسى قيد أنملة  
إنه فرد من أفراد الرعية يا مويراي . . . مثلك تماماً . .  
تحدث إذن دون قيود ودون خوف !  
اسمع يا بولينبروك إذن ! أنت كذاب أشر ! ١٢٥  
والكذب ينبع من قلبك قبل أن يصعد إلى حنجرتك !  
حنجرة كاذبة خاطئة ! إن ثلاثة أرباع المبلغ المذكور  
وزعته على جنود صاحب الجلالة  
فى مدينة كاليه الفرنسية .  
واحتفظت بالربع الباقى سداداً لدين على مولاي ، ١٣٠  
وفعلت ذلك برضاه وموافقته ،  
إذ كان ما بقى من حساب أنفقته  
عندما ذهبت لإحضار الملكة من فرنسا .  
ابتلع إذن تلك القرية ! أما عن موت جلوستر

- فإننى لم أقتله ،  
 بل أهملت أداء الواجب الذى أقسمت عليه ،  
 وهو عار أعترف به . وأما أنت يا لورد لانكاستر ١٣٥  
 الوالد الشريف لخصمى ، فأعترف أننى  
 نصبت كمينًا ذات يوم لاغتيالك ،  
 وهو إثم ما يزال يحز فى نفسى الحزينة  
 ولكننى اعترفت بخطيئتى  
 قبل تناول القربان المقدس آخر مرة  
 وطلبت من معاليك الغفران ،  
 وآمل أن تكون قد غفرت . ١٤٠  
 هذا هو كل ما ارتكبته ! أما باقى التهم المنسوبة إلى  
 فتنبع من حقد وغد سافل ،  
 وجبان منحط ، وخائن حقير منحل !  
 وسأرد بنفسى كيده إلى نحره ، إذ أقبل التحدى ١٤٥  
 وألقى بقفازى على قدم هذا الخائن المتكبر  
 حتى أثبت أننى سيد شريف مخلص  
 وأسفك خير الدماء التى تجرى فى صدره  
 ولنسرع بإمضاء ذلك ! أرجو من جلالتكم -  
 من كل قلبى -  
 تحديد يوم النزال بيننا . ١٥٠
- ريتشارد :** أيها السيدان اللذان اشتعلا غضبًا - هاكما قضائي :  
 فلنظهر الجسم من الصفراء دون فصد للدماء !



- وأنا أصف لكما هذا الدواء وإن لم أكن طبيباً !  
 ١٥٥ فالحقد العميق يستلزم جُرحاً بالغ العمق !  
 دواؤكما هو النسيان والصفح والصلح والاتفاق !  
 فالحكماء يقولون إن الطالع فى هذا الشهر  
 لا يلائم الفصاد !  
 فياعمى الكريم . .  
 نريد أن تنتهى المسألة من حيث بدأت  
 فأتولى بنفسى تهدئة دوق نورفوك ،  
 وتتولى أنت تهدئة ابنك .
- جونت :** مهمة تحقيق السلم تلائم شيخوختى  
 ١٦٠ أعد يا ولدى قفاز التحدى الذى ألقاه دوق نورفوك  
**ريتشارد :** وأنت يا نورفوك ! أعد إليه قفازه !  
**جونت :** فيم التلكؤ يا هنرى ؟  
 طاعة الأب تغنيى عن إعادة الأمر !  
**ريتشارد :** إننا نأمرك يا نورفوك أن تعيد القفاز فوراً -  
 هذا أمر - ولا فائدة من التلكؤ !  
**موبراي :** مولاي ذا المهابة ! إننى ألقى بنفسى عند قدميك  
 ١٦٥ فأنت صاحب الأمر فى حياتى ،  
 لا فى ما لحقنى من عار  
 فأنت تملك روحى بحق واجب الطاعة ،  
 أما سمعتى الطيبة ،  
 وهى التى تحيا بعد الموت فوق القبر ،

فلست تملك أن تلقى بها فى هوة الخزى الظلماء !

لقد تعرضت فى حضرتكم لما يجلب العار

من تههم بالجبين والنكوص والخيانة ١٧٠

ونفذ إلى أعماق نفسى سهم الافتراء المسموم

ولا ترياق له إلا دم القلب الذى نفت السم !

ريتشارد : اكبح جماح غضبك .. أعطنى قفازه !

ها أنذا أمرك .. ولن يروّض الفهد إلا الليث !

موبراي : ولكنه لن يغير من البقع على جلده !

لن أتخلّى عن القفاز

١٧٥ إلا إن محوت العار ! يا مولاي العزيز الأثير

إن أئمن وأصفى الكنوز فى هذا الزمان الفانى

سمعة نقية لا تشوبها 'البقع' !

فإذا ضاعت السمعة أصبح الإنسان دمية مذهبة

أو صلصالاً ملوناً !

والروح الجسور فى صدر المخلص الأمين

درة ثمينة فى صندوق ضوعفت أقفاله عشرة أضعاف ! ١٨٠

إن شرفى هو حياتى ،

وشجرة الشرف هى شجرة الحياة !

فإن قطعت جذع الشرف سقطت الحياة

وإذن يا مولاي دعنى أدافع عن شرفى

١٨٥ فيه أحيا ، وفى سبيله أموت !

ريتشارد : هيا يا ابن العم ! ألق القفاز ! فلتكن أنت البادئ !

**بولينبروك**

: لا قدّر الله أن أرتكب هذه الخطيئة الشنعاء !

وكيف يشهد والدى هزيمتى بعينيه ؟

وهل أهين قامتى المديدة بالخوف شاحب الأديم كالشحاذ

من ذلك الجبان الذى قهرت تحديه ؟

إذا تحرك لسانى ليخرج شرفى

بهذه الخطيئة المزرية ، أو ليعلن تلك الهدنة الوضيعة ،

فسوف تجتزه أسناني ! سوف أقطع لسان الخوف الذليل

وألقي به داميًا مُجَلَّلًا بالعار الفاضح

فى لجة الخزى الحقّة ، وفى وجه موبراى نفسه .

[ يخرج جونت ]

**ريتشارد**

: لم نولد لنترجو بل لنأمر !

وما دمنا قد أخفقتنا فى إعادة الصفاء بينكما ،

فتجهزا للقتال ، وعقاب المتخلف الموت ،

فى **كافنترى** ، يوم عيد القديس لامبرت ،

وسوف يحسم سنان الرمح وحد السيف

هذا الحقد الذى تضخم فأصبح ورمًا لا بد أن يُستأصل !

وما دمنا لم نستطع التوفيق بينكما ،

فسوف تحكم العدالة بينكما

وتحكم للمنتصر فى حلبة الفرسان .

أصدر الأمر أيها القائد للضباط

بالاستعداد لهذه المنازلة المحلية .

[ يخرج جون ]

### المشهد الثاني

[ لندن - قصر دوق لانكاستر ]

[ يدخل جون جونت ودوقة جلوستر ]

**جونت**

: وا أسفاه ! كان وودستوك\* قريبي

وكانت دمائي تجري في عروقه !

وهي تحفزني للانتقام ممن سلبوه حياته

أكثر من جميع توسلاتك ! ولكن سلطة الانتقام

في أيدي الذي ارتكب الجرم نفسه ! وهكذا

فنحن نفوض أمرنا إلى الله ، فهو وحده المنتقم الجبار!

وسوف يمهل المذنب

حتى تحين ساعة القصاص على الأرض

فيمطر العذاب وابلاً على رؤوس المذنبين .

**الدوقة** : أليس في رباط الأخوة حافز أقوى وأحد سنناً ؟

وهل خبت نار الحب في دم شيخوختك ؟

لقد أنجب إدوارد سبعة إخوة ، وأنت منهم ،

وكانوا بمثابة سبع قوارير مترعة بدمه المقدس

أو سبعة أغصان لشجرة أصلها ثابت ،

ذوى بعضها على كر الأيام

واجتثت بعضها مناجل الأقدار ،

ولكن انظر توماس جلوستر يا سيدى اللورد !

ماذا حدث لجلوستر حبيبي وحياتي ؟

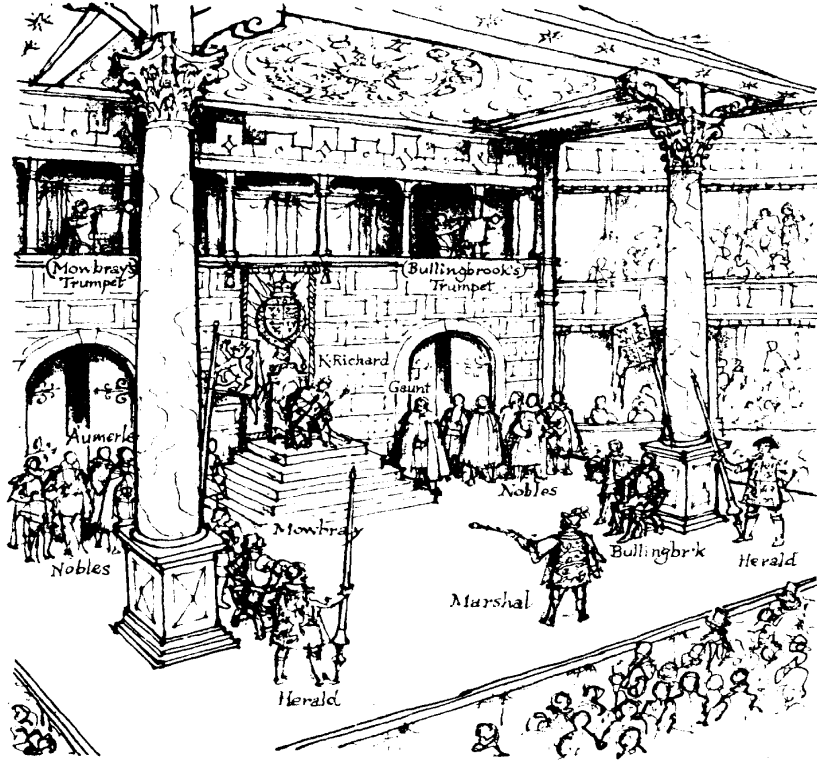
تلك القارورة المترعة بدم إدوارد المقدس

\* أى جلوستر ، الذى سبق اتهام نورفوك ( توماس مويراي ) بقتله .

أو ذلك الفرع الذى أزهر  
 برحيق جذوره الملكية الخالصة !  
 لقد كُسر كسرًا . . . فسأل منه الرحيق الثمين وتبدّد !  
 ٢٠ أو قل قُطع عَنوةٌ فذبلت أوراقه الخضراء فى إبّانها !  
 كسرت يد الحسد ، وقطعته فأُس القاتل الدامية !  
 اسمعنى يا جوننت ! لقد كان دمه من دمك !  
 لقد خرج رجالاً مثلما خرجت أنت  
 من الفراش الذى وضعته فيك أمك  
 ومن رحمها نفسه ، ومن المعدن نفسه ،  
 وفى الصورة نفسها !  
 ٢٥ ولئن كنت تحيا وتتنفّس ، فإنك قد قُتلتَ بمقتله !  
 بل كأنى بك ترضى موت أبليك إلى محد بعيد  
 ما دمت تتغاضى عن موت أخيك المسكين  
 وهو الصورة الصادقة لحياة أبيك !  
 لا تقل إنك تتذرع بالصبر يا جوننت . .  
 بل هو القنوط عينه !  
 ٣٠ وصبرك على مقتل أخيك يمهد الطريق لمقتلك  
 فهو يشجع الغدر بك ويرشد القاتل إلى نحره !  
 أما ما نصفه بالصبر فى قلوب العامة  
 فهو الجبن الشاحب البارد فى صدور الأشراف !  
 ماذا عسائ أن أقول ؟ إن أنجح وسيلة لحمايتك  
 ٣٥ هى الثأر لمقتل جلوستر

- جونت** : القصاص بيد الله ! فإن خليفة الله بيننا ،  
 أى الملك الذى يتوب عنه ،  
 والذى مُسح عليه بالزيت المقدس فى بيت الله ،  
 هو المستول عن مقتله ! فإن كان قد أخطأ  
 فسوف ينتقم الله منه ! ولن أرفع أبداً ساعد الغضب  
 فأعتدى على خليفة الله ! ٤٠
- الدوقة** : وأسفا ! لمن أتوجه بالشكوى إذن ؟
- جونت** : لله ! فهو الذى يذود عن الأرملة ويحميها !
- الدوقة** : وإليه فوضت أمرى ! الوداع أيها الشيخ . .  
 الوداع يا جونت !  
 أعلم أنك راحل إلى **كافنترى** لتشهد المباراة  
 بين قريبى هيرفورد ، وبين الأثيم مويراى ! ٤٥  
 أدعو الله أن يهتدى رمح هيرفورد  
 بما أصاب زوجى من ظلم  
 حتى يخترق صدر السفاك مويراى !  
 فإذا لم ينجح فى أول جولة ، فأدعو الله  
 أن ترين آثام مويراى على قلبه بأثقال ينوء بحملها ٥٠  
 حتى ينكسر ظهر جواده وهو يرغى ويزبد ،  
 فيطرح راكبه أرضاً ،  
 ذميماً مدحوراً أمام قريبى هيرفورد !

- الوداع أيها الشيخ ! الوداع يا جونت !  
فقد كتب على من كانت زوجة أخيك  
٥٥ أن تصاحب الحزن إلى آخر أيامها !
- جونت** : الوداع يا أختي ! لا بد أن أرحل الآن إلى كلتري  
أرجو لك السلامة في البقاء  
مثلما أرجو السلامة في الرحيل !
- الدوقة** : انتظر ! لدى كلمة أخرى ! عندما يسقط الحزن  
فإنه يرتد واثبًا من فوره ، لا لأنه أجوف ،  
بل لأنه ثقیل !
- ٦٠ وها أنذا أتركك قبل أن أفضى إليك بما أريد  
فالخزن لا ينتهي حيث نظن أنه انتهى  
أبلغ تحيتي إلى أخيك إدموند يورك .  
اسمع ! هذا كل شيء - ولكن -  
لا ترحل الآن .. انتظر !  
قد يكون هذا كل ما أذكر ولكن انتظر  
لسوف أذكر ما نسيت ! اطلب منه .. اطلب منه ..
- ٦٥ اطلب منه أن يسرع بزيارتي في 'بلاشي'  
ولكن ما عسى ذلك الشيخ الطيب  
أن يرى في 'بلاشي' ؟  
لن يرى سوى دار أفقرت من أهلها  
وجدران بلا ستائر ، ومهام بلا خدم ،



صورة العرض الاليزابيثي للمشهد الثالث من الفصل الأول،  
وهو مشهد المبارزة، والمسرح هو دار سوان، (نحو عام ١٥٩٥)



وأحجار لا تطوها الأقدام !  
وما عساه أن يسمع من ترحيب سوى آهاتى وأنايتى ؟  
لا لا ! أبلغه تحيتى واطلب منه ألا يزورنى هناك  
فلن يجد سوى الأحزان المقيمة فى كل ركن فيه !  
سأذهب وحدى إليه فى وحشة موحشة لأموت  
وهاك وداعى الأخير بعينى الدامعة .  
[ يخرجان ]

### المشهد الثالث

[ يدخل القائد العسكرى ودوق أوميرل ]  
القائد : يا لورد أوميرل . . هل أعد هارى هيرفورد أسلحته ؟  
أوميرل : نعم . . اكتمل سلاحه ويتوق لدخول الحلبة  
القائد : أما دوق نورفوك فهو بادى الحماس والشجاعة  
وهو ينتظر الدعوة من بوق المدعى  
أوميرل : إذن فقد استعد الخصمان  
ولا ينتظران سوى مقدم صاحب الجلالة .  
[ صوت الأبواق ويدخل الملك ريتشارد محاطاً بالأشراف  
ومن بينهم جوننت ، وباجوت وجرين وغيرهم ، وبعد  
أن يجلسوا يدخل مويراى حاملاً سلاحه ، وهو يحمل درع  
المدافع ، ويصحبه المنادى ]  
ريتشارد : هيا أيها القائد . . اطلب من ذلك الفارس  
أن يعلن سبب وصوله إلى الحلبة شاكى السلاح

- اطلب منه أن يقول اسمه أولاً  
ثم استكمل الإجراءات اللازمة  
واجعله يحلف أن قضيته عادلة
- ١٠ : **القائد** باسم الله وباسم الملك أسألك أن تقول من أنت ،  
وأن تفصح عن سبب قدومك كالفرسان  
مدججاً بالسلاح  
وعن خصمك وقضيتك . قل الصدق بحق فروسيك  
وبحق اليمين الذى أقسمته ،  
ولينصرك الله ويشد أزرك.
- ١٥ : **موبراي** اسمى توماس موبراي ، دوق نورفوك ،  
ولقد أتيت بموجب يمين الفروسية الذى أقسمته  
( وحاشا لله أن يحدث فيه فارس )  
للدفاع عن ولائى وإخلاصى لله وللملك  
ولأبنائى من بعدى ، ومنازلة دوق هيرفورد ،  
الذى وجه التهمة إالىّ ، وأريد بعون الله وقوة ساعدى  
أن أدافع عن نفسى  
فأثبت أنه خان الله وخان الملك وخاننى  
وأدعو الله أن ينصرنى لعدالة قضيتى
- ٢٥ : **ريتشارد** أيها القائد ! اطلب من ذلك الفارس المدجج بالسلاح  
أن يفصح عن اسمه وسبب قدومه
- [ تنفخ الأبواق ويدخل بولينبروك ، دوق هيرفورد ،  
وهو المدعى ، شاكى السلاح ]

- مرتديا هذا الدرع وحاملاً تلك الأسلحة  
واسأله وفق الإجراءات القانونية الرسمية  
٣٠. أن يُقسم على عدالة قضيته .
- القائد :** ما اسمك ؟ ولماذا جئت هنا  
ونزلت الخلبة بحضرة صاحب الجلالة ؟  
قل من خصمك وما هي قضيتك ؟  
أصدقنا القول صدق الفرسان حتى ينصرك الله .
- بولينبروك :** اسمي هاري هيرفورد ، دوق لانكاستر وداربي ،  
٣٥. وها أنذا أقف اليوم مستعداً ، شاكي السلاح ،  
كى أثبت بفضل الله وشدة بأسى فى النزال  
أن توماس موبراي ، دوق نورفوك ،  
خائن أثيم خطر ، إذ خان رب السماء ،  
وخان الملك ريتشارد ، وخائنى .
- القائد :** وأدعو الله أن ينصرنى لعدالة قضيتى !  
٤٠. يعاقب بالإعدام كل من يجرؤ أو يتجاسر  
على التدخل فى هذه المبارزة ، باستثناء القائد ،  
وغيره من الضباط المعينين  
لإدارة هذه المنازلة العادلة .
- بولينبروك :** اسمح لى أيها القائد أن أقبل يد مليكى  
٤٥. وأن أجتو راکعاً بين يدى جلالته

- فكأنما نحن ، أنا وموبراي ،  
رجلان أقسما على الرحيل  
وهي رحلة حج طويلة مضمينة  
وإذن لابد لكل منا أن يودع بالحلب أصدقاءه  
٥٠ وأن يكون الوداع رسميا .
- القائد :** يا صاحب الجلالة ! إن المدعى يرفع تحياته إلى سموكم  
ويطمح في تقبيل يديكم والإذن له بالرحيل  
**ريتشارد :** بل سوف نهبط من كرسى العرش لمعانقته !  
٥٥ اسمع يا هيرفورد يا ابن العم ! إن قضيتك عادلة  
ولذا أدعو لك بالتوفيق في هذا النزال الملكي  
إننى أودع دمائي هنا ، فإذا أهرقتها اليوم  
فسوف نبكى موتانا ولن نثار لهم .
- بولينبروك :** حاشاك أن تذرف دمعة واحدة  
فتدنس عينك الشريفة من أجل  
٦٠ إن نفذ رمح موبراي من صدرى  
لكننى سأنقض على موبراي  
مثلما ينقض الصقر على بغاث الطير  
الوداع يا مولاي يا من تغمر بالحلب رعاياك  
والوداع يا ابن عمى الشريف ، يا لورد أوميرل !  
٦٥ لست مريضاً ، وإن كنت على شفا الموت ،  
بل مترعٌ بالقوة والشباب والبشر وأنفاس الحياة  
وها أنذا أفعل ما يفعل الانجليز فى المآدب

إذ يختتمون الوليمة بما لذ وطاب من الحلوى  
ومسك الختام عندى تحية والدى !  
[ إلى جونت ]

أبى ! يا من أجريت الدم فى عروقى أول الأمر  
فى هذه الدنيا ! يا من تُولدُ فى نفسى روحك الفتيةُ  
من جديد

٧٠

فترفعنى بقوة مضاعفة فتعلو هامتى  
وتطول يداى نصرًا أرفع من قامتى !  
زد درعى منعة بدعواتك ،  
واشحذ سنان رمحى ببركاتك ،

٧٥

حتى ينفذ فولاذه من درع مويراى الشمعى الواهى  
فيتلألأ من جديد اسم جون جونت  
ولو كان ذلك بسبب فعال ابنه الرائعة .

**جونت :**

فليكتب الله لك التوفيق فى قضيتك العادلة .  
كن سريعًا فى قتالك خاطفًا كالبرق الصاعق !

٨٠

أرسل الضربات أضعافًا مضاعفة  
كالرعد القاصف المزمجر  
على خوذة عدوك اللدود الأثيم

ولتستحث دم الشباب وكن شجاعًا وانتصر !

**بولينبروك :**

سأنتصر بفضل براءتى ورعاية القديس جورج !

٨٥

**مويراى :**

مهما يكن ما كتبه الله لى أو خطته يد ربة القدر

فسوف أحيأ أو أموت ، مخلصاً لعرش الملك ريتشارد ،  
 سيداً ذا ولاء وعدالة واستقامة !  
 وما من أسير بلغت فرحته بكسر أغلال الرق  
 واحتضان حرите الذهبية ، وانطلاقه من القيود للأبد ، ٩٠  
 فرحة روحى وهى تتواثب نشوى  
 فى هذا الحفل الزاهى  
 حفل نزالى مع خصمى !  
 أرجو يا مولأى الجبار ، ويا أقرانى الأشراف ،  
 أن تتقبلوا أمنياتى بالسعادة فى أعوامكم القابلات  
 فأنا أنزل الحلبة هادئاً مسروراً ٩٥  
 كأنما هى مباراة لهو ولعب !  
 فصاحب الحق مستريح الضمير !  
 : الوداع أيها اللورد ! إنى أرى الفضيلة والشجاعة  
 راسختين فى عينيك . أيها القائد !  
 أصدر الأمر بالنزال . .  
 فإلى النزال !

**ريتشارد**

**القائد**

: تفضل يا هارى هيرفورد ،  
 يا وريث دوق لانكاستر وداربى ! ١٠٠  
 هذا رمحك ! وأدعو الله أن ينصر الحق !  
 : أقول آمين وأملئ ثابت كالطود الراسخ !  
 : [ إلى أحد الضباط ]  
 خذ هذا الرمح إلى توماس دوق نورفوك

**بولينبروك**

**القائد**

**الضابط الأول :** هنا يقف هارى هيرفورد ،

وريت دوق لانكاستر وداربى !

وسينزل الحلبة باسم الله ، وباسم الملك وباسمه ، ١٠٥

وإلا أعلن أنه كاذب جبان ،

ليثبت أن توماس موبراى ، دوق نورفوك ، خائن

نكث عهد الله وعهد الملك وعهد ذاته

ومن ثم فهو يدعو للقتال !

**الضابط الثانى :** هنا يقف توماس موبراى ، دوق نورفوك ، ١١٠

وسينزل الحلبة باسم الله وباسم الملك وباسمه

وإلا أعلن أنه كاذب جبان

ليدافع عن شرفه ، وليثبت أن هنرى هيرفورد ،

وريت دوق لانكاستر ، وداربى ، خائن

نكث عهد الله وعهد الملك وعهد ذاته

وهو ينتظر إشارة البداية بشجاعة ورغبة عارمة ! ١١٥

**القائد :** فلتنفخ الأبواق ، وليتقدم المتبارزان !

[ تدوى الأبواق ]

انتظرا لحظة ! فلقد ألقى الملك صولجانه !

**ريتشارد :** أصدر الأمر بأن يخلع كل منهما خوذته وينحى رمحه

ويعود إلى مقعده ! [ إلى الأشراف وأعضاء المجلس ] ١٢٠

تعالوا معى لمناقشة الموضوع ! [ إلى القائد ]

وسوف تدوى الأبواق من جديد

ريثما نعود إلى الدوقين

بالحكم الذى أصدرناه فى القضية !

[ تدوى الأبواق طويلاً ]

[ يعود الملك والأشراف ]

اقتربا واستمعا إلى قرارنا وقرار المجلس :

١٢٥ لا نريد تدنيس أرض مملكتنا

بالدم الغالى الذى ترعرع فيها ونما !

كما تكره عيوننا رؤية ذلك المشهد الفظيع -

مشهد اقتتال الأهل والجيران بالسيوف

١٣٠ إذ نعتقد أن كبرياءهما تحلق بأجنحة العقاب

يدفعها الطموح لمراقى السماء ،

وتحفزها مشاعر الحسد والحقد والبغضاء

مما سوف يعكر صفو السلم

حيث يرقد هائئاً فى بلادنا ،

رقاد الطفل الوداع البرئ فى مهده!

١٣٥ لسوف تفزعه أصوات الطبول الناشزة ،

وجلبة الأبواق المدوية ، كأنها النهيق المنكر المخيف ،

وصليل الأسلحة الحديدية المصطكة الصاخبة ،

فيهب السُّلَمُ الجميل مذعوراً ويفر من بلادنا المطمئنة

بل ونخوض عندها فى دماء أهلنا وعشيرتنا !

لذلك فنحن نحكم عليكم بالنفى من أراضينا

١٤٠ فأما أنت يا ابن العم هيرفورد ،



- فسوف يكون الموت عقابك  
إذا رجعت إلى هذه الأرض الجميلة  
قبل أن تمر عشرة أصياف تزهر فيها حقولنا وتخضئل  
بل عليك أن تظل في منفاك ،  
ضارباً في شعاب الغربة !  
**بولينبروك :** فلتكن مشيئتك ! أما عزائي  
فهو أن الشمس التي تستدفئ بها جلالتيك هنا ١٤٥  
سوف تسطع على منفاي ،  
وأن أشعتها الذهبية لديكم  
سوف تغمرني وتكسو منفاي بالوشى المتمنم !  
**ريتشارد :** وأما أنت يا نورفوك فمصيرك أنكى وأقسى  
وأنا أصدر الحكم به ، كارهاً له بعض الشيء ،  
إذ إن الساعات البطيئة الخبيثة  
لن تضع نهاية لمنفاك الأبدى ! ١٥٠  
وهو الثمن الغالى الذى تدفعه ،  
وها أنذا أعلن الحكم عليك ،  
بل لا أمل فى العودة ، وإلا كان الموت عقابك .  
**موبراي :** ما أقساه من حكم يا مولاي المعظم !  
ما كنت أنتظر سماعه من فم جلالتيك ! ١٥٥  
ولقد كنت أستحق جزاءً أفضل من هذا  
على أيدي جلالتيك ! وأخف من هذا الجرح الغائر  
ألا وهو أن تلقى بى فى فضاء الغربة :

١٦٠ إذ أصبح علىّ أن أتخلى عن اللغة التي تعلمتها -  
وهي الانجليزية الأصلية -

على مدى السنوات الأربعين الماضية  
وأن يصبح لساني قيثارة أو كمانًا دون أوتار  
أو مثل آلة موسيقية عبقرية وضعت في صندوق مغلق  
١٦٥ فإذا فُتح الصندوق ، تناولها من لا يحسن شد الأوتار  
أو إخراج الأنغام المتوافقة .

لقد حبست لساني في فمي !  
وغللته بأصفاد مضاعفة هي أسناني وشفتاي !  
وسأحيا وسط من يجهلون لغتي ، فلا يشفقون علىّ ،  
ولا يرحمونني ، كأنهم حراس سجنى الأغبياء !  
١٧٠ لقد تجاوزت سن تلقى اللغة من المربية أو المرضعة  
أو العودة إلى صفوف تلاميذ المدارس !  
وليس حكمك إذن سوى حكم بالموت خرسًا !  
لأنه يمنع لساني من الكلام بلغتي الأصلية !

**ريتشارد**

: عبثًا تحاول أن تستعطف !

١٧٥ فالحكم نافذ ولا راد له !

**موبراي**

: إذن أهجر ضياء وطني

لأقيم في دياجير الليل الأبدى !

[ يتجه خارجًا ]

**ريتشارد**

: انتظرا ! [ إلى كل منهما ]

عودا فأقسما قَسَمًا لا حنث فيه !

- فليَضَعْ كل منكما يده على مقبض سيفي ،  
وليحلف بإخلاصه لله ،
- ١٨٠ وبإخلاصه وواجبه نحو مليكه ،  
ألا يحنث في هذا القسم أبداً !  
أما القَسَمُ فهو ألا تتبادلا في منفاكما الود أو الحب  
بل ألا يشاهد أحكما صاحبه ، أو يرأسله ،  
١٨٥ أو يبادلته التحية ، أو يتصافى معه ويتصالح  
فينسى حقه وكرهيته الأولى !  
وَألا يتعمد الاجتماع به بقصد التآمر أو تدبير مكيدة ما  
أو المشاركة في مؤامرة حيكت لإيذائنا  
أو الإضرار بدولتنا أو رعايانا أو أرضنا .
- ١٩٠ **بولينبروك** : أقسم على ذلك  
**مويراي** : وأنا أيضاً أقسم على ذلك كله .  
**بولينبروك** : سأخاطبك في حدود ما يخاطب العدو عدوه  
لو كان الملك قد سمح لنا بالمبارزة  
لكانت روح أحدنا ، في هذه اللحظة ،  
تهيم على وجهها في أجواء الفضاء  
١٩٥ بعد نفيها من ضريح الجسد الواهن  
مثلما نفى جسدانا من هذه الأرض  
وعليك إذن أن تعترف بخيانتك قبل الرحيل من المملكة

فرحلتك طويلة ،  
ولا يجب أن يطول تحملك للجريرة التى  
ينوء بها كاهل روحك الخاطئة  
٢٠٠ : لا يا بولينبروك ! لو كنت خائنا  
فليشطبْ اسمى من سجل الأحياء  
وليكتبْ على النفى من السماء  
مثلما نُفيت من هذه الأرض !  
أما حقيقتك فلا يعرفها إلا الله ،  
كما تعرفها أنت وأعرفها أنا !  
بل وأظن أن الملك سرعان ما يعرفها ويندم على قراره!  
وداعاً يا مولاي ! لن أضل عن غايى أنى ذهبت !  
٢٠٥ فدروبي تمتد بأقطار العالم ،  
محروماً من العودة إلى إنجلترا !

[ يخرج ]

ريتشارد : أرى يا عمى أحزان فؤادك فى نوافذ عينيك  
ومظهرك الحزين قد خفف مدة منفى ابنك  
واقطع منها أربع سنوات ! [إلى بولينبروك]  
اسمع يا بولينبروك  
لك أن تعود على الرحب والسعة بعد أن تقضى  
٢١٠ ستة أشتاء باردة الأوصال !  
بولينبروك : ما أطول الوقت الذى يكمن فى كلمة قصيرة  
لقد سقطت أربعة من فصول الشتاء المريرة

- وأربعة من فصول الربيع اللاهية ، بكلمة واحدة !  
 هذا مبلغ سلطة كلمات الملوك !
- جونت : شكراً لمولاي على مراعاة خاطري ٢١٥
- وتقصير مدة نفى ابني أربع سنوات  
 ولكن ذلك لن يجدى فتيلاً في حالتي  
 فقبل أن تمر السنوات الست عليه في المنفى ،  
 فتتغير أوجه القمر وتتبدل أوجه الزمان  
 سيكون مصباح حياتي الذي جف زيته قد انطفأ ٢٢٠  
 ويطمس الزمان نور عينيّ  
 في الشيخوخة والليل السرمدي  
 وتتحرق ذبالة شمعتي ثم تخبو إلى الأبد  
 ويعصب الموت عينيّ فلا أرى ولدي !
- ريتشارد : لا تقل ذلك يا عمي ! فستحيا سنوات كثيرة !
- جونت : لا تستطيع يا مولاي أن تزيد لها ولو دقيقة واحدة ٢٢٥
- لكنك تستطيع إنقاصها بالهم الثقيل !  
 تستطيع انتزاع الليالي لا منحى غداً واحداً !  
 وإذا استطعت مؤازرة الزمن في تغصين وجهي  
 فلن تستطيع منع الغضون من الظهور في رحلة الحياة !
- ٢٣٠ يستطيع الزمن صرف عملات كلماتكم إذا أمرتم بموتى  
 لكنني إذا مت فلن تستطيع ثروة المملكة كلها  
 أن تشتري حياتي !
- ريتشارد : لقد صدر الأمر بنفي ولدك بعد إمعان وروية

- بل لقد شاركت فى اتخاذ القرار بنفسك  
فلماذا تتظلم الآن فيما يبدو من عدالتنا ؟
- ٣٣٥ **جونت** : الأطعمة الحلوة تكتسب مرارة عند هضمها !  
لقد طلبت رأى باعتبارى قاضياً  
وليتك طلبت منى الدفاع عنه باعتبارى والدًا  
ولو لم يكن ولدى  
لأصدرت حكمًا أرحم وهونت من ذنبه  
٢٤٠ لكننى خشيت أن يتهمنى أحد بالتحيز له  
فأصدرت الحكم الذى دمر حياتى تدميرًا !  
وا أسفاه ! لقد كنت أتوقع أن يتدخل أحدكم  
فيعارضنى ويقول إننى بالغت فى القسوة  
لكنكم سمحتم للسانى أن يتشدد رغمًا عنه  
٢٤٥ ورغم إرادتى حتى أصابنى بما أصابنى !  
**ريتشارد** : وداعًا يا ابن عمى !  
وأرجو أن تودعه أنت أيضًا يا عمى  
لأننا حكمنا عليه بالنفى ست سنين ، وعليه أن يرحل !  
[ دوى الأبواق - يخرج الملك وحاشيته ]
- اميرل** : الوداع يا ابن العم ! أرجو أن تطلعنا فى خطاباتك  
على مكان وجودك ،  
وإن كان ذلك لا يخص الحاضرة الملكية !
- القائد** : ولكننى لن أودعك يا مولاي فسوف أمضى معك راجبًا  
٢٥٠ إلى أقصى حدود هذه الأرض !

- جونت** : لماذا تضمن بكلماتك ولا ترد تحية أصدقائك ؟
- بولينبروك** : كلماتي أفقر من أن تكفى لوداعكم
- ٢٥٥ وإن كان على اللسان أن يسخر ويغدق
- حتى يخرج ما يحفل به القلب من أحزان
- جونت** : تنحصر أحزانك فى الغياب مدة ما عنا
- بولينبروك** : إذا غاب الفرح حضر الحزن فأقام
- جونت** : وما الأشتاء الستة ؟ ما أسرع ما تنقضى !
- بولينبروك** : ما أسرع ما تمضى إن كنت فى هناء
- ٢٦٠ أما الحزين فيرى الساعة عشر ساعات !
- جونت** : قل إنها رحلة فرح وسرور !
- بولينبروك** : ستزيد الكذبة من أحزان القلب
- إذ يدرك أنى أرحل مضطراً !
- جونت** : اجعل مسراك المظلم والخطوات المرهقة
- ٢٦٥ إطاراً جهماً كالليل
- يسطع فيه بريق الجوهرة المثلى وهى العودة للأوطان !
- بولينبروك** : بل إن كل خطوة كثيفة أخطوها
- ستذكرنى ببعد الشقة عن الجواهر التى أعشقها .
- ٢٧٠ أفلن أكون بمثابة صانع يتعلم الحرفة
- فيقضى وقتاً طويلاً كادحاً فى الغربة
- فإذا أحكم حرفته فى النهاية وتخرج وتحمر
- أدرك أن معلّمه لم يكن سوى الحزن العميق ؟
- جونت** : ما أشرقت عين السماء على مكان

- ٢٧٥ إلا رآه العاقل مرفأ هناء ومأوى أمان  
استعن بهذا المنطق فى وقت الحاجة  
فلا يصقل النفس مثل الحاجة ، فُضلى الفضائل !  
لا تقل إن الملك نفاك ، بل إنك نفيت الملك !  
فالحزن يشتد ساعده عندما يدرك  
أنه قد صادف قلباً واهناً !
- ٢٨٠ ارحل وقل إننى بعثت بك للرقى فى مدارج الشرف  
وانس أن الملك قد نفاك ! أو فلتفترض أن أجواءنا  
قد حل بها وباء مُهلك فتأك ،  
وأنتك تفر منها طلباً للصحة !  
وقل إنك ستجد خير ما تطلب وتنشد  
فيما تقصده من بلدان
- ٢٨٥ لا فيما هجرته من أوطان !  
تخيّل أن الطيور المغردة موسيقيون يعزفون لك الألحان  
وأن الكلاً الذى تطؤه هو البساط السندسى  
فى قصر الملك ،  
وأن الأزهار حسان فائنات ، وأن خطاك  
هى خطى الراقص على إيقاع النغم الجميل !
- ٢٩٠ فالحزن الذى ينبع كالكلب تضعف طاقته على العض  
حين يسخر منه الإنسان ويستهزئ به !  
من ذا الذى يستطيع أن يقبض على الجمر  
بأن يتخيل أنه يقبض على ثلوج جبال القوقاز ؟
- بولينبروك :**



٢٩٥

أو أن يشبع جوعه ونهمه

بأن يتخيل وليمة فاخرة ؟

أو أن يتمرغ عاريا فى ثلوج ديسمبر

بأن يتخيل أن البرد هو لظى الصيف القاتل ؟

٣٠٠

لا ! إن إدراك الخير يزيد من وقع الشر !

وناب أفعى الحزن يحدث أكبر الألم

حين يكمن السم فى الجرح المتورم

دون أن يفتحه الموضع لإخراج السم !

**جوت :** هيا بنا يا ولدى ! سأسير معك إلى أول الطريق

ولو كنتُ فى شبابك ، وكانت قضيتى قضيتك ،

لرحلت معك !

**بولينبروك :** إذن فالوداع يا أرض إنجلترا !

٣٠٥

الوداع أيتها التربة الجميلة !

ما زلت أرى التى تحملنى ومرضعتى التى ترضعنى !

ومهما تكن الشعاب التى سأضرب فيها فى منفاى ،

فسوف أعتز دائماً بأننى ابن صادق لإنجلترا !

### المشهد الرابع

#### البلاط

[ يدخل الملك ، وباجوت ، وجرين من باب ، ودوق أوميرل

من الباب المقابل ]

**ريتشارد :** [ مستكملاً حديثه ] لاحظنا ذلك فعلاً ! ولكن قل لى

- يا أوميرل يا ابن عمى :
- إلى أى مدى رافقت هيرفورد ،  
رفيع القدر والهمة ، فى طريقه ؟
- اوميرل** : رافقت هيرفورد ، الذى تقول إنه رفيع القدر والهمة ،  
حتى أقرب طريق عام ثم تركته
- ريتشارد** : وكم من الدموع ذرفتما عند الفراق ؟
- اوميرل** : لم أذرف دمعة فراق واحدة !  
ولكن الريح الشمالية الشرقية  
كانت تهب زمهريراً على وجوهنا ،  
فأيقظت كامن العلة عندى  
وأسالت بالمصادفة عبرة وحيدة  
جللت بالدمع فراقنا الأجوف !
- ريتشارد** : وماذا قال ابن عمنا حين فارقتهم ؟
- اوميرل** : قال 'وداعاً' وحسب ! ولكن قلبى كره أن يبتذل لسانى  
تلك الكلمة ، فألهمنى من الدهاء ما جعلنى أظهار  
بأن حزن الفراق قد جثم على صدرى  
ودفن الكلمات فى قبر أحزاني !
- ريتشارد** : وأقسم إنه لو كانت كلمات 'الوداع' ستطيل الساعات  
وتضيف سنوات إلى عمر منفاه القصير  
لقدمت إليه مجلداً كاملاً من كلمات الوداع !  
ولكن هيهات لها ذلك ! ومن ثم لم أودعه !
- ريتشارد** : إنه ابن عمنا أيضاً يا ابن العم ! وإن كنت غير واثق

- من موعد انتهاء منفاه ، وعودته لرؤية أصدقائه !  
لقد لاحظنا ،  
ولاحظ معنا 'بوشى' و'جرين' و'باجوت'  
كيف يحاول اكتساب حب العامة والدهماء  
وكيف كان ، فيما يبدو ، ينفذ إلى قلوبهم بتواضعه ٢٥  
وتبسطه معهم ومجاملاته لهم !  
وكان يضيفى الاحترام على السفلة  
ويخطب ود فقراء الصنائع باصطناع البسمات والجلد  
والصبر على ما حل به من المكاره  
كأنما ليصحب حبهم معه إلى منفاه ! ٣٠  
بل لقد رفع قبعته تحية لإحدى بائعات المحار  
ودعا له اثنان من أصحاب عربات النقل  
بسلامة الوصول  
فجثا على ركبته شاكرًا وقال لهما  
« شكرًا يا مواطني ويا صديقي المحبين »  
كأنما سيرث عنى ملك إنجلترا ! ٣٥  
وكأنما أصبح معقد رجاء رعايانا فى الحكم !  
: لقد رحل على أى حال ورحلت معه تلك الهواجس !  
وعلينا الآن أن نواجه الثوار الصامدين فى أيرلندا ،  
وأن نعد العدة لذلك فورًا يا مولاي  
فزيادة التأخير زيادة فى قوتهم ومنعتهم ٤٠  
وهى فى صالحهم لا فى صالح سموكم !

جرين

**ريتشارد**

: سأخوض بنفسى تلك الحرب !

أما عن خزائنا فقد خفت أثقالها بعض الشيء  
بسبب الحاشية الضخمة فى القصر  
وسخاء الإغداق على الفقراء  
ولذلك فتحن مرغمون

٤٥ على تأجير بعض أراضى المملكة إلى الوكلاء\*  
والانتفاع بالعائد فى الإنفاق على الحرب  
فإذا لم يكن العائد كافيًا ،  
أصدرنا إلى عمالنا فى الأقاليم 'أذنًا' مفتوحة  
تخوّل لهم الحق فى فرض المبالغ التى يحدّدونها  
على من يرون أنه غنى، ثم يرسلون  
٥٠ مقادير ضخمة من الذهب  
لسد احتياجاتنا ، إذ سوف نتجه إلى أيرلندا فى الحال .  
[ يدخل بوشى ]

ما وراءك يا بوشى ؟

**بوشى**

: إن جون جونت الشيخ قد أصابه مرض خطير فجأة !

٥٥ ولقد أرسلنى على عجل لأرجو من جلالتك  
أن تعودوه فى مرضه

**ريتشارد**

: وأين يقيم الآن ؟

\* كان الوكيل يدفع للملك مبلغًا من المال مقابل تأجير الأرض وجمع خراجها والضرائب المفروضة عليها ( انظر المقدمة ، وتفاصيل ذلك فى تضاعيف المتن نفسه ) .

**بوشى** : فى 'إيلى هاوس'

**ريتشارد** : فليلهم الله الطبيب أن يسرع به إلى القبر !

٦٠ فإن بطانة خزائنه تكفى لصناعة ثياب جنودنا  
الذاهبين إلى القتال فى أيرلندا .

هيا أيها السادة جميعاً حتى نعوده فى مرضه

وأدعو الله أن نسرع ثم نصل رغم ذلك

بعد فوات الأوان !

**الجميع** : آمين !

[ يخرجون ]



## الفصل الثاني

### المشهد الأول

[ يدخل جون جونت وقد بدت عليه دلائل المرض ، مع دوق

يورك وآخرين ]

**جونت**

: هل سيأتى الملك حتى أبذل أنفاسى الأخيرة

فى إسداء المشورة الصالحة لشبابه الطائش ؟

**يورك**

: لا ترهق نفسك ولا تجهد أنفاسك

فكل مشورة تذهب سدى إلى أذنه

**جونت**

: لكنهم يقولون إن ألسنة الرجال فى النزاع الأخير

تستولى على الألباب مثل الأنعام المتوافقة الصادقة

فعندما تقل الكلمات تزيد قيمتها ويندر أن تذهب سدى

والحق رهين بالكلمات التى تعتصرها الآلام

والناس يكثرون الإصغاء إلى من لا يكثُر الكلام

لا إلى من يدفعهم الشباب ولين العيش

١٠ إلى فارغ اللفظ والملق!

ويلتفت الناس إلى نهاية المرء أكثر من سابق حياته

فالشمس الغاربة أحلى ، والخاتمة الموسيقية أجمل ،

مثل ما نختم به الطعام من حلوى ،

ومذاق الحلاوة الأخير آخر الحلاوة

يظل عالقًا بالذكرى دون ما فات وانقضى !

- ١٥ وإذا لم يكن ريتشارد قد أصغى لمشورتى فى حياتى  
فقد تشفيه كلمات احتضارى الحكيمة من صمم أذنه !  
يورك : بل لقد سُدَّتْ أذنه بأصوات الملق الأخرى  
وهى المدائح التى يحبها الجميع ، حتى العقلاء ،  
والقصائد ذات اللذة اللاهية  
التي تصب أنغامها المسمومة دائماً فى آذان الشباب !  
٢٠ وقس على ذلك أحاديث الأرياء الجديدة  
القادمة من إيطاليا العظيمة ، والتي ما فتئ أبناء أمتنا  
يحاكونها بعد ابتكارها معجبين ،  
حتى ولو لم يحسنوا تلك المحاكاة الوضيعة !  
وهل ابتدع العالم بدعة زهو وغرور  
دون أن تُنقل أنباؤها إليه ، فتطن طنيناً فى أذنيه ،  
وحسبه أن تكون جديدة ، مهما يكن من خبثها ؟  
٢٥ وهكذا فقد فات أوان إصغائه للمشورة  
بعد أن تمردت إرادة النفس على العقل !  
لا تحاول توجيه من تختار نفسه الدنيا سبيله  
وأنت فى حاجة لأنفاس الحياة فلا تضيّعها سدى !  
٣٠ جونت : إخال أن أنفاسى وحى جديد جعلتنى نبياً  
وهاكم نبوءة آخر أنفاسى عنه :  
إن نار رعونته الملتهبة لن يكتب لها الدوام  
فسرعان ما يخبر الضرام إذا استعر !



والرذاذ الذى يتساقط على هيئته يستمر طويلاً  
 ٣٥ والوابل المباغت قصير الأجل  
 وسرعان ما يصيب التعب الراكب السريع  
 الذى يبادر إلى الركوب فى البكور  
 والطاعم النهم الشره يغص بطعامه !  
 والخيلاء الجوفاء مثل غراب الماء الذى لا يشبع أبداً  
 إذ تستهلك المال وسرعان ما تهلك صاحبها !  
 ٤٠ انظروا إلى هذه الجزيرة ذات الصولجان  
 عرش الملوك وسلطانهم ! وإلى هذه الأرض الجلييلة  
 حيث يقيم رب الحرب ، وحيث تمتد جنة عدن الثانية  
 قرينة الفردوس !  
 وإلى هذه القلعة التى ينتها الطبيعة لنفسها  
 لتحميها من وباء الحرب وأيادى الأعداء !  
 ٤٥ وإلى هذه السلالة من الهائنين بهذا العالم الصغير  
 وهذه الجوهرة الكريمة التى رُصّع بها البحر الفضى  
 الذى يقوم مقام السور الذى يحيط بها  
 أو الخندق المترع بالماء حول منزل من المنازل  
 يصد عنه طمع الأشقياء التعساء !  
 ٥٠ وإلى هذه البقعة المباركة من الأرض ، هذه المملكة ،  
 إلى انجلترا التى حملت ثم أرضعت الملوك الذين  
 خشيتهم الناس لنسيهم وحسبهم ،  
 واشتهروا بكرم أرومتهم ،

وطار صيتهم فى الآفاق لبطولاتهم خارج الوطن  
 وإخلاصهم للمسيحية ، وفروسياتهم الصادقة  
 التى تجلت فى إنقاذ ضريح المسيح  
 ٥٥ من أيدى اليهود الألداء  
 وهو الذى أنجته العذراء البتول ليخلص العالم !  
 أنظروا ما حدث لهذه الأراضى  
 التى يقطنها أربابنا الأعزاء  
 تلك الأراضى الحبيبة الغالية  
 التى ذاعت شهرتها فى العالم كله  
 بل التى لا تقدر بمال !  
 ٦٠ لقد أصبحت رهينة فى أيدى المستأجرين  
 أقولها وأنا على شفا الموت - مثل الأكواخ المستأجرة  
 والمزارع الصغيرة !  
 انظروا إلى المنجلى التى يحيط بها بحر النصر  
 وحيث تصد صخور شاطئها  
 حصار رب البحر الحقود الحسود !  
 كانت تلك حدودها ! أما الآن فالعار يرسم حدودها :  
 بقع من الخبر على عقود إيجار من الرق البالى !  
 انظروا كيف تحولت المنجلى  
 ٦٥ من دولة درجت على قهر الآخرين  
 إلى دولة قهرت نفسها قهراً فاضحاً !  
 وليت الفضيحة تنقشع بموتى

فأموت هانيء البال !

[ يدخل الملك ريتشارد ، والملكة ، وأوميرل ، وبوشى ،

وجرين ، وباجوت ، وروس ، وويلابى ]

**يورك**

: حضر الملك فترفق فى مخاطبته ! لا تنس أنه شاب

والمهر الجامح يزداد جموحاً إذا أُلْجِمَتْهُ فَأَثَرَتْهُ ! ٧٠

**ريتشارد**

: كيف حال عمنا الشريف لانكاستر ؟

**ريتشارد**

: كيف تُرضيك يا رجل ؟ كيف حال جونت العجوز ؟

**جونت**

: ما أصدق ما يصف اسمى حالى !

'جونت' يعنى النحول والهزال بلغتنا

وأنا نحيل عجوز أو عجوز هزيل !

٧٥ فالحزن فى نفسى يصوم صوماً أرهقنى

ومن ذا الذى يصوم عن اللحم فلا يصيبه النحول ؟

لقد سهرت أرقب أحوال المجلثا النائمة زمناً طويلاً

والسهر يؤدى إلى الهزال ، فغدوت جونت الهزيل !

كما أننى أصوم عن طعام

يستعيز به بعض الآباء عن الغذاء

٨٠ ألا وهو رؤية أبنائى ، مما زاد من نحول جسمى !

كفى بجسمى نحولاً أنه أصبح كالمقبرة ،

جاهزاً لدخولها ،

حيث لا يرث رحمها الأجوف إلا العظام !

**ريتشارد**

: كيف يتسنى لرجل مريض أن يتلاعب بمعنى اسمه

بروح الهزل والدعابة ؟

- جونت** : هزل الهزيل من شقائه هازئًا بنفسه !  
وما دمت تريد أن تقتل اسمي بنفى ولدى الذى يحمله  
فإننى أهزأ باسمى أيها الملك العظيم مدهنًا إياك !
- ريتشارد** : هل ينبغي لمن يحتضر أن يدهن الأحياء ؟
- جونت** : لا ! لا ! بل إن الأحياء هم الذين يدهنون الموتى !
- ريتشارد** : إنك تُحتضر وتقول إنك تدهننى !
- جونت** : لا ! لا ! بل إنك الذى يحتضر  
رغم أن مرضى أشد وأنكى !
- ريتشارد** : أنا أمتع بصحة جيدة ، وأتنفس أنفاس الحياة ،  
وأراك مريضًا !
- جونت** : بل مريضًا أراك\* ويعلم ذلك من خلقتنى !  
فبصرى كليل وأراك معتلاً !
- ٨٥ أما فراش موتك فهو أرض بلادك كلها  
حيث ترقد مريضًا معتل السُّمعة  
بل إنك تسرف فى إهمال العلاج  
إذ تعهد به إلى الأطباء  
الذين أصابوك بالجراح أول الأمر  
بعد أن مُسح على جسدك عند التويج بالزيت المقدس !
- ٩٥ إن ألف مدهن يجلسون داخل تاجك  
الذى لا يزيد قطره عن قطر رأسك

\* يعتمد جونت الغموض فقد تكون 'مريضًا' عائدة على المتكلم ( حال ) أو على المخاطب (مفعول ثانٍ). وهو يفصل بين المعنيين فى السطر التالى .

- وإن كانت حدود ذلك الحيز الضيق  
تمتد لتشمل أراضيك كلها التى أصابها الخراب !  
ليت جدك كانت له عين نبي<sup>١٠٥</sup>  
حتى يرى كيف يدمر حفيده أبناء\*  
ولو تنبأ بذلك لأبعد السلطة التى جلبت لها العار  
عن متناول يدك ، ولعزلك قبل توليك السلطة ،  
وقد أصبحت عاكفاً الآن على عزل نفسك !  
اسمع يا ابن عمى ! لو كنت ملكاً على الدنيا بأسرها  
لكان من العار  
أن ترهن هذه الأراضى فى أيدي المستأجرين !  
ولكن دنياك مقصورة على هذه الأراضى  
والعار الذى جلبته عليها يزيد عن كل عار !  
لقد أصبحت بذلك مالكاً لأراضى انجلترا لا ملكاً عليها  
أى أصبح العرش خاضعاً للقانون ،  
وهو الذى يسن القوانين !  
بل إنك أنت -  
ريتشارد : [ مقاطعاً ] مأفون مخبول هزيل الذهن !  
١١٥  
إنك تفترض أن المرض مزية تبرر تجاسرك أو تطاولك  
بهذا التقريع البارد الذى أدى إلى شحوب خدى

\* الجد هو الملك إدوارد الثالث ، والغموض مقصود فى كلمة 'أبناء' فقد تشير إلى أبناء إدوارد -  
ومنهم جونت وجلوستر ، وقد تشير إلى أبناء ريتشارد الذين تضاعل ميراثهم فأصابهم الخراب

- وأغضبني فغاض الدم الملكى من نبعه الأول !  
 أقسم بعرشى الذى أجلس عليه بحق الملك وجلاله  
 لو لم تكن أخًا لابن إدوارد العظيم  
 لكان هذا اللسان الذى يعربد فى رأسك  
 سببًا فى الإطاحة بهذه الرأس عن كتفك الوقحتين !  
 : لا تُبق على حياتى يا ابن أخى إدوارد  
 لأننى كنت ابن أبيه إدوارد !  
 فلقد سفكت هذا الدم من قبل  
 وتجرعته مثل طائر البجع العاق فطربت وانتشيت  
 لقد سفكت دم أخى جلوستر ، ذلك الطيب المخلص ،  
 أسكنه الله فسيح جناته مع الصالحين الأبرار ،  
 وتلك سابقة ولا شك ، تشهد بأنك لا تأنف  
 من سفك دماء أبناء إدوارد ! هيا إذن !  
 فلتشارك المرض الذى دهمنى ،  
 ولتكن قسوتك مثل الشيخوخة التى حنت ظهري ،  
 ولتجتث حياتى مثل زهرة طال ذبولها فأمعن فى الطول !  
 سوف تعيش مجللًا بالعار ،  
 ثم تموت فلا يموت العار معك !  
 فلتكن هذه الكلمات سوط عذابك فى المستقبل .  
 ساعدونى فى النهوض إلى فراشى ثم إلى قبرى  
 إذ لا يحب الحياة إلا من يتمتع بالحب والتكريم !  
 [ يخرج ]

- ريتشارد** : وليمت من هَرِمَ فَخَرِفَ وفسد طبعه !  
 ١٤٠ ولقد هرمت فخرفت فأصبحت أهلاً للقبر !
- يورك** : أتوسل إليكم يا صاحب الجلالة أن تنسبوا أقواله  
 إلى مرضه الأرعن وشيخوخته ! أقسم بحياتي  
 إنه يحبكم مثل ابنه\* هاري دوق هيرفورد لو كان هنا !
- ريتشارد** : صدقت وقلت حقاً ! حبه مثل حب هيرفورد  
 ١٤٥ وحبي مثل حب كل منهما ، ولن يتغير شيء .  
 [ يدخل نورثميرلاند ]
- نورثميرلاند** : مولاي ! جونت العجوز يودعكم  
**ريتشارد** : ماذا يقول ؟
- نورثميرلاند** : لا شيء يا مولاي ! قد انتهى عهد الكلام  
 وأصبح لسانه آلة موسيقية دون أوتار  
 نَفَقَتْ\*\* الكلمات والحياة  
 ١٥٠ وكل ما كانه لانكاستر العجوز !
- يورك** : ليتني أصبح الفيلسوف التالي ! فالموت فقر لا شك  
 لكنه ينهي أحزان الفناء !
- ريتشارد** : أول ما يهوى على الأرض الثمار الناضجة !  
 وقد هوى !

\* الغموض مقصود : [ مثلما يحب ابنه ] أو [ مثل حب ابنه لكم ] ويقول الشراح إن الملك رحب بهذا الغموض وأكدده في إجابته .

\*\* نَفَقَ يَنْفُقُ ( بمعنى نفد هنا ) من صور المال التي تشيع في المسرحية ، وهي تتطور في الحوار التالي .

- ولقد نَفَقَتْ أيامه ، ولكن رحلتنا مستمرة !  
يكفى الحديث عن ذلك
- ١٥٥ ولتناقش موضوع الحرب في أيرلندا  
لا بد من قمع تلك الشرذمة من جنود المشاة ،  
التي تضم كل أشعث أغبر ،  
والذين يتمتعون بالحياة كالأفاعى السامة  
في بلد لا أفاعى فيها سواهم ! وهذه الجهود الجبارة  
تتطلب بعض التكاليف : وسوف نستعين في ذلك  
١٦٠ بمصادرة جميع أملاك عمنا الراحل جون  
من الأواني المفضضة والمذهبة  
والعملات والإيرادات والمنقولات  
وضمها جميعاً إلى خزائنا !
- يورك : إلى متى أصبر على الظلم ؟  
إلى متى يدفعني الواجب والتأدب  
إلى تحمل الإساءة ؟ لقد شهدت موت جلوستر ،  
١٦٥ ونفى هيرفورد ، وتقريع جون ،  
وما تحمله أفراد الشعب الانجليزي من الظلم ،  
وحرمان بولينبروك المسكين من الزواج ،  
وما ألحقته بي شخصياً من العار ،  
ولكن خدّى زانهما الصبر الجميل فلم يتجهما  
١٧٠ ولم أظهر غضباً العبوس والتقطيب في وجه مولاي !  
اننى آخر أبناء إدوارد الشريف



- وكان أولهم والدك ، أمير ويلز !  
 لم يشهد ميغان القتال أسدًا أشد ضراوة منه  
 ولم يشهد زمن السلم حملًا أكثر وداعة ورقة  
 بل كان أشرف الأمراء والشبان !  
 ولقد ورثت ملامح وجهه ، إذ كان يشبهك  
 عندما كان في سنك . لكنه لم يكن يتجههم  
 إلا في وجوه الفرنسيين ، لا في وجوه أصدقائه !  
 وكانت يده الشريفة تكسب ما ينفقه  
 ولا تنفق ما كسبته يد أبيه الظافر !  
 ولم تلوث يديه دماء الأقرباء  
 بل كانتا تسفكان دم أعداء أقربائه  
 عفوا يا ريتشارد ! لقد غلب الأسى يورك  
 وإلا ما قارن أبدًا بينكما !  
 ١٨٥ : **ريتشارد** : واهًا لك يا عمي ! ماذا ألم بك ؟  
 : **يورك** : مولاي اغفر لي إن شئت ،  
 وإن لم تشأ ، فسوف يسرنى ألا تغفر لي ،  
 وأنا راضٍ مهما يكن من أمر !  
 أفلا تسعى لمصادرة أموال هيرفورد الذي نفيت  
 والاستيلاء على حقوقه وامتيازاته لنفسك ؟  
 ١٩٠ : أفلم يمت جوننت وما يزال هيرفورد حيًا ؟  
 ألم يكن جوننت منصفًا ؟ أليس هاري مخلصًا ؟  
 ألم يكن جوننت يستحق أن يكون له وارث ؟

- أليس ابنه جديراً بميراثه كل الجدارة ؟  
 إن حرمان هيرفورد من حقوقه  
 ١٩٥ معناه انتهاك موثيق الزمن  
 وحقوق الزمن ! لكأنى بك تريد  
 ألا يُعقب نهار الغد نهار اليوم !  
 وكأنى بك تنكر ذاتك ! إذ كيف أصبحت ملكاً  
 إلا بالتعاقب والخلافة المنصفة ؟  
 وأنا أشهد الآن أمام الله ،  
 ٢٠٠ عسى الله ألا يحقق مخاوفى ،  
 أنك إذا اغتصبت حقوق هيرفورد ظلماً ،  
 وألغيت البراءات الرسمية التى أصدرها رجال القضاء  
 والتى تتيح له المطالبة بميراثه وحقوقه ،  
 ورفضت إقراره بالولاء لك فى هذا كله ،  
 ٢٠٥ فسوف تعرض رأسك لآلاف الأخطار  
 وتفقد ولاء الآلاف من قلوب رعاياك المحبين  
 وتنحس صبرى الوادع فيجمع ويثير من الأفكار  
 ما لا يقبله الشرف ولا الولاء !  
 : مهما تكن تلك الأفكار  
 فسوف نستولى على أوانيهِ المفضضة والمذهبة  
 ٢١٠ وعلى متاعه ونقوده وأراضيه  
 : لن أكون فى جوارك عندئذ ،  
 فسأرحل وأستودعك الله يا مولاي

ريتشارد

يورك

ولا يدري أحد عاقبة ذلك  
ولكن المؤكد أن السبل الخاطئة عواقبها وخيمة .

[ يخرج ]

**ريتشارد**

اذهب يا بوشى من فورك :  
إلى دوق ويلتشر وزير الخزانة ،  
واطلب منه أن يأتى إلينا فى 'إيللى هاوس'  
لتنفيذ هذا الأمر .  
وفى صباح الغد سوف نرحل إلى أيرلندا  
فالوقت قد حان لذلك . ونحن ننيب عنا أثناء غيابنا  
عمنا يورك ، الذى سيصبح حاكمًا عامًا لـإنجلترا  
فهو يتسم بالإنصاف ويخلص فى حبنا على الدوام  
هيا بنا يا مليكتى فلا بد أن نفترق غدًا  
فلنسعد الليلة ونمرح لأننا لن نكث طويلاً فى إنجلترا !  
[ يخرج الملك ريتشارد والملكة مع بوشى

وأوميرل وجرين وباجوت ]

**نورثمبرلاند**

: تعرفون أيها اللوردات أن دوق لانكاستر قد توفى

**روس**

: بل هو حى لأن ابنه أصبح دوق لانكاستر

**ويلابى**

: لقد ورث اللقب فحسب دون الأموال !

**نورثمبرلاند**

: بل اللقب والأموال جميعاً إن أخذ العدل مجراه

**روس**

: قلبى مثقل بالهموم لكننى أؤثر أن ينفطر صمماً

على تخفيف أحماله بلسان دَرِبٍ طليق

- نورنمبرلاند :** بل أفصح عما بنفسك !  
 فإذا روى أحد ما قلت ليسئ إليك  
 فسوف أخرسه إلى الأبد !  
**ويلابى :** هل تقصد الكلام عن دوق هيرفورد ؟  
 إن كان الأمر كذلك فلا تخش شيئاً يا رجل !  
 فأذننى تتوق إلى سماع ما يعود بالخير عليه !  
**روس :** لا أملك أن أفعل ما يعود بالخير عليه  
 إلا إن أسميت الاشفاق عليه خيراً  
 بعد أن فقد أباه وحُرّم ميراثه !  
**نورنمبرلاند :** أشهد أمام الله أنه من العار أن تحل هذه الإساءات  
 بهذا الأمير الملكى ، وبكثيرين غيره من الأشراف  
 فى هذه البلد التى تتدهور أحوالها !  
 لقد تغير الملك وتبدل ، فأسلس قياده فى مهانة  
 إلى المذاهنين ،  
 فإذا ما دفعهم الحقد إلى الكيد لأحد منا عنده  
 مهما يكن من كذبهم ، انقض علينا بقسوة  
 ففتك بأرواحنا وأطفالنا وورثتنا  
**روس :** أما العامة فهو يسلبهم وينهبهم بضرائبه الباهظة ،  
 فتحولت عنه قلوبهم ،  
 وأما الأشراف فهو يفرض عليهم الغرامات  
 لما سلف من خلافات ، فتحول عنه ولاؤهم !  
**ويلابى :** وهو يبتكر فى كل يوم أساليب جديدة لجمع المال

- مثل التوكيل « على بياض »\*
- ٢٥٠ والتبرعات القسرية وغيرها
- فبالله عليكم أين ذهبت هذه الأموال ؟
- نورثمبرلاند :** لم تنفق في الحرب ، إذ لم يخض أى حرب ،
- بل لقد نزل نزولاً ذليلاً في معاهدات الصلح
- عما اكتسبه أسلافه بضربات السيف
- وزاد ما أنفق في وقت السلم عما أنفقوه على الحروب ٢٥٥
- روس :** لقد رهن اللورد ويلتشر ، وزير الخزانة ،
- أراضي المملكة في أيدي الوكلاء\*\*
- ويلابى :** كأنما أصبح الملك تاجراً أصابه الإفلاس !
- نورثمبرلاند :** بل الإفلاس مصيره والعار !
- روس :** لم يستطع تدبير المال اللازم للحرب في أيرلندا
- ٢٦٠ رغم كل هذه الضرائب الباهظة
- إلا بنهب أموال الدوق المنفى
- نورثمبرلاند :** بهو قريبه الشريف ! ما أحطه من ملك !
- هنا أيها اللوردات نسمع زئير هذه العاصفة الرهيبة
- دو، أن نسعى للاحتماء من بطشها
- ٢٦٥ إننا نرى الريح وهي تمزق أشعة السفينة
- لكننا لا نطويها بل نشعر بأمان خداع فتاك !

\* المقصود هو 'الأذن المفتوحة' نى سبقت الإشارة إليها فى ٤٨/٤/١ ( من هذه المسرحية ) .

\*\* انظر حاشية السطر ٤٥/٤/١ ممهذه المسرحية .

- روس :** إننا نرى السفينة وهى تتحطم  
بعد أن أصبح خطر غرقها محتوماً  
بسبب عدم تلافينا الأسباب التى أدت إليه !
- نورثمبرلاند :** ليس الأمر كذلك ! إذ أستطيع أن ألمح الحياة ٢٧٠  
وهى تتطلع إلينا من خلال محاجر الجماجم الجوفاء !  
ولو أننى لا أستطيع أن أقطع  
بمدى اقتراب وصول أنباء النجاة!
- روس :** تكلم يا نورثمبرلاند ! ثق فى قدرتنا على الكتمان !  
فما ثلاثتنا إلا أنت نفسك ، وستصبح كلماتك ٢٧١  
بمثابة أفكار لم تبح رأسك ! لا تخش شيئاً وتكلم !
- نورثمبرلاند :** هاكم إذن : بلغنى نبأ من 'بورت بلان' ،  
وهو خليج فى بريتانى على الساحل الفرنسى ، يقوا  
إن هارى - دوق هيرفورد - ورينولد ( اللورد كويم )  
[ وهو ابن ريتشارد - دوق أرندل ] الذى فر أخرا ٢٨٠  
من قبضة دوق إكستر ، وأخاه الذى كان م عهد  
قريب رئيساً لأساقفة كانتربرى ،  
والسير توماس إيرينجام ،  
والسير جون رامستون ، والسير جون نوبرى ،  
والسير روبرت ووترتون ، وفرانسيس زينت ،  
قد تجهزوا بثمانى سفن عظيمة أمددها دوق بريتانى ٢٨٥  
وثلاثة آلاف مقاتل ،  
وأنهم يتجهون نحونا بسرعة بالغ

- فالسفن توشك أن ترسو على شاطئنا الشمالي .  
ولعل القوالم قد نزلت إلى الشاطئ فعلاً  
لكنها كانت تنتظر أن يرحل الملك إلى أيرلندا أولاً . ٢٩٠  
فإذا كحت هذه الأتباء فسوف ننفض نير الاستعباد  
ونريش الجناح الكسير الخفيض لهذا البلد ،  
ونخلص التاج من وكمة الرهن والاستتجار بضمائه !  
وننفض التراب الذي يحجب بريق ذهب الصولجان  
فيشرق جلال الملك الرفيع بصورته الحقة ٢٩٥  
فهيا معي على جناح السرعة إلى ميناء رافينسبرج  
فإذا خفتهم وتلكأتم فأرجو أن تكتموا السر  
وسأمضي وحدي إلى هناك .  
: **روس** الخيول الخيول ! لا يخامر الشك إلا الخائفين  
: **ويلابي** إن كمد جوادى كنت أول من يصل  
٣٠٠  
[ يخرجون ]

### المشهد الثاني

[ تدخل الملكة وبوشى وباجوت ]

- : **بوشى** مولاتى ! قد زاد حزنك عما ينبغي  
ألم تعدى لك عند وداعه بأن تنفضي  
هموم العيش ، تضر بالصحة ،  
وأن تبدى الفرح السرور ؟

**الملكة**

- : لم أعد بذلك إلا إرضاءً للملك !  
 لكننى لا أقوى على السرور إرضاءً لنفسى !  
 ٥ ولا أعلم سبباً يدعونى  
 للترحيب بالحزن الذى زارنى  
 سوى وداع زائرى الرقيق - زوجى الحبيب ريتشارد !  
 ومع ذلك فإنخال أن ثمة حزناً آخر  
 ما زال جنيناً لم يولد ،  
 ١٠ وإن اكتمل نموه فى رحم ربة الأقدار ،  
 وأنه يسعى نحوى ، حتى إن أعماقنى لترتعد لا لشيء !  
 إنها حزينة لشيء ما ، أكبر من فراق سيدى الملك !

**بوشى**

- : لكل حزن جسمٌ له عشرون ظلاً  
 ١٥ ويبدو الظل شبيهاً بالحزن وإن لم يكن كذلك  
 فإن عين الأسى تغشاها الدموع التى تحجب الصر  
 بغلالة لامعة تفتت صورة الشيء الواحد  
 فيبدو عدة أشياء  
 فالنظر من الأمام يخلط الرؤى  
 أما النظر من الزاوية الصحيحة فيبرز شكل الحقيقى  
 وهكذا فأنت تنظرين يا مولاتى إلى رحيل مولاك  
 ٢٠ من غير الزاوية الصحيحة ، وتجدين من الحزن أشكالاً  
 أكثر عددًا تدعوك للأسى والأل  
 أما إذا نظرت إليه فى حقيقته، فسوف تدركين  
 أن ما تريه ظلالٌ لكيان كاب !



- وهكذا أرجوك يا مليكتي المكرمة ثلاثاً ألا تحزنى  
إلا لفراق سيدك ! فلا وجود لما يترأى لك إلا  
فى عين الأسى الخادعة التى تندب الوهم لا الحقيقة !  
الملكة : ربما صدقت ، ولو أن أعماق نفسى تقول بغير ذلك !  
ومهما يكن من أمر ، فلا أملك إلا الحزن  
ومن الحزن أنقله وأعتاه ! فكأنما أصبح تفكبرى فى  
عدم الفكر مصدر هم وفكر ! وأصبح عدم الفكر  
عبئاً ثقيلاً أنوء تحته وأرزع !  
بوشى : إنه وهم أى عدم يا مولاتى الكريمة !  
الملكة : لا أقلّ من ذلك ! فالوهم ينحدر من سلاله حزن قديم  
ولكن حزنى مختلف ، فهو وجود ينحدر من عدم  
أو قل إن العدم الذى يحزنى له وجود  
وأنا أملكه باعتبار أنه سوف يؤول إلى  
أما ماهية ما يزال مجهولاً  
فلا أستطيع أن أضع لها اسماً  
فما أعرفه حزن لا اسم له !\*  
[ يدخل جرّين ]  
جرّين : حفظ الله جلالة الملكة ! ومرحبا بكم أيها السادة !  
أمل ألا يكون الملك قد أبحر إلى أيرلندا !

\* علق كثير من الشراح على المبالغة فى التلاعب اللفظى ( المفارقات وألوان الطباق ) فى هذه الأبيات ، والمشهد كله من ابتكار خيال شيكسبير ولا يوجد له سند تاريخى ، والتلاعب مستمر فى السطور التالية ( انظر المقدمة ) .

- الملكة** : ولم تأمل ذلك ؟ بل الأفضل أن تأمل  
أن يكون قد رحل ، فعمله يقتضى العجلة ،  
وعجلته ستحقق الأمل !
- ٤٥ فلماذا تأمل إذن ألا يكون رحل ؟
- جرين** : عسى أن يكون ، وهو أملنا ، قد سحب قواته  
وألقى فى هوة اليأس بآمال العدو  
الذى أنزل قوات كبيرة فى أراضينا !  
إذ إن بولينبروك قد عاد من المنفى  
ووصل سالماً ، مع جيش شاكى السلاح ،  
٥٠ إلى رافينسبرج
- الملكة** : لا قدر الله أن يحدث ذلك !
- جرين** : بل حدث حقاً يا مولاتى ! والأدهى من ذلك  
أن اللورد نورثمبرلاند ، وابنه الشاب هارى بيرسى  
واللوردات روس وبوموند ، وويلابى  
وأصدقاءهم الأقوياء  
٥٥ قد فروا من صفوفنا والتحقوا بصفوفه !
- بوشى** : لماذا لم تعلن على الملأ خيانة نورثمبرلاند  
وسائر أفراد تلك الزمرة العاصية ؟
- جرين** : بل أعلنّا ذلك ! وما كدنا نعلنه  
حتى وجدنا اللورد 'ووتر' قهرمان البلاط  
يكسر عصاه ، ويستقيل من منصبه ،  
٦٠ ويفر مع جميع خدم القصر إلى بولينبروك

- الملكة** : أنت يا جرين إذن القابلة التى ساعدتنى  
فى وضع ولدى - الحزن !  
أما بولينبروك فهو وارثه القبيح !  
أما وقد وَصَّعتُ روحى ذلك المسخ الشائه ،  
وأصبحتُ والدَّةٌ جديدةٌ ما تزال تلهثُ من آلام الوضع ٦٥  
فأنا أعقد أطراف الحزن بالحزن والأسى بالأسى !
- بوشى** : لا تيأسى يا مولاتى !  
**الملكة** : وما الذى يمنعنى ؟ لسوف أياأس وأعادى الأمل الخادع !  
إنه مدهنٌ طفيلٌ ، وهو يؤخر وصول الموت ٧٠  
الذى يذيب حبال العمر برقة ورهافة  
وهى التى يطيلها الأمل الكاذب فيمعن فى إطالتها !  
[ يدخل يورك ]
- جرين** : ها قد أتى دوق يورك .  
**الملكة** : هذا درع الحرب حول رقبتة التى طال عمرها\*  
وأمارات القلق والهم على وجهه ! أرجوك يا عمى ٧٥  
بل أستحلفك الله أن تقول ما يسرى عنى ويرىحنى !
- يورك** : إن قلت ذلك كنت كاذبًا !  
فالتسرية والراحة فى السماء ، ونحن هنا على الأرض  
حيث لا توجد إلا الأعباء والهموم والأحزان  
لقد انطلق زوجك لإنقاذ أقصى الأرض ٨٠

\* ربما كان المقصود درعًا يسمى gorget ( أى الخانق ) وهو طوق حديدى بلبس حول الرقبة . وكان يسمح للجنود فى أيام شيكسبير باستعماله حتى مع الملابس المدنية للدلالة على انتمائهم للجيش .

وأتى الآخرون ليتزعموا من يديه أذناها !  
وهو يتركنى لمساندة أرضه  
وأنا العاجز فى شيخوختى عن مساندة نفسى  
لقد أتت ساعة المرض من التخمة  
وحانت ساعة امتحان ولاء أصدقائه المداهنين ! ٨٥

[ يدخل خادم ]

**الخادم** : سيدى ! لم أجد ولدك أوميرل !

كان قد رحل قبل وصولى !

**يورك** : رحل ؟ كيف ؟! فليكن !

فليذهب كل واحد حيث يشاء !\*

لقد فرّ الأشراف ، وبردت مشاعر العامة ،

بل أخشى أن يتمردوا وينضموا إلى هيرفورد !

اسمع يا بنى !

٩٠ اذهب إلى أختى دوقة جلوستر فى 'بلاشى'

واطلب منها أن ترسل لى ألف جنيه فوراً .

خذ خاتمى معك !

**الخادم** : سيدى ! نسيت أن أقول لكم إنى مررت بمنزلها اليوم

٩٥ قبل أن آتى هنا - لكن بقية الخبر سوف تحزنكم !

**يورك** : تكلم أيها الحقير !

\* كان يورك قد أرسل فى طلب أوميرل لمساعدته فى الحكم ، ولكن أوميرل التحق بحملة ريتشارد ، وعجز يورك عن إدارة شئون المملكة الذى يصوره المخرجون تصويراً فكاهياً ( ويعتبره النقاد مضحكاً ) يتجلى فى هذه المواقف .

**الخدم**

: ماتت الدوقة قبل أن آتى بساعة !

**يورك**

: رحماك بنا يارب !

ما هذا المد العالى من أمواج الأحزان

المتزاحمة على هذا الشاطئ الحزين !

١٠٠ لا أعرف ماذا أفعل ! كم أتمنى لو أن الملك

كان قد قطع رأسى مع رأس أخى

ولو أنى أكره أن تكون خيانتى هى السبب !

[ إلى الحاشية ]

ألن يسافر بعض الرسل إلى أيرلندا ؟

كيف سنأتى بالأموال اللازمة لهذه الحرب ؟

أرجو يا أختى - أقصد يا ابنة أخى -

١٠٥ أن تغفرى وتصفحى !

وأنت يا غلام اسمع ! اذهب إلى القصر وانقل ما فيه

من أسلحة ودروع على بعض العربات ! وأحضرها هنا !

[ يخرج الخادم ]

أيها السادة ! أرجوكم أن تذهبوا وتحشدوا الرجال !

وإذا قلت لكم إننى أعرف وسيلة لتنظيم هذه المسائل

١١٠ أو تحديد أى أسلوب للعمل - فساكون كاذباً !

لقد وضعت فى يدى وهى مختلة مفككة

رغم أنفى ! كلاهما من أقربائى :

فالأول مليكى ولقد أقسمت ، كما يقضى واجبى ،

أن أدافع عنه ! والثانى قريب لى أيضاً ،

أساء إليه الملك ، وضميرى يأمرنى ،  
 ١١٥ كما تأمرنى قرابتى ، بأن أمحو الإساءة !  
 لابد من اتخاذ خطوة ما ! هيا يا ابنة أخى  
 سأصحبك إلى مكان آمن ، وأنتم أيها السادة  
 اذهبوا فاحشدوا الرجال ولنجتمع فى قلعة باركلى  
 كان الواجب أن أذهب إلى بلاشى أيضاً  
 ١٢٠ ولكن الوقت لايسمح ، وكل شىء مضطرب  
 ولقد تركنا نضرب أحماساً فى أسداس !

[ يخرج يورك مع الملكة ]

**بوشى** : الريح مواتية لإبحار السفن بالأثباء إلى أيرلندا  
 لكننا لم نسمع أى أنباء منها !  
 ومن المحال أن نحشد من الجنود  
 ما يوازى قوات العدو  
 ١٢٥ **جرين** : كما أن قربنا من الملك وحبنا له  
 يقربنا من كراهية الذين لا يحبون الملك !  
**باجوت** : هؤلاء هم العامة ، قلوبهم هواء ، وحبهم  
 يخضع لأموالهم ، ومن يُفرغ جيوبهم من المال  
 يملؤها بمقدار مساوٍ له من الكراهية الفتاكة !  
 ١٣٠ **بوشى** : ولهذا يدين العامة ملك البلاد !  
**باجوت** : ولو كان لهم أن يصدروا الأحكام لأدانونا أيضاً  
 بسبب قربنا على الدوام من الملك  
**جرين** : سأتحج مباشرة إلى قلعة بريستول طلباً للحماية

- فلقد سبقنا اللورد ويلتشر إليها
- بوشي** : وسوف أذهب معك ، فأنا لا أتوقع الكثير من العامة ١٣٥
- الذين يكرهوننا ، إلا أن ينقضوا كالكلاب علينا
- فيمزقونا إربًا إربًا ! هل تأتي معنا يا باجوت ؟
- باجوت** : لا ! ولكنني سأذهب إلى صاحب الجلالة في أيرلندا
- وداعًا لكما ! وإذا صدقت نبوءة قلبي ١٤٠
- فلن يجتمع ثلاثتنا أبدًا بعد هذا الفراق !
- بوشي** : هذا يتوقف على نجاح يورك في صد هجوم بولينبروك .
- جرين** : وا أسفا لهذا الدوق المسكين !
- ما أشبه المهمة التي كُلف بها
- بإحصاء عدد حبات الرمل
- وشرب ماء المحيطات حتى تجف !
- وفي مقابل كل جندي يثبت للقتال في صفوفه ١٤٥
- يفر آلاف !
- الوداع الآن وللأبد للجميع !
- بوشي** : لعلنا نلتقى مرة ثانية !
- باجوت** : أشعر أن ذلك لن يكون أبدًا !

### المشهد الثالث

[ يدخل بولينبروك ونورثمبرلاند ]

- بولينبروك** : كم تبعد باركلي الآن عنا ؟
- نورثمبرلاند** : صدقني أيها اللورد الكريم

- إننى غريب عن جلوسترشير  
وهذه الجبال السامقة الموحشة ،  
والطرق الوعرة غير المعبدة ،  
تزيد من طول الأُميال التى نقطعها وإرهاقها لنا !  
ولكن حديثك الجميل يشبه السكر الذى يضيفى الحلاوة  
وطيب المذاق على هذا الطريق العسير !  
وأنا أدرك الآن مدى ما كابده روس وويلابى  
من عناء فى الرحلة من راينسبرج إلى كوتسولدز  
بسبب عدم مصاحبتك لهما !  
فأنا أزعم أن صحبتك قد خَفَّفَتْ كثيراً  
من الملل والضجر فى هذا الطريق الطويل !  
ولو أن وعثاء سفرهما قد خَفَّفَ منها  
أمل التمتع بما أتمتع به الآن من صحبة !  
وأمل الفرح لا يقل إلا قليلاً عن التمتع بها !  
وسوف يساعد الأمل هذين اللوردين المرهقين  
على الإحساس بقصر الطريق ، مثلما أحس الآن ،  
بفضل رؤية ما أرى من صحبتكم الشريفة !  
**بولينبروك :** قيمة صحبتى تقل كثيراً عن قيمة كلماتك الطيبة !  
ولكن انظر من القادم ؟

[ يدخل هارى بيرسى ]

**نورثمبرلاند :** إنه ابنى الصغير هارى بيرسى !

\* يقول المعلقون إن هذا الملق هو ما كان نورثمبرلاند ينتقده فى حالة الملك ( ٢ / ١ / ٢٤١ - ٢٤٢ )



- وقد أرسله إلى أخي ووستر منذ فترة !  
مرحباً بك يا هاري ! كيف حال عمك ؟  
٢٥ **بيرسي** : كنت أرجو أن أعرف حاله منك يا سيدي !  
**نورثمبرلاند** : عجباً ! أليس مع الملكة ؟  
**بيرسي** : لا يا سيدي الكريم ! لقد هجر البلاط ،  
وكسر عصا منصبه ،  
وسرّح خدم القصر الملكي !  
**نورثمبرلاند** : وما السبب ؟ لم يكن يتوى ذلك  
عندما حادثته آخر مرة !  
**بيرسي** : كان السبب إعلانهم أن معاليكم خائن  
٣٠ لكنه ذهب يا سيدي إلى **رافينسبرج**  
للعمل تحت إمرة دوق هيرفورد  
وأرسلني إلى باركلي للاستخبار  
عن حجم القوات التي حشدتها دوق يورك هناك  
٣٥ **نورثمبرلاند** : والعودة بعد ذلك إلى **رافينسبرج**  
وهل نسيت دوق هيرفورد يا بُنيّ ؟  
**بيرسي** : لا يا سيدي ! كيف أنسى ما لم يذكر لي ؟  
ففي حدود ما أعرف ، لم أشاهد في حياتي  
دوق هيرفورد !  
٤٠ **نورثمبرلاند** : شاهده الآن إذن ! هذا هو الدوق !  
**بيرسي** : سيدي الكريم ! أنا طوع أمرك  
وأرجو أن تتقبل جهودي على تواضعها

بسبب قلة خبرتي وحداثة سنى ،  
ولكن الزمن كفيل ببلوغى مرحلة النضج والإجادة ،  
حتى أثبت جدارتي فترضى عنى !  
٤٥ **بولينبروك** : أشكرك يا بيرسى الرقيق ، وتأكد  
أنه لا يسعدنى شىء أكثر من تذكر أصدقائى المخلصين  
وإذا قُدر أن يكتمل سعدى بحبك  
فستكون تلك المكافأة على حبك المخلص  
إن قلبى يعقد هذا العهد ،  
٥٠ وهذه يدى تضع الخاتم عليه !

[ يضافحه ]

**نورثمبرلاند** : كم تبعد باركلى عنّا الآن ؟  
وما هى الاستعدادات التى يقوم بها صاحبنا يورك الهرم  
مع جنوده ؟  
**بيرسى** : ها هى ذى القلعة خلف تلك الأشجار  
ولا يزيد عدد الجنود فيها عن ثلاثمائة ، فيما بلغنى ،  
٥٥ وبها اللوردات يورك وباركلى وسيمور فقط  
ولا أحد سواهم من ذوى الصيت أو شرف المكانة !  
[ يدخل روس وويلابى ]

**نورثمبرلاند** : ها هو اللورد روس واللورد ويلابى  
وقد تضرع بالدم كل منهما واشتعلت كالنار وجنتاه  
من حفز الخيل على السرعة !

- بولينبروك** : مرحبًا بكما أيها اللوردان ! أعلم أن حبكما جعلكما تتبعان خائنًا متفياً ، وليس فى خزائنى الآن سوى الشكر الذى يفر من البنان ! فإذا جاء المال كافأتكما على حبكما وجهودكما !
- روس** : الوجود فى حضرتك يغنيننا أيها اللورد الكريم \* !
- ويلابى** : وتتجاوز كثيرًا جهدنا للوصول إليك .
- بولينبروك** : الشكر هو مال الفقير دائمًا ٦٥
- وسوف يظل بديلاً عن سخائى حتى يصل سعدى إلى سن الرشد ويحصل على ميراثه ! ولكن من ذاك القادم ؟

[ يدخل باركلى ]

- نورتمبرلاند** : أظن أنه لورد باركلى .
- باركلى** : سيدى لورد هيرفورد - إننى أحمل إليك رسالة .
- بولينبروك** : سيدى اللورد ! إجابتى هى أن تخاطبنى باعتبارى لورد لانكاستر ، فلقد أتيت لإثبات حقى فى هذا اللقب فى إنجلترا ، ولا بد أن يجرى على لسانك أولاً قبل أن أجيبك إلى أى شىء تطلبه !
- باركلى** : لا تسمى فهمى أيها اللورد ! لم أقصد أبداً أن أمحو لقباً من ألقاب شرفك !
- ٧٥ لقد أتيت إليك أيها اللورد - ولتكن أى لورد تريده -

\* لما كانت 'الحضرة' مرتبطة بالقصر الملكى ، فمعنى ذلك أنهما يطعمان فى أكثر من المال .

من أكرم نائب ملك حكم هذه الأرض ،  
وهو دوق يورك ، كى أعرف السبب الذى يحفزك  
إلى اغتنام فرصة غياب الملك  
وبث الخوف فى قلوب المسالمين فى بلادنا ،  
٨٠ وحمل السلاح بدوافع شخصية ؟

[ يدخل يورك مع الحاشية ]

**بولينبروك** : لن أحتاج إلى نقل كلماتى من خلالك  
فقد أتى ذو المنزلة السامية بنفسه !  
مرحبا بك يا عمى الشريف !

[ يركع أمامه ]

**يورك** : لا أريد أن أرى انحناء ركبتك بل خضوع قلبك

يا من تبدى الاحترام الكاذب المخادع

**بولينبروك** : عمى يا ذا المنزلة السامية - ٨٥

**يورك** : هراء هراء ! لا تنسب إلىّ منزلة سامية

ولا تدعنى بالعم ! فلست عمّا للخائن ،

و'المنزلة السامية' تهبط للدرك الأسفل

فى قم وضيع المنزلة ! لماذا تجاسرت هاتان القدمان

على عصيان حكم النفى والحظر المفروض عليهما ؟

وكيف تتجاسران على وطء ذرة واحدة

٩٠ من تراب انجلترا ؟

وهاك أسئلة أخرى ! لماذا تجاسرتا على السير

أميالا كثيرة على صدرها المسالم  
 وبث الخوف فى قلوب القرى التى شجب لونها ،  
 من الحرب ومن استعراض القوة بالأسلحة الحقيرة\* ؟  
 ٩٥ هل أتيت لأن الملك المقدس غائب ؟  
 يا لك من غلام أحمق ! ما يزال الملك هنا  
 وفى صدرى المخلص يكمن سلطانه !  
 ليت لى الآن ما كنت أتمتع به فى عنفوان الصبا ،  
 عندما تعاونت مع والدك الشجاع ، جونت ،  
 ١٠٠ على إنقاذ الأمير الأسود ، ذلك المحارب الصنديد ،  
 من بين برائن الفرنسيين ، مخترقين صفوفهم  
 من الآلاف المؤلفة\*\* !  
 ليتنى عدت شابًا صحيح البدن ، فرفعت هذا الساعد  
 ( حبيس الشلل الآن ) وعاقبتك على جريرتك !  
 ١٠٥ **بولينبروك** : عمى ذا المنزلة السامية ! أطلعنى على جريرتى !  
 ما صفتها وأين تكمن ؟  
**يورك** : صفتها فى الدرك الأسفل ،  
 وهى تكمن فى العصيان الجسيم  
 والخيانة العظمى البغيضة !

\* لأن دوافعها شخصية .

\*\* يقول الشراح إنه لا يوجد سند تاريخى لهذه الحادثة ، والمقصود بها الموازنة بين حب الجيل القديم  
 من الإخوة والعداء المستعر بين أبناء الجيل الجديد من الأقارب - وهو سبب معاناة يورك .

- فأنت رجل محكوم عليه بالنفى ، ولكنك تعود اليوم  
 قبل انقضاء المدة المحكوم بها عليك  
 لترفع سلاحك فى وجه مليكك .  
 كنتُ دوق هيرفورد حين نُفيت : **بولينبروك**  
 ولكننى أعود للمطالبة بلقب دوق لانكاستر  
 وأرجوك يا عمى الشريف أن تنظر إلى ألوان الظلم  
 التى حلت بى  
 وأنت ذو المكانة السامية ، بعين الحياد .  
 إنك بمثابة والدى ، إذ إخال أننى أرى فيك  
 جونت الشيخ وقد عاد للحياة .  
 وإذن هل تسمح يا والدى  
 بأن يُحكم علىّ بأن أعيش شريداً هائماً على وجهى  
 وأن أحرم من حقوقى وأموالى  
 بل وأن تُنتزع من يديّ انتزاعاً ، وبالقوة ،  
 وأن تُمنح لمحدثى النعمة المسرفين ؟ لماذا وُلدت إذن ؟  
 وما دام الملك عمى ملكاً لانجلترا  
 فيجب التسليم بأننى دوق لانكاستر .  
 إن لديك ابناً هو أوميرل ، وهو ابن عمى الشريف .  
 فإذا كنتَ قد مُتَّ أولاً مثل أبى ،  
 ثم وطئته الأقدام كما وطأتنى  
 فلا شك أنه كان سيجد فى عمه جونت والدّاً

- يخرج ألوان ظلمه من مكانها  
ويطاردها حتى يقضى عليها\* .  
لقد حُرمت من المطالبة بحقوقى هنا  
رغم أن خطابات الحقوق أو البراءات  
تسمح لى بذلك\*\*
- ١٣٠ . وصودرت جميع أملاك والدى ويبت  
وتعرضت هى وغيرها لسوء الاستغلال .  
فما الذى تريدنى أن أفعله ؟ إننى فرد من أفراد الرعية  
وأريد أن ألبأ إلى القضاء ،  
ولكننى مُنعت من توكيل المحامين !  
وهكذا لجأت إلى المطالبة بنفسى
- ١٣٥ . بميراثى الذى آلى إلى من أبى بصورة مشروعة .
- نورثمبرلاند :** لقد تعرض الدوق الشريف لظلم فاق كل الحدود !  
**روس :** ومن واجبكم يا ذا المكانة السامية رفع الظلم عنه  
**ويلابى :** إن السفلة ينتفعون بماله فيسطع نجمهم !  
**يورك :** اسمعونى يا لوردات انجلترا !
- ١٤٠ . لقد علمت بالظلم الشديد الذى حل بابن أخى  
وبذلت قصارى جهدى حتى أنتصف له  
ولكن قدومه على هذا الوجه ، رافعاً سلاحه ،

\* الاستعارة مستقاة من أساليب صيد الحيوانات البرية .  
\*\* وهى التى تسلمها من الملك عند تخفيف مدة النفى المحكوم بها عليه . والواقعة واردة فى تاريخ هولنشييد .

ليتولى أمر نفسه بنفسه ، ويشق طريقه عنوةً  
ويرتكب الخطأ ليصل إلى الصواب ،  
فهو ما لايجوز أبدًا !

١٤٥

وأنتم يا من تساعدونه فى هذا الأمر  
إنما تحبذون العصيان وجميعكم عصاة !

**نورثمبرلاند :** لقد أقسم الدوق الشريف إنه ما قدم إلا للمطالبة

بحقوقه المشروعة ، وهى قضية عادلة

ولذا أقسمنا أيمانًا مغلظة على معاونته

وليُحرم من الهناء أبد الدهر من يحث فى تلك الأيمان ! ١٥٠

**يورك :** فليكن فليكن ! أستطيع أن أرى نتيجة هذا التمرد

وأعترف أننى لا أستطيع منعه

فقوتى محدودة وأحوالى مضطربة

لكننى أقسم بالله الذى وهبى الحياة

إننى لو استطعت لقبضت عليكم جميعًا

١٥٥

وأرغمتمكم على الركوع

طلبًا لرحمة مولاكم الملك ! لكننى لا أستطيع

ومن ثم فلتعلموا أننى سأظل محايدًا . الوداع إذن

اللهم إلا إذا رغبتم فى دخول القلعة

١٦٠

وقضاء هذه الليلة فيها .

**بولينبروك :** وهو عرضٌ سوف نقبله يا عمى

لكننا لا بد أن نحصل منك على الموافقة باصطحابنا

إلى قلعة بريستول ، التى يقولون إنها فى أيدي



بوشى وباجوت وشركائهما من ديدان الدولة -  
الديدان التى تتطفل على غرس الحديقة  
مثل الأعشاب الضارة  
والتي أقسمت أن أقتلعها من جذورها !  
يورك : ربما ذهبت معكم ولكن - لا ! لا بد أن أترث قليلاً !  
إذ لا أحب أن أنتهك قوانين بلادى .  
فمرحبا بكم لا كأصدقاء ولا كأعداء  
١٦٥ فما فات أوان إصلاحه لم يعد يقلق بالى .  
١٧٠ [ يخرجون ]

### المشهد الرابع

معسكر فى ويلز

[ يدخل لورد سولزبرى وقائد ويلزى ]

القائد : سيدى لورد سولزبرى ! لقد انتظرنا عشرة أيام كاملة  
حتى كاد رجالنا أن يتفرقوا  
دون أن نتلقى أخباراً عن الملك !  
ومن ثم فسوف ننصرف . الوداع !  
سولزبرى : انتظر يوماً آخر أيها الويلزى الأمين  
٥ فالملك يضع كل ثقته فيك  
القائد : يقال إن الملك قد مات . لا ! لن نبقى !  
فلقد ذبلت جميع أشجار الغار فى بلدنا  
والشهب المتساقطة تخيف النجوم الثابتة فى السماء

- والقمر شاحب الوجه  
يشع ضوءاً قانئاً كالدم على الأرض  
والعرافون يطوفون بأجسامهم الهزيلة ونبوءات مرعبة  
والأغنياء يعلو وجوههم الأسى ،  
والأوغاد يرقصون ويتواثبون  
فالأغنياء يخافون فقدان ما يملكون  
والأوغاد يأملون الإثراء من القلاقل والحروب .  
وهذه النذر عادة ما تسبق موت الملوك أو سقوطهم  
الوداع ! فأبناء ويلز قد رحلوا وفروا  
موقنين أن ملكهم ريتشارد قد مات .

[ يخرج ]

**سولزبرى** : أواه يا ريتشارد ! إننى أرى بعين عقلى المثل

- مجدك يتهاوى مثل الشهاب الساقط  
على الأرض الدنيئة من السماء  
والشمس تغرب باكية فى الغرب الخفيض  
فتنبئ الرائيين بالعواصف المقبلة والأحزان والقلاقل  
لقد فر أصدقاؤك وانضموا لأعدائك  
وتهب رياح الحظ على غير ما فيه الخير لك !

[ يخرج ]

### الفصل الثالث

#### المشهد الأول

[ يدخل بولينبروك ويورك ونورثمبرلاند وروس وبيرسى ]

وويلابى ، مع أسيرين هما بوشى وجرين ]

**بولينبروك :** أحضرا هذين الرجلين . أنت يا بوشى وأنت يا جرين !

لا أريد تكدير روح أى منكما

لأنها لابد أن تفارق جسده على الفور

ولذلك فلن أستفيض فى ذكر شرور أعماله

فليس ذلك من الإحسان ! لكننى أريد تبرئة نفسى ٥

من دمه ولابد من ثم أن أعلن أمام الرجال هنا

بعض أسباب الحكم بإعدامه :

سأذكر أولاً تضليل الأمير

ذلك الملك الأصيل الذى أسعده الحظ

بنسب الدم وقسمات الوجه

فضاعت سعادته وشاقت ملامحه تمامًا ١٠

وأذكر ثانيًا انغماسكم فى الخطايا التى أدت بصورة ما

إلى التفريق بينه وبين زوجته الملكة

فأقصاها عن الفراش الملكى

وغدت الدموع تكدر جمال وجنتيها ،

تلك الملكة الحسنة ،

- ١٥ وهى الدموع التى أسالتها شرور خطاياكما من عينيها !  
وأذكر ثالثاً ما حل بى أنا ، وأنا الذى أسعده الحظ  
بأن يكون أميراً بحق النسب والحب وقرابة الدم للملك  
وقربى منه حُباً ووداداً ! ثم أساء فهمى  
فانحنت قامتى تحت وطأة جراحى بسببكما  
وكتب على أن أنفث آهاتى وكلماتى الانجليزية  
٢٠ فى ظل سحائب أجنبية ، وأن أكل خبز المنفى المرير  
وكل منكما ينعم بأطايب طعام ممتلكاتى  
ويزيل معالم حدائقى ، ويجتث أشجار غاباتى ،  
وينزع زجاج نوافذى التى تحمل شعار نسبى  
٢٥ ويمحو طغرائى ، فلا يترك دليلاً على شرف محتدى  
فى عيون العالم سوى ما يعرفه الناس عنى  
ودم الحياة الذى يجرى فى عروقى .  
لهذه الأسباب ، وأضعاف مضاعفة سواها ،  
حكم عليكم بالإعدام . ( إلى نورثمبرلاند )  
تأكد من تسليمها  
٣٠ إلى يد الجلاد لتنفيذ الحكم .

**بوشى**

: ضربة الموت أحب إلى من جلوس بولينبروك على  
عرش انجلترا!  
وداعاً أيها اللوردات !

**جرين**

: عزائى أن روحينا سوف تدخلان الجنة  
وأن الظلمة سيصلون نار الجحيم

- بولينبروك** : عزيزى اللورد نورثمبرلاند !  
 ٣٥ تأكد من إعدامهما على الفور !  
 [ يخرج نورثمبرلاند مع الأسيرين ]  
 تقول يا عمى إن الملكة تقيم فى منزلك  
 أستحلفك الله أن تأمر بحسن معاملتها  
 وقل لها إنى أرسل لها خالص تحياتى  
 واحرص كل الحرص على إبلاغها تمنياتى الطيبة  
 ٤٠ **يورك** : لقد أرسلت فعلاً أحد السادة من أتباعى  
 برسائل تتحدث بالتفصيل عما تضمه من وُدِّ لها  
**بولينبروك** : شكراً لك يا عمى الرقيق . هيا أيها اللوردات !  
 آن أوان الرحيل لمنازلة جليندور وشركائه  
 سنعمل الآن ونستريح غدا !  
 [ يخرجون ]

### المشهد الثانى

[ ساحل ويلز ، وقلعة ]

- [ تدق الطبول ، وتنفخ الأبواق ، وترفع الرايات ، يدخل الملك  
 ريتشارد وأسقف كارلايل ، مع أوميرل وبعض الجنود ]  
**ريتشارد** : هل هذه هى قلعة باركلاخلى ؟  
**أوميرل** : نعم يا مولاي . كيف ترى جلالتك هذا الهواء العليل  
 بعد اصطخاب الموج بالأمس فى البحار الهائجة ؟  
**ريتشارد** : لاشك أننى أنعم به ! بل إن دموعى لتنسب فرحاً

- ٥      بعودتى إلى الوقوف على أرض مملكتى من جديد !  
 أيتها الأرض العزيزة ! هذه تحية يدي إليك  
 ولو أن الثوار يجرحونك بحوافر خيولهم  
 ومثلما تلعب الأم مع طفلها حين تلقاه بعد فراق طويل  
 وقد فاضت مشاعرها فاختلطت دموعها بالبسمات  
 أجدنى أضحك وأبكى معاً  
 وأنا أحبك يا أرضى الحبيبة  
 ١٠      وأدعبك وأحنو عليك بهاتين اليدين !  
 لا تقدمى الغذاء يا أرضى الرقيقة لأعداء ملكك  
 ولا تشبعى شراسته ونهمه بحلو الطعام  
 بل أرسلى العناكب التى تمتص سمومك ،  
 ١٥      والصفاد ذات الخطى الثقيلة ، حتى تعوق تقدمه  
 وتعرقل ديبب الأقدام الخائنة  
 التى تطوك بخطوات تغتصبك اغتصاباً !  
 ولتخرجى الأشواك السامة حتى تلسع أعدائى  
 فإذا قطفوا زهرة من زهور صدرك  
 ٢٠      فاجعلى عليها حارساً من الأفاعى الكامنة  
 حتى يلدغ بلسانه المشقوق أعداء ملكك  
 ويذيقهم بلمسة الهلاك طعم الموت !  
 لا تسخروا أيها اللوردات من مخاطبتى للجماة !  
 فسوف ترون أن هذه الأرض تحس وتشعر

- وأن هذه الأحجار قد أصبحت جنوداً مسلحة\* ،  
 قبل أن يسقط مليكها الأصيل  
 ٢٥ تحت ضربات أسلحة المتمردين الأثمة !
- كارلايل** : لا تخف يا مولاي ! فالقوة التى نصبتك ملكاً  
 قادرة على صيانة ملكك رغم كل شىء .  
 فالله يمد لنا الأسباب وعلينا أن نعتصم بها  
 ٣٠ لا أن نهملها ، وإلا كنا عاصين لمشيئة الله !  
 لقد هيا لنا الله أسباب الغوث والانتصاف  
 فكيف نتكرها أو نرفضها ؟
- اوميرل** : يعنى الأسقف يا مولاي أننا أسرفنا فى التراخى  
 وأن بولينبروك يستغل ثقتنا المفرطة  
 ٣٥ فى تدعيم قوته وزيادة جيشه عدداً وعدة !
- ريتشارد** : لا تثبط همتى يا ابن عمى ! ألا تعلم  
 أنه عندما تغيب عين السماء المبصرة  
 خلف الكرة الأرضية لتضئ العالم السفلى  
 يخرج اللصوص وقطاع الطرق من مكامنهم بيننا  
 ٤٠ وينتشرون مستترين فيقتلون وينهبون الناس فى جراءة ؟  
 لكنها حين ترسل أشعتها الحمراء  
 من تحت الكرة الأرضية  
 لتلهب قمم أشجار الصنوبر السامقة فى الأفق الشرقى

\* إشارة من طرف خفى إلى الخيل لوقا : « فالله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم »  
 (٨/٣) و « إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » (٤٠/١٩) .

- وتطلق سهام ضوئها لتنفذ في كل وكر أثيم ،  
 ٤٥ فإنها تنزع عباءة الليل عن ظهور القتلة والخونة  
 وكل خاطئٍ مقيتٍ وتعريهم من كل ما يستترهم  
 فيرتعدون لمراى أنفُسهم ويرتحفون !  
 وهكذا فإن هذا اللص ، هذا الخائن بولينبروك ،  
 ظل يرتع طول الليل الذى غبنا فيه  
 ٥٠ فى النصف الآخر من العالم ، وسوف يرانا  
 نشرق على عرشنا فى الأفق الشرقى  
 فيحمر وجهه خجلاً من خيائته ،  
 ولن يستطيع الصمود لمراى النهار  
 لكنه سيرتعد لمراى ذاته بسبب خطيئته !  
 ولن تستطيع مياه البحار المائجة الهائجة كلها  
 ٥٥ أن تزيل الزيت المقدس الذى مُسح به على رأس الملك !  
 ولا تستطيع إرادة\* الرجال من أبناء هذه الدنيا  
 أن تخلع الملك الذى اختاره الله خليفة فيها .  
 وفى مقابل كل رجل أجبره بولينبروك  
 على رفع الفولاذ الصارم على تاجنا الذهبى  
 ٦٠ أعد الله ملاكاً عظيماً ، فى السماء رزقه ،

\* فى الأصل « أنفاس » والأنفاس هنا قد تعنى الإرادة وقد تعنى الأقوال - فالكلمة رمز للإرادة مثلما  
 تعتبر الأنفاس رمزاً للقوة والسلطة . وقد ترجمت فى هذه المسرحية من قبل ، فى سياق آخر ،  
 بعبارة « سلطة كلمات » الملوك - ٢١٤/٣/١ .



لحراسة خليفته ريتشارد وحمايته منه .  
 فإذا حاربت الملائكة  
 فلا بد أن يسقط أبناء البشر الضعفاء  
 فالله ينصر الحق على الدوام .

[ يدخل سولزبرى ]

مرحبا أيها اللورد العزيز ! كم تبعد عنا قواتك ؟

**سولزبرى :**

لا أقرب ولا أبعد يا مولاي العظيم  
 من هذا الساعد الضعيف ! القلق دليل لسانى  
 ولا يحملنى على الحديث إلا عن اليأس !  
 وا أسفا يا مولاي الشريف !  
 إن تأخرت يوماً واحداً فى الوصول  
 قد ألقى الظلمات على جميع أيام سعادتك  
 على الأرض !

ليتك تُرجع أمس الغابر ، وتأمر الزمن بالعودة فيطيع  
 حتى يكون لك اثنا عشر ألف مقاتل  
 أما اليوم فهو يوم الشقاء الذى وصل  
 بعد فوات الموعد بيوم واحد

٦٥

فأطاح بأفراحك وأصدقائك وسعدك وملكك  
 إذ إن جميع رجال ويلز سمعوا أنك قد مُت  
 فانضموا إلى صفوف بولينبروك وتفرقوا وفروا !

**اوميرل :**

اطمئن يا مولاي ! لماذا يبدو على محياكم

٧٥

هذا الشحوب ؟

**ريتشارد**

: منذ برهة كان دم عشرين ألف رجل  
 ينبض نبض النصر فى وجهى ، ثم هربوا !  
 أليس لى العذر إذن ، ريثما تعود دماء مثل هؤلاء إلينا ،  
 أن أبدو شاحبًا مثل الأموات ؟  
 إن كل من ينشد السلامة  
 يفر اليوم من صفوف رجالى ، بعد أن وصم الزمان  
 كبريائى بوصمة العار !

**اوميرل**

**ريتشارد**

: بل اطمئن يا مولاي وتذكر من تكون !  
 : إني نسيت نفسى . ألسن الملك ؟ انهضى من رقادك  
 أيتها الكسول ! انهضى أيتها الجلالة الملكية النائمة !  
 ألا يعادل اسم الملك عشرين ألف اسم ؟  
 فلتحمل السلاح أيها الاسم الملكي !  
 إن فردًا صغيرًا من أفراد الرعية  
 يتناول على مجدك العظيم !  
 لا تغضوا الطرف يا أحباب الملك !  
 ألسنا من ذوى الرفعة ؟ فلتكن أفكارنا رفيعة !  
 أعلم أن عمى يورك لديه من القوات ما يكفى لنصرنا  
 ولكن من ذاك القادم ؟

٨٥

[ يدخل سكروب ]

**سكروب**

: أرجو لمولاي موفور الصحة والسعادة  
 بل أكثر مما يستطيع لسانى التعبير عنه  
 بعد أن ضببت أوتاره على أنغام الهم !

**ريتشارد**

: أذننى مفتوحة وقلبي مستعد !

لا أسوأ من أنباء خسارة الدنيا ! قل إذن . .

٩٥ هل خسرت مملكتى ؟ لقد كانت هى همى !

وأى خسارة فى فقدان الهم ؟ هل يسعى بولينبروك

إلى مساواتنا فى العظمة ؟ لكنه لن يتفوق علينا !

فإذا كان يعمل فى سبيل الله ،

فسوف نعمل فى سبيل الله أيضاً

ونسأويه فى ذلك ! هل ثارت رعايانا ؟ إن صح ذلك

١٠٠ فهو ما لا نملك له دفعا ، إذ انهم ينقضون بذلك

ما عاهدوا الله عليه ، وما عاهدونا عليه أيضاً !

فلتكشف إذن عن أنباء الحزن والخراب

والدمار والانهيـار

بل لا أسوأ من الموت ، والموت سيأتى فى حينه !

**سكروب**

:

يسرنى أن سموكم قد تدرع بدروع تكفى

١٠٥ لتحمل أنباء الكارثة ! رأيت إلى اليوم العاصف

إن أتى فى غير أوانه فانهمرت الأمطار وإبلاً

وفاضت أنهار اللجين فأغرقت الضفاف

كأنما استحال العالم كله إلى عبرات جارية

فهكذا شأن بولينبروك اليوم ! لقد فاض غضبه

١١٠ وارتفعت أمواجه فغمرت أراضيكم التى غشيها الخوف

من فولاذ كل صقيل بتار ،

وكل قلب أقسى وأشد من الفولاذ!

لقد لبس الشيوخ الخوذات  
فوق رؤوسهم النحيلة الصلعاء  
وخرجوا لمحاربة جلاّتكم ،  
والغلمان الذين ما تزال أصواتهم  
رقيقة مثل أصوات النساء يحاولون تفخيمها ،  
وتصطك مفاصلهم الغضة داخل الدروع الثقيلة  
وتنوء بحمل الأسلحة التى يشهرونها فى وجه التاج ! ١١٥  
بل إن الشيوخ الذين لا عمل لهم بعد التقاعد  
إلا تلاوة الأدعية

يتعلمون الآن إطلاق السهام  
من خشب السرو السامّ عليكم  
بطاقته المضاعفة على الفتك !  
ولم تعد النساء العاملات بالغزل  
بعض الحراب التى علاها الصدا فى زمن السلم  
فأشهرناها عليكم  
لقد ثار الصغار والكبار وساء الحال  
حتى استعصى على الوصف . ١٢٠

**ريتشارد**

: خير رواية لشر حال ! وجمال وصف لقيح مآل !  
أين اللورد ويلتشر ؟ وأين باجوت ؟  
وماذا حدث لبوشى ؟  
وأين كان جرين ؟ وكيف سمحوا للعدو بخطرته الداهم

- ١٢٥ أن يذرع أراضينا\* بخطوات سالمة غائمة ؟  
لا بد أن يدفعوا رؤوسهم ثمناً لذلك إذا انتصرنا !  
وأراهن أنهم تصالحوا مع بولينبروك فثابوا بالسلام !  
**سكروب :** بالسلام ثابوا وآبوا منه حقاً يا مولاي !\*\*  
**ريتشارد :** يا لهم من أشرار كالأفاعى ،  
لُعِنوا بلا أمل فى الخلاص ! أو كالكلاب ،  
١٣٠ ما أسهل أن يصبصوا بأذنانهم فرحاً بأى سيد !  
ثعابين ، أدفأتهم بدماء قلبى فلدغوا قلبى !\*\*\*  
ثلاثة من أمثال يهوذا ،  
وكل منهم أسوأ ثلاث مرات من يهوذا!  
كيف يرضون بالسلم ؟ فلتحاربهم جهنم النكراء  
ولتكوى جلود أرواحهم الرقطاء عقاباً على ذلك !  
**سكروب :** يبدو أن حب مولاي الرقيق قد انسلخ عن طبعه  
١٣٥ وتحول إلى كراهية مريرة فتاكة مهلكة !  
أرجو أن تتراجع عن دعائك على أرواحهم باللعنة  
فالسلام الذى ينعمون به  
من حصاد رؤوسهم لا أيديهم!

\* استخدام الذراع يتضمن إحياء بالقياس كأنما أصبحوا يملكون الأراضى ويقيسون مساحتها .

\*\* يقصد سلام الموت بمعنى رقدة الأبد !

\*\*\* إشارة إلى قصة الفلاح الذى وجد ثعباناً متجمداً من البرد فأدفأه فى ثوبه حتى عاد للحياة فلدغه !  
ويلاحظ تكرار الإشارة إلى بعض صفات الأفاعى فى الأبيات التالية .

- ومن تلعنهم الآن قد ذاقوا أمرَّ جراح الموت الفتاك  
ويرقدون الآن تحت الثرى ، فى قبر الأرض الجوفاء ! ١٤٠
- اوميرل** : هل مات بوشى وجرين واللورد ويلتشر ؟  
**سكروب** : أجل ! فقد الجميع رؤوسهم فى بريستول !  
**اوميرل** : وأين والدى دوق يورك وجنوده ؟  
**ريتشارد** : لا يعنينا أين يكون ، ولتكفوا عن التسرية  
وحديث الأمل ،
- وليكن حديثنا الآن عن المدافن والدود وشواهد القبور ١٤٥  
ولنجعل التراب أوراقنا ثم نذرف العبرات مداً  
نكتب به كلمات الأسى على صدر الأرض !  
علينا أن نختار من نعهد إليه بالوصية ،  
ونتحدث عن تفاصيلها ، ولو أن ذلك عسير !  
فماذا عسانا أن نوصى به فى التركة  
سوى أجسادنا المنبوذة التى ترثها الأرض ؟ ١٥٠
- لقد أصبحت أراضينا وأرواحنا وكل ما كان لنا  
فى أيدي بولينبروك ، ولا نستطيع ادعاء ملكية شئ  
سوى الموت وذلك القلب الصغير من الأرض العقيم  
الذى يشبه الفطيرة التى تضم عظامنا وتسترها !  
أحلف باسم الله لأجلِسَ على هذه الأرض ،  
ولنجلس جميعاً ، ١٥٥  
حتى نقص قصصنا الجادة ، عن موت الملوك ،

- كيف خُلِعَ بعضهم عن العرش ،  
 وكيف قتل بعضهم فى الحرب ،  
 وكيف طاردتْ بعضهم أشباحُ من قتلوهم ،  
 وكيف مات بعضهم بالسُّمِّ الذى دسَّته زوجاتهم ،  
 وكيف قُتِلَ البعض وهم نائمون -  
 فالقتل مصير الجميع !
- ١٦٠ ففى داخل التاج الأجوف الذى يحيط برأس الملك ،  
 ويصل ما بين فوديه الفانيين ،  
 يعقد الموت مجلس البلاط له ،  
 وفيه يجلس ذلك المهرج ساخرًا من مكانته ،  
 ضاحكًا من أبهته ،  
 ولو أنه يسمح له بهُنيئة ومشهد قصير يؤدى فيه  
 دور الملك ، إذ يخشاه الناس ،  
 ويقتل من يشاء بنظرة واحدة،
- ١٦٥ ويقعم ذاته بالغرور الخادع ، والزهو الكاذب ،  
 والأمان الزائف ، فكأنَّ ما يضمُّ روحنا من لحمٍ ودَمٍ  
 درعٌ نحاسيٌّ حصينٌ منيعٌ وبعد أن يسايره الموت فترة  
 يعود فى النهاية ويده دبوس صغير
- ١٧٠ يخرق به سور القلعة وهكذا نودع الملك !  
 أعيدوا قبعاتكم إلى رؤوسكم ،  
 ولا تسخروا بهذا الاحترام المرسوم

ممن لا يزيد عن كيان من اللحم والدم ! انبذوا التبجيل  
والتقاليد والشكليات والواجبات الرسمية  
فلقد أخطأتم فهم من أكون طيلة هذه المدة .  
فلست إلا بشراً مثلكم أكل الخبز ، وأحس بالحاجة ، ١٧٥  
وأذوق طعم الأحران ، وأحتاج إلى الأصدقاء .  
وما دمت أخضع لذلك مثل الرعية فكيف تقولون لى  
إننى ملك ؟

**كارلايل**

: من شيمة الحكماء يا مولاي  
ألا يجلسوا مكتوفى الأيدى ليندبوا أحزانهم ،  
بل أن ينهضوا فوراً لقطع طريق تلك الأحران !  
إن خوفك من العدو يطمس قوتك ،  
فإذا أصابك الضعف أصبح العدو أقوى منك ، ١٨٠  
وهكذا ترى أن حماقة الخوف  
سوف تحاربك مع العدو ! الخوف معناه القتل ،  
والقتل أسوأ ما ينجم عن القتال ،  
فأما الموت فى الميدان  
فمعناه أن تقهر موت الخائفين ، وأما الخوف من الموت  
فمعناه أن تعيش عبداً ذليلاً للموت ! ١٨٥

**اوميرل**

: إن لوالدى بعض كتائب ، فاسأل عنها  
وتعلم كيف تجعل من أطراف الجسد جسداً كاملاً !  
ريتشارد : لكم نجحت فى تأنيبى يا رب الصلف والزهو !



يا بولينبروك ! سأتيك غداً للنزال حتى نحسم مصائرنا!  
 ١٩٠ لقد شُفيت من هذه النوبة العارضة من الخوف  
 وما أيسر أن نحمى مملكتنا ! قل لى يا سكروب  
 أين يربط عمى بكتائبه ؟ أرجو أن أجد التشجيع لديك  
 وإن كان مظهرك لا يبعث على الأمل !  
 : مظهر السماء هو الذى يدل الناس على حالة الطقس  
 وما سيكون الجو عليه ! ولك أن تستدل على حالى  
 ١٩٥ بما فى عينى من انطفاء البريق وثقل الأجفان !  
 وأما لسانى فسيحكى قصة أثقل همًّا !  
 يؤسفنى أن أتسبب فى إيلاكم  
 بالتباطؤ فى السرد ، ولكننى أكتشف تدريجياً عما أعرفه  
 حتى يطول أمد الافصاح عن أسوأ الأنباء !  
 ٢٠٠ لقد انضم عمك يورك إلى بولينبروك  
 واستسلمت جميع قلاعك فى الشمال  
 وانضم جميع السادة من جنودك فى الجنوب  
 إلى صفوفه !

سكروب

: ذلك يكفى ! [ إلى أوميرل ] تعساً لك يا ابن عمى !  
 كيف جعلتنى أتكب الطريق الجميل  
 ٢٠٥ المفضى إلى اليأس !  
 ماذا تقول الآن ؟ كيف نطمئن الآن أو نهناً ؟  
 أقسم بالله إنى سأكره إلى الأبد كل من يدعونى

ريتشارد

إلى الهناء بعد الآن ! بل سأمضى إلى قلعة 'فلينت'  
وأذوب كمدًا فيها حتى الموت !  
إننى ملك صار عبدًا للأسى  
ولسوف أطيع أوامر الأسى برباطة جأش ملكية !  
٢١٠ وسوف أمر بتسريح جنودى حتى يفلحوا الأرض  
ما دام أمل الازدهار قائمًا\* ،  
لكننى فقدت الأمل كله ! لن أسمح لرجل أن يقول ما  
يجعلنى أعدل عن رأى  
فسوف تذهب مشورته سُدى !

**اوميرل** : اسمح لى بكلمة واحدة يا مولاي  
**ريتشارد** : مدائح ألسنة الملق تحرجنى ، وتصينى بإساءة مضاعفة!  
سرحوا أتباعى ، ولیمضوا من هنا الآن  
من ليل ريتشارد ، إلى الصباح المشرق عند بولينبروك !  
[ يخرجون ]

### المشهد الثالث

[ ويلز ، أمام قلعة فلينت ، يدخل فى موكب رفعت عليه  
الرايات ووسط دقات الطبول بولينبروك ، ويورك ،  
ونورثمبرلاند ، ولقيف من الجنود والأتباع ]

**بولينبروك** : هذه رسالة من الاستخبارات العسكرية تقول

\* يقول أحد الشراح إن ذلك كناية عن سماحه لهم بالانضمام إلى بولينبروك ، وقد يكون فى ذلك تأويل من الشارح ( كينيث ميور ) إذ لا يشاركه فى هذا التفسير أحد ، وإن كانت الأبيات التالية تؤكد .

إن جنود ويلز قد تفرقوا ، وإن سولزبرى  
قد ذهب ليقابل الملك بعد أن رست سفينته منذ أيام  
على هذا الشاطئ ،  
برفقة عدد محدود من خاصة أصدقائه .

**نورثمبرلاند** : أنباء صحيحة وطيبة يا مولاي ٥

وريتشارد يخفى رأسه فى مكان غير بعيد عنا  
**يورك** : كان يجدر باللورد نورثمبرلاند أن يقول 'الملك ريتشارد' !  
وا أسفا لليوم الراح بالأحزان

إذ يُرغم مثل هذا الملك المقدس على إخفاء رأسه !  
**نورثمبرلاند** : أسأت فهمى يا صاحب السعادة ! لقد حذفتُ اللقب ١٠  
اختصاراً للعبارة !

**يورك** : لقد شهدنا اليوم الذى ما كنت تجرؤ فيه على الاختصار!  
ولو اختصرت العبارة لاختصر حياتك  
ولو أشرت إلى رأسه فقط لأطاح برأسك !

لا تبالغ يا عمى فى إساءة الفهم !  
**بولينبروك** : ولا تبالغ يا ابن أخى فى طموحك ١٥

**يورك** : وإلا أسأت وأخطأت ! فالله شاهد على ما نفعل !  
أعلم ذلك يا عمى ولا أعارض مشيئته ! ولكن من هذا  
**بولينبروك** : القادم؟

[ يدخل بيرسى ]

مرحبا بك يا هارى! عجباً ! ألم تستسلم تلك القلعة ؟

٢٠. مرجبا بك يا هارى! عجباً! ألم تستسلم تلك القلعة؟  
**بيرسى** : القلعة حصن ملكى يا مولاي ، ورجاله ينعوننا من الدخول !
- بولينبروك** : حصن ملكى ؟ كيف يكون ذلك دون ملك ؟  
**بيرسى** : بل إن بها ملكاً يا مولاي الكريم !
٢٥. فالملك ريتشارد يقيم داخل تلك الجدران الحجرية ،  
 ومعه اللورد أوميرل ، واللورد سولزبرى ،  
 والسير ستيفن سكروب ، وأحد رجال الدين الفضلاء  
 ولو أنى لم أعرف اسمه .
٣٠. **نورثميرلاند** : الأرجح أنه أسقف كارلايل .  
**بولينبروك** : اسمع أيها اللورد الشريف !  
 اذهب إلى تلك القلعة العجوز  
 حتى إذا اقتربت من أضلاع أسوارها الغليظة  
 فأرسل فى البوق النحاسى أنفاس الهدنة  
 إلى أطلال آذانها ، ثم سلّم هذه الرسالة\* :  
 ٣٥ «إن هنرى بولينبروك يجثو على ركبتيه  
 ويقبل يد الملك ريتشارد  
 ويعبر عن ولاءه وإيمان قلبه المخلص  
 إلى شخص جلالة الملك المعظم ، وقد أتى إلى هنا -  
 بل أتيت

\* يقول النقاد إن تصوير القلعة فى صورة شخص عجوز مهذّم تصوير رمزى مقصود للإيحاء بضعف حالة الملك ، وصفات البشر المستخدمة فى الصور الشعرية تساعد فى تأكيد ذلك .

- لأركع عند قدميه وألقى بأسلحتى وأسرح جنودى\*  
 بشرط إلغاء الأمر بالنفى ، وإعادة جميع أملاكى ٤٠  
 دون قيود أو شروط ، فإذا لم يتحقق ذلك  
 فسوف أستعين بقواتى الظافرة  
 وأروى تراب الصيف الجاف بوابل من الدماء  
 التى ستنهمر من جراح قتلى أبناء انجلترا !  
 وما أشد ما تأنف نفس بولينبروك ٤٥  
 أن تهب تلك العاصفة القرمزية لتغمر بالدماء  
 أرض الملك ريتشارد الجميلة ، بثوبها الأخضر الينع ،  
 وهو ما يدل عليه واجب احترامى ،  
 وواجب الخضوع له .  
 اذهب وأعلن ذلك ! أما نحن فسوف نظل هنا  
 وسوف نتجول فى أرجاء هذا البساط السندسى  
 الأخضر ! ٥٠  
 فلتتجول دون قرع الطبول الداعرة  
 حتى نفحص من الشرفات المهلهلة لهذه القلعة  
 ما لدينا من عدة ناجزة وأجناد جاهزة !  
 إخال أن لقائى مع الملك ريتشارد سيكون رهيباً  
 ولا أقل فى فزعه من لقاء عنصرى النار والماء ٥٥  
 فصاعقة البرق الراحدة القاصفة عند اللقاء

\* التحول من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم يرمى إلى تأكيد ما هو متاح لبولينبروك وغير متاح للملك .

- تمزق السحب وهى أشداق السماء !  
 فإذا غدا كالتار عند اللقاء ، أصبحت أنا فى ليونة الماء !  
 فلتكن له سورة الغضب ، ولأكن السحاب الذى تهطل  
 أمطاره على الأرض !  
 ٦٠ أقول على الأرض لا عليه هو !  
 ابدأوا المسير ،  
 وارقبوا ما تنم عليه ملامح الملك ريتشارد !  
 [ بوق الهدنة يدوى فى الخارج ، يجيبه بوق فى الداخل ، ثم تدوى الأبواق  
 معلنة ظهور الملك على الأسوار ، ومعه أسقف كارلايل ، وأوميرل ،  
 وسكروب ، وسولزبرى ]  
 انظروا انظروا ! ها هو الملك ريتشارد نفسه !  
 لقد أشرق مثل شمس الصباح  
 التى تعلوها حمرة الخجل  
 عندما تدخل من باب الشرق النارى ،  
 ٦٥ مستاءة من السحب الخاقدة  
 التى تعتزم تعتيم بهائها ، وإلقاء الظلال القائمة  
 على طريق رحلتها الوضاعة نحو الغرب !  
 : لكنه يبدو ملكاً ! انظروا إلى عينه البراقة  
 مثل عين العقاب ! إنها تشع سنا البرق الذى  
 ٧٠ يحكم الرعية بسلطانه ! واتعساء واحزنه

يورك

إن كُتِبَ للأذى أن يلقى الظلال\*  
 على هذا المشهد البديع !  
**ريتشارد :** [إلى نورثمبرلاند] إني في حيرة ودهشة ،  
 بعد أن وقفت طويلاً  
 أترقب أن تركع على ركبتك تبجيلاً وخشية  
 لأنني أعتقد أنني ما زلت الملك الشرعي !  
 فإذا كنت كذلك فكيف تجرؤ مفاصلك على أن تنسى ٧٥  
 القيام بواجب الرهبة في حضرتي ؟  
 وإذا لم أكن كذلك ، فأطْلِعْنِي على التوقيع الإلهي  
 على صك فصلي من منصبي ،  
 فأنا على يقين أنه لا طاقة ليد من عظم ودم  
 على انتزاع المقيض المقدسي لصولجاني ٨٠  
 إلا تدنيساً أو سرقة أو اغتصاباً !  
 وإذا كنت تظن أن الجميع قد فعلوا فعلتك  
 فمزقوا نفوسهم بالارتداد والنكوص عني  
 وأنني غدوت عقيماً عاطلاً من الأصدقاء  
 فاعلم أن الله مولاي ، وأنه القادر القاهر ، ٨٥  
 وأنه يحشد لنصرتي في سحائبه جيوشاً من الطاعون  
 وسوف تصيب أطفالاً لم تولد بعد ،  
 بل ولم تحملها نساء

\* يستخدم يورك تعبير 'إلقاء الظلال' الذي استخدمه بولينبروك لإضفاء معنى خاص على الصورة .

- كل من تجاسروا على رفع أيدي الاتباع على رأسى  
 وكل من يتهددون مجد تاجي الثمين . ٩٠  
 أخبر بولينبروك ، إذ إخاله واقفاً هناك ،  
 أن كل خطوة يخطوها على أرضى  
 خيانة عظمى وخطرة ! لقد أتى لتنفيذ وصية قرمزية  
 وهى توزيع تركة الحرب من الدماء ،  
 لكنه سيشهد قبل أن يضع التاج على رأسه فى سلام ٩٥  
 إسالة الدم فى مكان التاج لعشرة آلاف  
 من أبناء الأمهات  
 فيشوه وجه المجترة الزاهر  
 ويحوّل طلعة السلم البيضاء فى مُحياها  
 إلى سخط قرمزى ، ويخضبّ كلاً مراعيها  
 بدم الانجليز الأوفياء ! ١٠٠
- نورثمبرلاند :** معاذ الله ملك السماء أن يُساق مولانا الملك سَوْقاً  
 إلى حرب بين الأهل ، بأسلحة فظة ليست أهلاً لهم !  
 إن ابن عمك ، ذا شرف المحتد المضاعف ثلاثاً ،  
 هارى بولينبروك ، يقبل يدك بكل تواضع  
 ويقسم بالقبر الأشرف القائم فوق عظام جدك ١٠٥  
 ويدمه الملكى ، وبدمك الملكى ، وهما نهران يتدفقان  
 من نبع واحد بالغ النبل والكرم ،  
 وبساعد المحارب الصنديد جونت فى قبره ،  
 وبمكانة بولينبروك وشرف ذاته ، ١١٠



وبكل ما يُحلف به وكل ما يُقال ،  
 إنه لم يحضر إلى هنا إلا ليطالب بميراثه  
 وإنه ليرجو استرداد حقوقه فوراً ، جاثياً على ركبتيه ،  
 وما إن توافق جلالتك على ردها إليه ١١٥  
 حتى يأمر بإلقاء الأسلحة البراقة وطرحها حتى تصدأ  
 وإعادة خيوله ذات الشوكة إلى حظائرها  
 وتوجيه قلبه للإخلاص فى خدمة جلالتك .  
 وهو يقسم على ذلك قسم الأمير العادل  
 وأنا أصدقه تصديق السيد الشريف ! ١٢٠

ريتشارد :

نورثمبرلاند ! احمل إليه إجابة الملك التالية :  
 إننى أرحب بقدوم ابن عمى النبيل إلينا  
 وسوف أجيبه إلى جميع مطالبه العادلة  
 دون قيد أو شرط !

أبلغ تحياتى الرقيقة إلى مسامعه الكريمة  
 بكل ما أوتيت من فصاحة وبيان منمق . ١٢٥  
 [ إلى أوميرل ] ألا نحط من قدرنا يا ابن عمى  
 حين نظهر بهذا التواضع ونتكلم بهذه الرقة ؟  
 هل نطلب عودة نورثمبرلاند ونرسل رسالة التحدى  
 إلى الخائن ومن ثم نهلك ؟ ١٣٠

أوميرل :

لا يا مولاي الكريم . فلنقاتل بالكلمات الرقيقة  
 حتى يعيرنا الزمن بعض الأصدقاء  
 ويعيرنا الأصدقاء سيوفهم الصقيلة .

- ريتشارد** : يا إلهي ! لم كتبتَ عليَّ أن أمحوَ لسانى نفسه ،  
وبكلمات رقيقة ، حُكَمَ النفى الرهيب الذى أصدرته ١٣٥  
على هذا المختال الفخور !؟ ليت لى من السطوة  
ما لأحزاني من القوة ! ليتنى كنت أدنى منزلةً  
مما يدل عليه اسمى ! ليتنى أستطيع أن أنسى  
ما كنت عليه يوماً ما ، أو أن أقصى عن ذاكرتى  
ما أصبحت عليه اليوم !  
هل تنبض نبض العزة والأنفة يا قلبى؟  
سأتيح لك مهلةً تخفقُ فيها وتُدقُّ ، ما دام الأعداء ١٤٠  
قد أُتيح لهم أن يدقُّوا أعناقنا !  
**اوميرل** : لقد عاد نورثمبرلاند من عند بولينبروك .  
**ريتشارد** : ماذا على الملك أن يفعل الآن ؟ هل يخضع ؟  
سيفعل الملك ذلك ! ألابد من خلعه ؟  
١٤٥ سيرضى الملك بذلك ! هل سيفقد اسم الملك ؟  
فليذهب عني باسم الله !  
سأحمل مسبحة بدلاً من الجواهر  
وأستعيز بالدير عن قصرى الفاخر  
وثوب شحاذ عن ملابسى  
١٥٠ وبصحفة خشبية عن الكتوس المزينة بالتصاوير  
وبعضا الحجاج عن صولجانى  
وبعض أيقونات القديسين عن الرعايا  
وبقبر صغير عن مملكتى الشاسعة

- بقبر صغير صغير ، بقبر لا تلحظه العين ،  
 ١٥٥ أو أدفن فى الطريق العام ، فى طريق تغشاه السابلة  
 حيث تطأ أقدام الرعايا رأس ملكهم فى كل ساعة !  
 فما داموا يطأون قلبى الآن فى حياتى  
 فلماذا لا يطأون رأسى بعد مماتى ؟  
 إنك تبكى يا أوميرل !  
 ١٦٠ أنت تبكى يا بن عمى يا رقيق القلب !  
 سأبكى معك حتى تملأ دموع الذل جو السماء فيكفهر  
 وتهب أنفاسنا وآهاتنا عاتية مع وابل العبرات  
 حتى تقتلع قمح الصيف وتذروه هباءً  
 فتحل المجاعة فى أرض التمرد والعصيان !  
 ١٦٥ أم ترانا تتنافس مثل الصبيان فى لعبة البكاء  
 كيما نلهو من أحزاننا ونسخر ، فيذرف كل منا دموعه  
 فوق بقعة بعينها حتى نحفر فى الأرض قبرين  
 ثم ندفن فيهما ؟ وسيكتب على شاهد القبر :  
 « هنا يرقد اثنان من الأقارب ،  
 حفرا قبريهما بدموع العين ! »  
 ١٧٠ هل يجدى هذا اللهو الخبيث ؟ لا لا ! هذا هذر وهراء  
 وأنتم تضحكون منى !  
 قل أيها الأمير العظيم يا نورثمبرلاند :  
 ماذا يقول الملك بولينبروك ؟ هل يسمح جلالته  
 بأن يعيش ريتشارد حتى يوافيه الأجل ؟

- ١٧٥ إنك تنحنى أمامى لتعلن موافقة بولينبروك !
- نورثمبرلاند :** إنه ينتظركم يا مولاي فى الفناء السفلى  
فهلا تفضلتم بالنزول إليه والحديث معه ؟
- ريتشارد :** أنزل وأهبط مثل 'فايتون' الوضاء  
الذى لم يستطع كبح جماح خيوله  
فأحرق الأرض ثم احترق !  
إلى الفناء الأسفل ؟
- ١٨٠ إلى الدرك الأسفل حيث ينحط قدر الملوك  
ويهبطون استجابة لدعوة الخونة ويججلونهم !  
فلتهبط إلى الفناء الأسفل !  
الفناء خفيض والملك خفيض  
وبوم الليل تنعب حيث كان على القبرة أن تطير  
وتغرد .
- [ ينزل ريتشارد - يخرج ]
- بولينبروك :** ماذا يقول جلالته ؟
- نورثمبرلاند :** لقد أطار عقله الحزن والكمد
- ١٨٥ فتفوه بكلام المخبول . لكنه قد أقبل الآن !
- [ يدخل ريتشارد مع حاشيته  
فى مقدمة المسرح ]
- بولينبروك :** أفسحوا الطريق واصطفوا لأداء واجب التحية لجلالته !
- [ يركع ]
- مولاي المعظم !

- ريتشارد** : قم يا ابن عمى الكريم !  
 إنك تحط من شأن ركبتك النبيلة  
 ١٩٠ حين تجعل الأرض الوضيعة تزهو بتقبيلها !  
 كم كنت أفضل أن يشعر قلبي بحببتك  
 على هذه المجاملة التي لا تسر عيني !  
 انهض يا ابن عمى انهض ! فقلبك ناهض للعلا  
 وأنا واثق من ذلك ! [ مشيراً إلى التاج ]  
 إلى هذا المستوى على الأقل ،  
 وإن كانت ركبتك تمس الأرض !
- بولينبروك** : مولاي الكريم ! لم أحضر إلا من أجل أملاكى !  
 ١٩٥ **ريتشارد** : أملاكك لك ، وأنا لك ، والجميع لك !  
**بولينبروك** : لم أمتلك شيئاً يا مولاي المهيب المعظم  
 إلا بحق إخلاصى فى الخدمة وجدارتى بحبكم !  
**ريتشارد** : بل أنت جدير به كل الجدارة ! لا يستحق أن يملك  
 ٢٠٠ إلا من يعرف سبل الامتلاك القوية والمؤكدة !  
 أعطنى يدك يا عمى ! لا ! جفف دموع عينيك !  
 فالدموع تظهر الحب ، مثلما تظهر العجز  
 عن علاج أسباب البكاء !  
 أما أنت يا ابن عمى ، فإننى أصغر من أن أكون والدك لك  
 وإن كانت سنك تسمح لك أن تكون وريثى  
 ٢٠٥ وسوف أعطيك كل ما تريد ، وعن رضا أيضاً ،

فلا بد أن نفعل راضين ما لا مفر من فعله مرغمين !

هل تريدنا أن نتجه إلى لندن يا ابن عمي ؟

**بولينبروك :** نعم يا مولاي الكريم .

**ريتشارد :** إذن فلا اعتراض عندي .

[ تدوى الأبواق ويخرج الجميع ]

### المشهد الرابع

[ لانشلي - حديقة دوق يورك - تدخل الملكة ووصيفتان ]

**الملكة :** أى لعبة نلعبها فى هذه الحديقة

حتى تزيل عن نفوسنا الفكر والهموم ؟

**الوصيفة :** نلعب دحرجة الكرات يا مولاتى !

**الملكة :** فى هذه اللعبة أرى الدنيا غاصة بالعوائق

وأشعر أن حظى سوف يصطدم مثل الكرة بها !

**الوصيفة :** فلنرقص إذن يا مولاتى !

**الملكة :** لا تستطيع قدماى مراعاة حدود الإيقاع

حين لا يعرف قلبى المسكين حدود الأحران

وإذن لن نرقص يا فتاتى ! فلننظر فى لعبة أخرى .

**الوصيفة :** سنقص القصص يا مولاتى !

**الملكة :** قصص الحزن أم قصص السرور ؟

**الوصيفة :** أيهما شئت يا مولاتى !

**الملكة :** بل لا هذه ولا تلك يا فتاتى !

فإذا كانت قصص السرور ، وهو ما أفترق إليه تمامًا ،

- فسوف تزيد من تذكيري بالأسى !  
 وإذا كانت قصص الحزن ، وهو ما يغشى نفسى  
 فسوف تضيف الأسى إلى فقدان السرور !  
 أى إننى لست فى حاجة إلى تكرار ما لدى  
 : ولا جدوى من الشكوى مما ينقصنى .  
**الوصيفة**  
**الملكة** : سأغنى يا مولاتى !  
 يسرنى أن لديك الدافع على الغناء  
 : ولكن سرورى سيزداد لو استطعت البكاء !  
**الوصيفة**  
**الملكة** : إذن سأبكي يا مولاتى ، لو كان فى البكاء سرورك  
 وأنا أغنى لو كان فيه سرورى  
 دون أن أستعير دموعك !  
 [ يدخل البستاني مع خادمين ]  
 ولكن انتظرا ! لقد أتى البستاني وغلمانه !  
 فلنختبئ فى ظل هذه الأشجار - وأراهنكما :  
 أدفع تعاستى مقابل بعض الدبايبس\*  
 إن لم يتكلموا فى السياسة ، فالكل يتكلم فى السياسة  
 : انتظارا لتغير الأحوال . والحزن نذير بالحزن !  
**البستاني**  
 [ إلى غلاميه ] عليك أنت أن تربط أغصان شجرة  
 المشمش التى تحمل الثمار الجديدة حتى لا تنوء بحملها  
 مثل الآباء الذين ينوءون بإسراف أبنائهم اللاهين

\* يضرب بها المثل فى تفاهة القيمة - انظر هاملت ٦٥/٤/١ .

واغرس ما تستند إليه الفروع المائلة حتى تنتصب  
واذهب أنت فشذب أطراف الأفنان  
التي ارتفعت قاماتها بأسرع مما ينبغي في دولتنا  
٣٥ اقطع رؤوسها مثل الجلاذ !  
فيجب أن يتساوى الجميع في ظل حكومتنا .  
وسأذهب أنا أثناء ذلك لاقتلاع الحشائش الضارة  
فهى تمتص خصب التربة دون فائدة ترجى  
: **الغلام** وتحرم الأزهار الصالحة منه .

٤٠ ولماذا نعمل نحن على مراعاة القانون والنظام  
والتناسب الصحيح في نطاق هذه الحديقة المسورة  
كأنما هى نموذج مصغر لقوة الحكومة وانضباطها ؟  
انظر إلى حديقة أراضينا التى تحيط بها أسوار البحر  
تجد الأعشاب الضارة فى كل مكان ،  
وأجمل زهورها وقد اختنقت ،  
وأشجار الفاكهة دون تشذيب ،  
وأسوارها النباتية خربة ،  
٤٥ وأحواض الزهور المتممة فى فوضى ،

: **البستاني** وأعشابها الطبية غاصة بالديدان !  
صمتًا ! إن من سمح بالفوضى فى هذا الربيع  
قد جاءه الخريف وسقطت أوراقه  
وأما الأعشاب الضارة التى كانت تُخفيها وتحميها



- أوراقه العريضة المنتشرة ،  
 ٥٠ . والتي كانت تمتص رحيق حياته  
 وإن بدا أنها تسانده ،  
 فقد اقتلعتها بولينبروك من جذورها !  
 : أقصد بذلك اللورد ويلتشر ، وبوشى وجرين !  
 : ماذا تعنى ؟ هل ماتوا ؟  
 ٥٥ نعم وقبض بولينبروك على الملك المبدّر ! ليته كان  
 قد شذّب أرضه وحافظ على نظامها  
 مثلما نفعل نحن فى هذه الحديقة ! فنحن نجرح اللحاء  
 وهو بشرة أشجار الفاكهة فى وقت محدد من السنة  
 حتى تسيل بعض العصارة وتتخفف من بعض الدم  
 ٦٠ حتى لا يزيد ثراؤها بماء الحياة عن الحد ، فتفسد !  
 ولو فعل ذلك بالعظماء ومن تضخمت ثرواتهم  
 فرمما عاشوا وأخرجوا الثمار ولذاق هو ثمار واجبهم !  
 إننا نقطع الأغصان الزائدة عن الحاجة  
 حتى تحيا الأغصان المثمرة !  
 ٦٥ ولو فعل ذلك لظل تاجه على رأسه  
 : بدلاً من أن يسقط بسبب الافراط فى ساعات التراخى !  
 : عجباً ! هل تظن أنهم سيخلعون الملك ؟  
 لقد أذلّوه وأهانوه ، وقد يخلعونه عما قريب !  
 فقد وصلت بعض الرسائل فى الليلة البارحة  
 ٧٠ إلى أحد المقربين إلى دوق يورك الطيب

**الملكة**

: تحمل أنباء سوداء !  
يا كاد الصمت يخنقنى !

[ تتقدم الملكة من البستانى ]

أنت يا من تقوم بعمل أبينا آدم فى رعاية هذه الحديقة !  
كيف يجرؤ لسانك الفظ القاسى  
على النطق بهذه الأنباء السيئة؟  
أية حواء أغرتك وأية أفعى أغوتك  
على القول بسقوط الإنسان مرة ثانية  
وخروجه ملعوناً من الجنة ؟

لماذا تقول إن الملك ريتشارد قد خُلِع من العرش ؟  
أنت يا من لا يزيد فى مكانته عن هذه التربة :  
كيف تنبأت بسقوطه ؟ قل أين ومتى وكيف

: جاءتك هذه الأنباء السيئة ؟ تكلم أيها التعس !  
العفو يا مولاتى ! يؤسفنى أن أنقل هذا الخبر السيئ  
لكن ما أقوله صحيح .

**البستانى**

فقد التفت ذراع بولينبروك القوية  
حول الملك ريتشارد .  
وعندما وُضعت حظوظهما فى الميزان  
شالت كفة مولاك ،

فليس بها إلا نفسه وبعض المداهين ،  
ورجحت كفة بولينبروك العظيم ، ففيها إلى جانبه  
جميع لوردات إنجلترا ،

وهي المزية التي أهقلت موازينه!

٩٠ فاذهبي إلى لندن لتتأكدي من صحة ما أقول !

**الملكة**

: ولم أقل إلا ما يعرفه الجميع .

يا سوء الطالع ما أسرع عدوك وأخف خطوك !

كانت رسالتك من شأني ، لكنني آخر من بلغته !

٩٥ لقد وضعتني في آخر القائمة حتى يظل حزني

أطول مدة في صدرى ! هيا بنا يا وصيفتي

حتى نقابل في لندن ملك لندن الحزين .

هل كتب على أن ألاقى هذا المصير

فتزين ملامحي الحزينة موكب نصر بولينبروك العظيم

١٠٠ ؟

أدعو الله أيها البستاني ألا يُنعم بالنماء على زرعك

: بعد إخباري بهذه الأنباء السيئة !

**البستاني**

[ تخرج الملكة مع الوصيفتين ]

مسكينة أيتها الملكة ! أدعو الله أن يستجيب لدعائك

إن كان في ذلك تخفيف لمحتتك !

١٠٥ لقد ذرفت دموعها في هذه البقعة ، وسأزرع فيها

بعض الحنظل ، الذي يسمونه عشب التوبة المر !

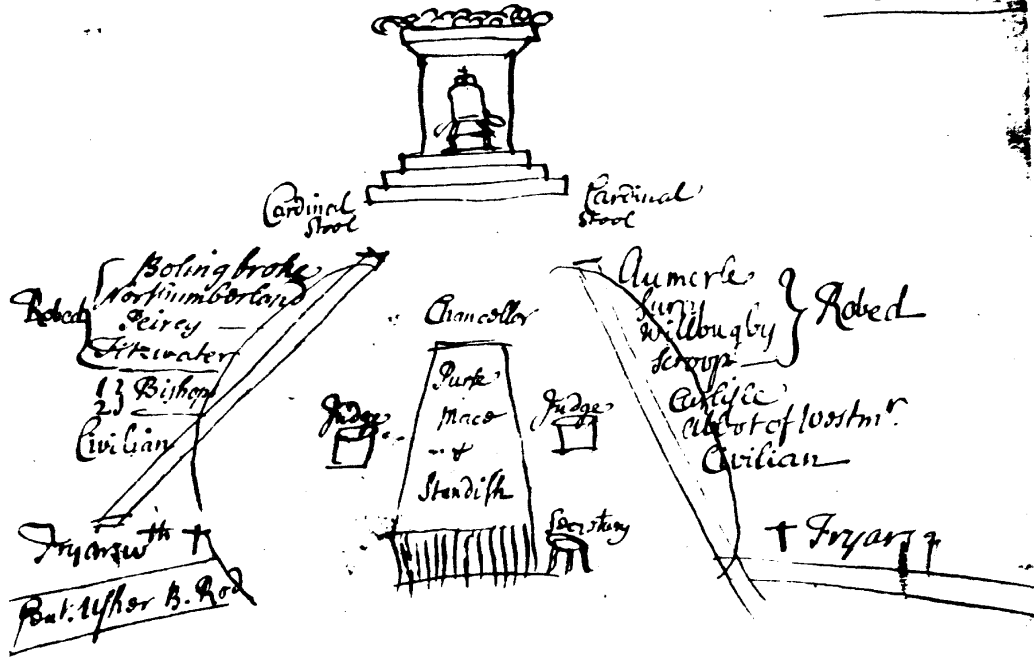
سوف ينبت الحنظل هنا عما قريب فيثير الشفقة

في ذكرى عبرات سكبتها الملكة !

[ يخرجون ]

# Rich.<sup>1</sup> 2<sup>d</sup> } Parliament Scene

Act 4.  
Pg: 98



تصميم مشهد البرلمان (الفصل الرابع) في إخراج المسرحية في مسرح كوفنت جاردن، عام ١٧٣٨، ويصطف بولينبروك ومؤيدوه على يسار المسرح، ويقف ريتشارد ومؤيدوه على يمين المسرح، ويظل كرسى العرش خالياً يميناً، على المشهد.

## الفصل الرابع

### المشهد الأول

[ قاعة البرلمان فى وستمنستر - يدخل بولينبروك ، وأوميرل ،  
ونورثمبرلاند ، وبيرسى ، وفيتزواتر ، وسرى ، وأسقف  
كارلايل ، ورئيس دير وستمنستر ، ولوردات آخرون ،  
والحاجب ، وبعض الضباط ومعهم باجوت ]  
أحضروا باجوت !

**بولينبروك**

[ يُحضر الضباط باجوت ]  
والآن يا باجوت ! قل كل ما تعرفه ، وبحرية كاملة ،  
عن مقتل جلوستر الشريف ، وعمّن أقنع الملك  
بالموافقة على ذلك ، وعمّن تولّى التنفيذ  
فسفك دمه وأورده حتفه فى ريعانه .

٥

**باجوت** : إذن لا بد لى من مواجهة اللورد أوميرل !

**بولينبروك** : تقدم يا ابن عمى وواجه ذلك الرجل !

**باجوت** : سيدى اللورد أوميرل ! أعلم أن لسانك الجسور  
يأنف من إنكار أقواله السابقة .

١٠ لقد سمعتك تقول فى تلك اللحظة الظلماء\*  
التي شهدت التآمر على قتل جلوستر

\* اختلف المفسرون فى معنى العبارة فقال بعضهم أنها تعنى منتصف الليل ، وقال البعض الآخر أنها  
تعنى 'اللقاء السرى' ، وقال آخرون أنها تعنى 'المفضية للموت' .

« أليست ذراعى طويلة\* ، وقادرة على أن تمتد  
من البلاط الانجليزى المطمئن  
حتى رأس عمى فى كاليه ؟ »  
وما أكثر ما قلت آنذاك ! إذ سمعتك تقول  
إنك لو خيَّرت بين منحة تبلغ مائة ألف كروان\*\*  
وبين عدم عودة بولينبروك إلى انجلترا  
لاخترت عدم عودته ،  
وأضفت قائلًا كم ستنعم هذه الأرض  
بموت ابن عمك !

**اوميرل :** أيها الأمراء واللوردات الأشراف ! بماذا أجيب  
هذا الرجل الوضع ؟ هل أنكر طوالع السعد التى  
أنعمت على بكرم المحتد ، فأهبط إلى مستواه ،  
وأعاقبه فى نزال لا يكون إلا بين الأقربان ؟  
لا مناص من ذلك وإلا كنت أقبل تدنيس شرفى  
بافتراءات شفاهه الكاذبة ! هذا قفاز التحدى  
وأنا ألقيه حتى أضع خاتم الموت بيدي

\* تنتمى الذراع الطويلة فى التقاليد الانجليزية للملك ، فهى الذراع التى تحمل سيف العدالة وتقيمها  
فى شتى أرجاء المملكة ، والصورة ترجع إلى مثل يونانى مذكور فى كتاب هيرودوت ، والمحتمل أن  
شيكسبير قرأه فى **أوفيد** ( الرسائل ١٧/١٦٦ )

An nescis longas longas regibus esse manus ?

أى « ألا تعلم أن للملوك أياد طويلة ؟ » مما يوحى بأن للملك يدًا فى قتل جلوستر على نحو ما  
جاء فى الفصل الأول

\*\* الكراون ربع جنيه استرلينى تقريبًا .

على روحك وألقى بها فى جهنم . أعلن أنك كاذب  
وسوف أثبت كذب ادعائك بسفك دم قلبك  
وإن كان أحقر من أن يدنس  
سيف فروسيته الصقيل !

**بولينبروك** : اصبر يا باجوت ! أمرك ألا تقبل التحدى ! ٣٠

**أوميرل** : كنت أتمنى أن يكون الذى استفزنى

أعلى الحاضرين مكانة - باستثناء واحد فقط !

**فيتزووتر** : إن كنت تريد أن تبارز من يضاهيك فى المكانة

فها هو ذا قفازى يا أوميرل ، وأنا أقبل التحدى ،

وأقسم بالشمس الساطعة التى أراك فى نورها ٣٥

إننى سمعت تقول وتتفاخر بأنك كنت السبب

فى مصرع جلوستر الشريف . ولو أنكرت ذلك

عشرين مرة ، فأنت كذاب أشر !

وسوف أعيد كذبك إلى قلبك ،

حيث دبrote ، بطرف سيفى المسلول ! ٤٠

**أوميرل** : لن تجرؤ أن تعيش أيها الجبان لتشهد ذلك اليوم

**فيتزووتر** : أقسم بروحى إنى أتمنى أن أشهد ذلك فى هذه اللحظة !

**أوميرل** : حلت عليك اللعنة يا فيتزووتر ! فإلى جهنم !

**بيرسى** : أوميرل ! أنت كاذب ! وصدق اتهمه ثابت

ثبات كذبك وإنكارك ! وها أنذا ٤٥

أتحداك وألقى بقفازى تأكيداً لما أقول

- وسوف أثبت صحته حتى آخر نفس  
من أنفاس حياتي الفانية  
فأقبل التحدي والتقط القفاز إن جرؤت !
- أوميرل** : قبلت ! وإلا فلتذبل يدي وتذوي  
حتى ما تستطيع أن تستل حسام الثأر  
على خوذة العدو البراقة !
- لورد آخر\*** : وها أنذا أثقل الأرض بعبء قفاز آخر  
وأتحدي أوميرل الكاذب ! وسوف أحفزك على قبوله  
بتعديد أكاذيبك في أذنك الخائنة من مشرق الشمس  
إلى غروبها ! هاك قفازي رهن شرفي  
فالتقطه وأقبل التحدي إن جرؤت !
- أوميرل** : هل يراهن أحد آخر ؟ قسمًا بالله لأرمي الترد\*\*  
وأتحدي الجميع ! إن لي ألف روح في صدري  
وتستطيع مغالبة عشرين ألفًا من أمثالكم !
- سري** : لورد فيتز ووتر ! أذكر بوضوح وجلاء  
مناقشتك مع أوميرل
- فيتز ووتر** : صدقت إذ كنت حاضراً معنا  
فاشهد معي على صدق روايتي
- سري** : بل على كذبها قسمًا بالله الحق !

\* الأبيات من ٥٢ - ٥٩ محذوفة من طبعة الفوليو لمسرحيات شيكسبير ، وحذفها يعني الاستغناء عن دور صغير لشخصية ثانوية ، وهو يقلل في رأى النقاد من خطر تحول المشهد إلى مشهد فكاهي بسبب كثرة القفازات الملقاة على المسرح ، وهو ما حدث عند تقديم المسرحية في العصر الحديث .

\*\* أى إنه يعتبر التحدي لوئاً من القمار لا إقامة للعدل .



- ٦٥ **فيتزووتر** : كذبت يا سري !  
**سري** : أيها الغلام الخبيث ! إن تلك الفريّة سوف تفرّيك قرّياً  
 إذ ستثقلُ نصلَ سيفي حتى يتخفف منها بالثأر والانتقام  
 وعندها يتخفف من الكاذب وكذبه ، ويواريهما التراب  
 هامدين مثل جمجمة أبيك ! هاك برهاني  
 ٧٠ هاك قفازي رهن شرفي  
 فالتقطه واقبل التحدى إن جرّوت !  
**فيتزووتر** : ما أحقق من يستحث الجواد المقدام !  
 ما دمت أجرؤ على الأكل أو الشرب  
 أو التنفس أو الحياة  
 فأنا أجرؤ على منازلة سري في البرية  
 ٧٥ وأن أبصق على وجهه وأنا أردد إنه كاذب  
 كاذب كاذب ! هاك برهان عزمي الصادق  
 والتزامي بتأديك الأدب الصارم  
 وما دمت أعتزم النجاح في هذا العالم الجديد  
 فإنني أكرر صدق اتهامي لأوميرل .  
 كما أنني سمعت موبراي ، وهو دوق نورفوك  
 ٨٠ المقيم في المنفى ،  
 يقول إنك أرسلت يا أوميرل اثنين من رجالك  
 لقتل دوق جلوستر الشريف في كاليه  
**اوميرل** : أريد أن أستعير قفازاً آخر من أي مسيحي مخلص!\*

\* هذا هو التحدى الثاني من جانب أوميرال، وسابع قفاز يُلقى! ويقول المؤرخ هولنشييد إن أوميرال استعار قفاز أحد المارة ، ويبدو أن شيكسبير أعجبه الفكرة.

- ها هو ذا ! وأنا ألقيه لأتحدى نورفوك وإثبات كذبه  
 ٨٥ إذا أمكن استدعاؤه لإثبات صدقه وشرفه .
- بولينبروك :** لن يفصل النزال فى أى خلاف هنا  
 حتى يعود نورفوك . لقد أمرنا باستدعائه  
 ورغم عداوته لى ، أمرنا بإعادة جميع أراضيه  
 وجميع أملاكه له . وسوف ننتظر عودته  
 ٩٠ حتى يقع النزال بينه وبين أوميرل .
- كارلايل :** لن نشهد يوم الشرف المرجو أبداً !  
 فلکم حارب نورفوك فى منفاه  
 فى سبيل المسيح عيسى ، فى ميادين المجد المسيحية ،  
 ولکم رفع لواء صليب المسيحية خفياً  
 ٩٥ ضد أشرار الوثنيين والأتراك والأعراب  
 فلما أنهكتهم الحروب تقاعد فى إيطاليا  
 وأقام فى البندقية حيث أسلم جسده  
 لأرض ذلك البلد الجميل ، وأسلم روحه النقية  
 ١٠٠ لسيده المسيح ، بعد أن حارب طويلاً تحت رايته !
- بولينبروك :** هل تعنى أيها الأسقف أن نورفوك مات ؟
- كارلايل :** إن كنتُ أنا حياً فهو ميت !
- بولينبروك :** فلتنزل السكينة المباركة على روحه المباركة

ولتحمله إلى حضن إبراهيم الخليل !\*  
أيها اللوردات المتخاصمون ! ستظل خلافاتكم قائمة ١٠٥  
حتى نضرب لكم موعداً للمبارزة .

[ يدخل يورك ]

**يورك**

: يا دوق لانكاستر العظيم ! أتيت إليك  
من عند ريتشارد ، الذى أنتزع ريشه\*\*  
وقد اختارك راضياً لثرت العرش ،  
وهو يُسلم صولجانه الرفيع إلى يدك ،  
يد الملك الجديد ! فاصعد إلى العرش ، ١١٠  
الذى نزل عنه الآن\*\*\* ، ولنقل 'يحيا الملك هنرى !'  
الذى أصبح الملك هنرى الرابع .

**بولينبروك**

**كارلايل**

: باسم الله أضعه إلى العرش الملكى !  
: معاذ الله أن يكون ذلك ، وحق البتول !  
إن لم يكن يليق بى أن أتحدث فى الحضرة الملكية ١١٥  
فاللائق أن أنطق بالحق وحسب  
ليت الله وهبنا فى هذه الحضرة الملكية

\* كناية عن رضا الله ورحمته ، والإشارة واضحة إلى إنجيل لوقا « وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم » (٢٢/١٦) . وقد أصبح التعبير شائعاً فى الشعر الانجليزى حتى القرن التاسع عشر ، فهو وارد فى شعر وردزورث مثلاً .  
\*\* إشارة للقصة الخرافية التى حكاها إيسوب عن الغراب الذى استعار ريش الطاووس ، وربما للبذخ الذى اتسم به ريتشارد .  
\*\*\* معنى ذلك أن الملك 'ينزل' عن العرش أى يتنازل عنه بتعبيرنا الحديث ، بدلاً من خلعه .  
والأسقف يقيم الحجة فى الفقرة التالية على استحالة 'نزل' الملك عن العرش لأحد .

رجلاً يؤهله شرف منزلته لإصدار الحكم السديد  
على ريتشارد شريف المنزلة . إذن لاهتدى  
بشرف المنزلة الحقيقي وامتنع عن هذا الظلم الفادح ! ١٢٠  
هل يستطيع فرد من الرعية  
أن يصدر الحكم على ملكه؟  
وهل بين الجالسين هنا من ليس من رعية ريتشارد ؟  
إننا لا نحكم على اللصوص  
إلا بعد حضورهم وسماع أقوالهم  
حتى ولو كانت دلائل جريرتهم بادية لكل ذى عينين !  
فهل نصدر حكماً غائباً على الملك ، ونحن من رعاياه،  
وأدنى منزلة منه ، وهو صورة جلال الله ، ١٢٥  
والقائم على تنفيذ مشيئته ، والمفوض منه ،  
ونائبه المختار ،  
الذى مُسح عليه بالزيت المقدس ، وتُوج ،  
وازدهر نباته سنوات طويلة بيننا ؟  
لا قدر الله أن يكون ذلك !  
حاشا لله أن نشهد فى هذا المناخ المسيحى  
إقدام هذه النفوس المهذبة ١٣٠  
على اقتراح مثل ذلك العمل الكريه الأسود الفاضح !  
إنى أتكلم إلى الرعايا ، وبصفتى من الرعايا أتكلم  
وقد دفعنى الله للدفاع الجسور  
عن الملك الذى اصطفاه!

إن اللورد هيرفورد الذى تدعونه ملكًا  
 خائن أتيتم للملك ذى العزة والسلطان على هيرفورد ! ١٣٥  
 وإذا وضعتم التاج على رأسه ، فإنى أتنبأ بما يلى :  
 ستسيل دماء الانجليز حتى تخبص الأرض\*  
 وتكايد الأجيال المقبلة الأمرين من هذه الفعلة الشنعاء!  
 سيخلد السلم للرقاد عند الأتراك والكفار  
 وتندلع الحروب المضطربة فى بلادنا مقر السلم ١٤٠  
 فيقتل الأقارب والأقربان بعضهم بعضًا  
 وتنشب الفوضى ويشيع الرعب والفرع وتقيم الثورة  
 بين ظهرانينا ، حتى يطلق الناس اسم ميدان جلجثة\*\*  
 وجماجم الموتى على هذه الأرض !  
 فإذا وقع الشقاق فى هذا المجلس  
 وثار بعضه على بعض ، \*\*\* ١٤٥  
 فسوف يثير الانقسام من الأحزان  
 ما لم تشهده هذه الأرض الملعونة يومًا ما  
 فتحاشوا ذلك وقاوموه وامنعوا وقوعه

\* لا يقول 'تروى' الأرض وذلك من باب التلاعب اللفظى الذى أشاع هذا التعبير فى عصر شيكسبير .  
 \*\* تل 'جلجته' أو مكان الجمجمة هو الموقع الذى يقول المسيحيون إن المسيح قد صلب فيه .  
 \*\*\* هذا هو المعنى الواضح للنص ، وقد ورد أيضًا فى الجزء الثالث من هنرى السادس ( ٧١/١/١ )  
 مع إشارة من الأسقف إلى إنجيل مرقس « وإذا انقسم بيت على ذاته . . . » ( ٢٥/٣ ) وإن كانت  
 هناك إشارة طفيفة إلى صراع أسرة يورك وأسرة لانكاستر فى مسرحيات هنرى السادس ، وعندما  
 قدمت المسرحية عام ١٩٨٠ فى أوريغون بالولايات المتحدة ، أشار الأسقف أولاً إلى البرلمان ثم إلى  
 السماء لتأكيد الحق الإلهى للملك .

**نورثمبرلاند**

حتى لا يقول أطفالكم وأطفال أطفالكم 'ويل لكم !'  
: أحسنت المرافعة يا سيدى ! أما أتعابك  
١٥٠ فالقيض عليك هنا بتهمة الخيانة العظمى !  
إنى أمرك يا لورد وستمنستر بالتحفظ عليه  
حتى يحين موعد محاكمته . أيها اللوردات !

**بولينبروك**

: أحضروا ريتشارد هنا حتى ينزل عن الملك  
١٥٥ أمام الجميع ، بحيث نعتلى العرش دون أدنى ريبة !  
: سأتى به إليكم

**يورك**

**بولينبروك**

[ يخرج يورك ]

على كل لورد من المقبوض عليهم هنا  
أن يعين من يكفل حضوره للمحاكمة  
١٦٠ فلسنا مدينين بالحب لأحد منكم  
بل ولم نتوقع منكم أى مساعدة !

**ريتشارد**

[ يدخل ريتشارد ويورك ]

: وا أسفاه ! لماذا أرسلتم تطلبون مثولى أمام ملك  
قبل أن أنفض عن نفسى أفكار الملك  
التي حكمت بها ؟ إننى لم أتعلم بعد  
١٦٥ المداينة والملق ، ولا الركوع والخضوع !  
أمهلوا الحزن حتى يعلمنى الخشوع !

\* أى نشر وثيقة الاتهامات الموجهة إلى الملك ريتشارد على الملأ .

على أنى أذكر وجوه هؤلاء الرجال  
 بكل وضوح - ألم يكونوا من رجالى ؟  
 ألم يلقوا علىّ جميعاً تحية السلام ذات يوم ؟\*  
 مثلما ألقى يهوذا تحية السلام على المسيح  
 ١٧٠ لكنه وجد الاثنى عشر مخلصين عدا واحد  
 وأنا لا أجد الإخلاص فى واحد من اثنى عشر ألقاً !  
 'حفظ الله الملك !' ألن يقول أحدكم 'آمين' ؟  
 هل أصبحت الكاهن وكاتب الكنيسة معاً ؟\*\*  
 سأقول 'آمين' إذن !  
 'حفظ الله الملك' ، ولو لم أكن الملك ،  
 ١٧٥ وأقول آمين إن كان الله يرى أننى الملك !  
 ما المهمة التى استدعيتُ من أجلها ؟  
 تنفيذ ما عرضت القيام به بمحض إرادتك  
 بعد أن أرهقتك تبعات الحكم ، وهو النزول .  
 ١٨٠ عن عرشك وتاجك إلى هنرى بولينبروك .  
 : هات التاج . هاك يا ابن عمى ! أمسك التاج !  
 سأمسكه بيدى من هذا الجانب ، وتناوله أنت من  
 الجانب الآخر

يورك

ريتشارد

\* يستخدم ريتشارد هنا نفس اللفظة التى استخدمها يهوذا فى تحية المسيح ( انظر مثلاً متى ٢٦/٤٩ )  
 وتصور مسرحيات الأسرار يهوذا وهو يستعمل نفس الألفاظ التى يستخدمها ريتشارد هنا ، وإن  
 كانت اللفظة فى ذاتها غير ذات دلالة دينية .  
 \*\* كانت وظيفة الكاتب هى أن يقول 'آمين' فحسب .

- إن هذا التاج الذهبى يشبه البثر العميقة  
يتدلى فيها دلوان ، يملأ أحدهما الآخر\*  
١٨٥ أما الفارغ فيرقص دائماً فى الهواء ،  
وأما الملىء بالماء فلا نراه فى غيابة الجب .  
أما الدلو السفلى المترع بالدموع فهو أنا  
أجرع أحزاني بينا تصعد أنت إلى أعلى !  
ريتشارد : ظننت أنك تريد النزول عن الملك !  
١٩٠ بل عن التاج فحسب ! لكننى لن أنزل عن أحزاني !  
فى طوقك أن تخلع عني أمجادى ومُلُكى  
لكنك لن تخلع أحزاني . فما زلت ملكًا لها !  
بولينبروك : إنك تعطينى بعض همومك مع تاجك  
ريتشارد : ما يهملك من هموم لن ينتقص من همى !  
١٩٥ فهمى هو أن هموم الملك ضاعت  
وهمك اكتساب هموم جديدة  
والهموم التى أنزل عنها لم تبارحني وإن فارقتها  
بولينبروك : صحيح أنها تكتنف التاج ولكنها ما تزال فى نفسى !  
ريتشارد : هل رضيت بالنزول عن التاج إذن ؟  
٢٠٠ نعم - لا لا ! - نعم ! فلا بد من الإذعان لك  
و 'لا لا' تعنى نفى النفى ، واستسلامى لك !  
انظر الآن كيف أنفى وجودى وأخلع ذاتى

\* يملؤه بمعنى يدفعه إلى الغمر ، فهما مربوطان بحبل واحد ، إن صعد الأول هبط الآخر .



إني أقدم لك ما أخلعه من حمل ثقیل عن رأسی  
 ومن صولجانٍ جشیم عن یدی  
 ٢٠٥ ومن کبریاء السلطان الملکی من قلبی !  
 وبعبراتی أغسل الزيت المقدس الذی مُسح به علیّ  
 ویدیّ هاتین أتخلی عن تاجی  
 ولبسانی هذا أنکر مُلکی المقدس  
 وأحلّ الجميعَ من یمین الواجب التی حلفوها  
 ٢١٠ وأنبذ کل مظاهر الأبهة والجلال  
 وأنزل عن أملاکی وإیجاراتی ودخولی  
 وألغی کل أوامری ومراسیمی وقوانینی  
 وليغفر الله لكل من حنث بيمين حلفها لی  
 وليساعد الله كل من أقسم لك علی أن یر بقسمه  
 لقد أصبحتُ صفرَ الیدین ، فلیجعلنی صفرًا من الحزن ! ٢١٥  
 ولیمتعك بكل شیء ، بعد أن أتاك كل شیء !  
 أدعو الله أن یطیل عمرك جالسًا علی عرش ریتشارد  
 وأن یُعجل بنزول ریتشارد إلى الحفرة الأرضیة  
 'فلیحفظ الله الملك هنری' هو ما یقوله ریتشارد  
 الذی نزع منه الملك ، ویدعو له بسنوات کثیرة مشرقة ! ٢٢٠

**نورمبرلاند :** هل بقى شیء آخر ؟

لا شیء سوى أن تقرأ هذه الاتهامات  
 وهذه الجرائم النکراء التی ارتکبتها أنت وأتباعك  
 ضد الدولة وصالح هذه البلاد

- ٢٢٥ فإذا اعترفت بها اطمأنت النفوس  
ريتشارد : إلى عدالة خلعتك عن العرش .  
ألا بد من ذلك ؟ هل أنقض ما غزلته يد الحماسة  
من بعد قوة أنكأنا ؟ اسمع يا نورثمبرلاند الكريم  
لو كانت ذنوبك مدونة في صحيفة  
أما كنت تستحي من قراءتها على هذا الجمع الكريم ؟ ٢٣٠  
فإذا فعلت فسوف تجد بينها تهمة شنيعة  
تتعلق بخلع ملك والحنث بيمين مغلظة ،  
وهي تهمة تجلّل صاحبها بالعار ،  
موصومة باللعنة في كتاب السماء ! ٢٣٥  
وها أنتم جميعاً يا من تقفون هنا وتنظرون  
تشهدون كيف تحاصرني تعاسى بنباحها المنكر !  
بعضكم سوف يتبرأ مع بيلاطس من الذنب  
متظاهراً بالشفقة ، لكن كلا منكم بيلاطس  
وكلكم أسلمنى إلى الصليب الرهيب . \*\* ٢٤٠  
نورثمبرلاند : ومحال أن يغسل الماء خطيئتك .  
ريتشارد : سيدى ! أسرع بقراءة هذه التهم .  
عيناي مترعتان بالدموع ولا أستطيع الإبصار !  
لكن المياه الملحة لا تعمينى عن رؤية

\* شيكسبير مغرم بصورة الكلاب التى تحاصر الدب عند صيده .

\*\* 'أسلمه' هو الفعل المستخدم فى الأناجيل - انظر مثلاً متى ٢٦/٢٧ .

٢٤٥ عصبية من الخونة هنا ! بل إننى  
 إذا حَوَّلْتُ الطَّرْفَ إلى ذاتى  
 لوجدتُ أنى خائنٌ مثل الجميع  
 إذ وافقتُ بمحض إرادتى على أن أخلعَ طيلسانَ  
 الأُبَّهةَ عن جسد الملك ، وهويت بالمجد  
 إلى أسفل سافلين ، وبالسيادة إلى منزلة الرقيق  
 ٢٥٠ وبجلال الملك لمرتبة الرعية ، فأصبح الملك فلاحًا !  
 : **نورثمبرلاند**  
 : **ريتشارد**  
 مولاي !

لست مولاك أيها المتكبر البذئ ،  
 بل ولست مولى أحد ! ليس لى اسم ولا لقب  
 لا ولا حتى الاسم الذى أطلق علىّ عند التعميد  
 ٢٥٥ فقد اغتُصب منى اغتصابا ! واتعساه لليوم الحزين  
 كيف نجوت من الشتاء عاما بعد عام  
 ثم أصبحت لا أعرف اسمًا أسمى به نفسى !  
 ليتنى كنت تمثالا من الثلج للملك  
 ٢٦٠ حتى إذا سَطَعَتْ عَلَى شمسٍ بولينبروك  
 انصهرتُ فاستَحَلَّتْ قطرات من الماء الجارى !  
 ملك صالح ، ملك عظيم ، وإن لم يكن عظيم  
 الصلاح ،  
 وإذا كانت كلمتى ما تزال من العملات المتداولة  
 فى انجلترا ، فسوف آمر باحضار مرآة على الفور  
 ٢٦٥ حتى أرى فيها صورة وجهى الآن

- بولينبروك :** بعد أن أفلس من جلال الملك !  
فليذهب أحدكم ويحضر مرآة .
- نورثمبرلاند :** [ يخرج أحد الأتباع ]
- ريتشارد :** اقرأ هذه الورقة ريثما تأتى المرأة .
- بولينبروك :** أنت تعذبني أيها الشيطان قبل دخول جهنم !
- نورثمبرلاند :** كفى يا لورد نورثمبرلاند ! لا تبألف فى الإلحاح ! ٢٧٠
- ريتشارد :** لكن عامة الشعب لن يقتنعوا !  
بل سيقتنعون ! فسوف أقرأ ما يكفى  
عندما أبصر كتابى الحقيقى الذى كتبت فيه  
جميع خطاياى - وهو ذاتى  
[ يدخل أحد الأتباع حاملاً مرآة ]
- ٢٧٥ أعطني تلك المرأة وسوف أقرأ ما فيها !  
ألم تبرز الغضون الغائرة بعد ؟ هل لطمنى الحزن  
كل هذه اللطمات على وجهى دون جروح غائرة !  
يا لك من مرآة مدهانة ! لكم تشبهين أتباعى  
الذين كانوا يخدعوننى فى أيام العز !
- ٢٨٠ هل هذا هو الوجه الذى كان يرعى  
عشرة آلاف رجل كل يوم تحت سقف منزله ؟  
هل هذا هو الوجه الذى كان يسطع وهاجاً كالشمس  
فتجفل العيون من التطلع إليه ؟  
هل هذا هو الوجه الذى واجه الحماقات الكثيرة  
ثم أصابه الخسوف أمام وجه بولينبروك ؟ ٢٨٥

ما يزال يبرق بريقًا هشًّا بمجد غابر  
والوجه هشٌّ مثل بريق المجد !

[ يحطم المرأة ]

وها هو ذا قد انكسر وتفتت مائة شظية !

إن فى هذه اللعبة أيها الملك الصامت درسًا مفيدًا

بولينبروك : إذ ما أسرع ما دمر الحزن وجهى ! ٢٩٠

ريتشارد : بل إن ظل حزنك قد دمر ظل وجهك !

قل ذلك ثانيا : ظل حزنى ؟ فلتنظر فى الأمر

أصبت حقا ! فحزنى يكمن فى نفسى

ولست مظاهر البكاء على حالى ٢٩٥

إلا ظلالاً للحزن العميق الخفى

الذى ينميه الصمت فى النفس المعذبة .

ذاك هو الجوهر لا الظل ! وأنا أشكرك

أيها الملك العظيم على نعمائك ، إذ لم تقتصر

على فعل ما يدفعنى إلى أن أندب حظى

بل تعلمنى أسلوب البكاء عليه ! سأسألك ٣٠٠

معروفًا واحدًا قبل أن أمضى ولا أضيالك بعدها أبدًا !

بولينبروك : فهل تسديه لى ؟

ريتشارد : وما هو يا ابن العم الكريم !

’ابن عمى الكريم‘ ؟ إذن أنا أعظم من ملك !

فعندما كنت ملكًا كان المداهنون من الرعية ! ٣٠٥

أما وقد أصبحت من الرعية

- فها هو ذا الملك بنفسه يداهننى !  
 وإزاء هذه العظمة لن أحتاج إلى السؤال !
- بولينبروك :** بل اسأل !
- ريتشارد :** وهل يجاب سؤلى ؟
- بولينبروك :** نعم .
- ريتشارد :** اسمح لى إذن بالرحيل .
- بولينبروك :** إلى أين ؟
- ريتشارد :** إلى أى مكان تشاء ، ما دمت بعيداً عن أنظاركم !
- بولينبروك :** انقلوه الآن إذن إلى برج لندن !
- ريتشارد :** جميل ! 'انقلوه !' كلكم بارعون فى 'نقل'  
 ما تريدون لخزائنكم ، وترتفعون بخفة الشطار  
 حين يسقط الملك الحقيقى .
- [ يخرج ريتشارد مع بعض اللوردات والحراس ]
- بولينبروك :** ضربنا موعداً يوم الأربعاء المقبل للاحتفال رسمياً  
 بتتويجنا . فاستعدوا لذلك أيها اللوردات .
- [ يخرج الجميع ما عدا أسقف كارلايل ورئيس دير وستمنستر وأوميرل ]
- وستمنستر :** كان مشهداً يبعث على الأسى !
- كارلايل :** بل لم يبدأ الأسى بعد . وسوف يشعر الأطفال  
 الذين لم يولدوا بعد بوخزات هذا اليوم  
 كأنه شوكة حادة .
- أوميرل :** أريد أن أعرف يا رجال الدين الأبرار  
 إن كانت هناك وسيلة نمنحو بها ذلك العار .

سیدی !  
 قبل أن أُصرّح بما يجول فی خاطری  
 علیکم ألا تکتفوا بأن تحلفوا لدى القربان المقدس  
 بکتمان ما أنتویه ، بل بأداء أى مهمة أرسمها لکم .  
 ۳۳۰ . إذ أرى جباهکم یغشاها السخط ، وقلوبکم  
 یغمرها الحزن ، وعیونکم تغرقها الدموع  
 تعالوا معی لتناول العشاء فی منزلی ،  
 وسوف أضع خطة  
 تکفل لنا جميعاً إشراق يوم بهیج .

[ یخرجون ]





## الفصل الخامس

### المشهد الأول

[ لندن - شارع يؤدي إلى برج لندن - تدخل الملكة

والوصيفات ]

**الملكة**

: سوف يمرُّ الملك من هنا ، فهو الطريق المؤدى

إلى برج لندن ، الذى بناه يوليوس قيصر ،

وياشراً ما بنى !\*

إذ سوف يحتضن صدره المصنوع من الصّوان الصّلد

زوجى الذى أدانه بولينبروك الصلف ،

وحكم بحبسه فيه !

فلنسترح هنا إن كانت هذه الأرض المتمردة

قد أبقت أى راحة لزوجة ملكها الشرعى .

[ يدخل ريتشارد مع الحراس ]

ها هو ذا أنظرُنَ بل لا تنظرُنَ كيف ذبلت وردتى الجميلة !

لا ! بل انظرُنَ وتأملُنَ حتى تذُبْنَ شفقةً

وتُصْبِحْنَ قطراتِ ندى تُنعشه وتُحييه

بدموع الحب المخلص !

واهاً لك يا صورة طروادة العريقة المحطّمة

\* يقول ستو (١٥٩٨) إن العامة كانت تظن أن يوليوس قيصر هو باني البرج ، والواقع أن بانيه هو وليم الفاتح ، وكان هدفه إخضاع لندن ، وكان يستعمل بمثابة سجن أو مكان احتجاز واعتقال .

- يا صورة الشرف ، يا قبر الملك ريتشارد  
لا الملك ريتشارد ! يا أجمل خانٍ على الطريق  
لماذا يقيم فيك الحزن بوجهه المتجهم  
وينزل النصر بأرخص الحانات ؟ ١٥
- ريتشارد :** لا تتحالفى مع الحزن يا امرأتى الجميلة  
وإلا عجلت بنهايتى ! حاولى أيتها الصالحة  
أن تعتبرى أن مجدنا الغابر كان حلمًا سعيدًا ، وأننا  
أفقنا منه ، وأن الواقع هو ما نحن فيه الآن .  
لقد حلفت يمين الانضمام إلى إخوان 'الضرورة'  
ذوى الوجوه العابسة ، وسوف نظل إخوانًا  
حتى الموت . فلتذهبى أنت إلى فرنسا  
وأقيمى فى أحد الأديرة . فحياة التقوى والورع  
ستأتينا بتاج فى عالم جديد ، يعوّضنا  
عن التاج الذى أضعناه فى ساعات الدنيا الفانية . ٢٥
- الملكة :** عجبًا ! هل انقلب حال زوجى ريتشارد ؟  
هل أصابه الضعف فى الجسد والنفس معًا ؟  
هل خلع بولينبروك عقلك ؟ هل نفذ إلى قلبك ؟  
إن الأسد فى النزع الأخير يخمش الأرض بقدمه  
إن لم يجد ما يخمسه حنقًا وغضبًا لهزيمته ! ٣٠  
فكيف تقبل أنت العقاب خائعًا مثل التلميذ  
وتقبل العصا التى تضربك ، وتخضع لسورة الغضب

- بذلّ وضع ، وأنت الأسد ملك الوحوش ؟!
- ريتشارد : ملك الوحوش حقًا ! لو لم يكونوا وحوشًا ٣٥
- لظلمت ملكًا سعيدًا على البشر ! اسمعى
- يا من كنت ملكة كريمة ، استعدى للسفر إلى فرنسا
- اعتبرنى فى عداد الأموات ، وأنت الآن تودعيننى
- وداعك الأخير وأنا على فراش الموت !
- وعندما يأتى الشتاء بلياليه الطويلة ،
- ٤٠ فاجلسى بجوار المدفأة
- مع العجائز الطيبين ، واسألهم أن يقصوا عليك
- قصص المأسى فى العصور الغابرة ، ولكن -
- قبل توديعهم - قُصّى عليهم قصة تغلب أحزانهم ،
- وهى قصتى الخزينة الباكية ،
- ٤٥ حتى يأوى من يسمعها دمع العينين إلى فراشه .
- بل إنى واثق أن حطب المدفأة نفسه ، وإن يكن جمادًا ،
- سوف يحس بنبرات الحزن البالغ فيما يرويه
- لسانك البليغ ، فيذرف من عبرات الشفقة
- ما يطفئ النار ،
- وقد استحال بعضه رمادًا ، وبعضه فحمًا أسود ،
- ٥٠ حزنًا على خلع الملك الشرعى .
- [ يدخل نورثميرلاند ]
- نورثميرلاند : سيدى ! لقد عدل بولينبروك عن رأيه

فقرر إرسالك إلى بومفريت بدلاً من البرج  
 كما أصدر يا سيدتي أمراً بأن تذهبي  
 بأقصى سرعة إلى فرنسا  
 ريتشارد : نورثمبرلاند ! أنت السلم الذي يستعين به  
 ٥٥ بولينبروك في الصعود إلى عرشي ! لن تنقضي  
 ساعات معدودة حتى يجتمع صديق الخطيئة  
 في رأس الدمل  
 ثم ينفجر وتبدأ فرحة الفساد !  
 فإذا قسم المملكة نصفين بينكما  
 رأيت أنه أقل مما ينبغي لك ، بعد أن ساعدته  
 ٦٠ على الظفر بها كلها ! أما هو ، فسوف يرى  
 أنك تعرف السبل الكفيلة بغرس\* الملوك غير الشرعيين،  
 وأنتك إذا تعرضت لأدنى استفزاز  
 فلن تعدم الوسيلة لإقصائه وخلعه  
 ٦٥ عن العرش الذي اغتصبه اغتصاباً !

\* الفعل الانجليزي Plant يتضمن ما يسمى بالاستعارة المغمورة (Submerged metaphor) وهي التي يوحى بها الكاتب من خلال الاشتقاق اللفظي مثلاً - فالإشارة الخفية هنا هي إلى أسرة (Plantagenet) التي ينتمي إليها الملك الجديد ( وأصل اللقب له علاقة بالغرس فهو يتكون من (plant) و (genista) وهو النبات الذي كانت المكناس تصنع منه ، وقيل إن أصل التسمية له علاقة بغرس هذا النبات . أما الاستعارة الغارقة (sunken) فتشير إلى شجرة يسي ( صموئيل الأول ١٦ ) التي ينسب إليها عيسى عليه السلام .

إن حب الخبثاء يتحول إلى خوف ،  
ثم يتحول الخوف إلى كراهية ،  
والكراهية تحيل أحد الخبيثين أو كلاهما إلى خطر  
له ما يبرره ، ويفضى إلى ما يستحقه من هلاك !

**نورثمبرلاند :** إني أتحمّل تبعه ذنبى فكفى ! ودّع الجميع الآن

٧٠ إذ لابد من رحيلك فوراً .

**ريتشارد :** هذا طلاق مضاعف إذن ! أيها الأشرار !

لقد انتهكتكم حرمة زواجى من تاجى

وحرمة زواجى من زوجتى !

أريد أن أحلّك بقبلة من العهد المعقود بيننا

٧٥ ولكن ذلك لا يكون ! إذ عقدناه بقبلة !

فَرَّقْتَ بيننا يا نورثمبرلاند ! أرسلتنى إلى الشمال

حيث يعانى الجو من الزمهرير وأمراضه

وأرسلت زوجتى إلى فرنسا ، بعد أن قَدِمَتْ منها

فى أبهى حلة وأكمل زينة مثل الربيع البديع !

٨٠ وها هى ذى تعود مثل عيد الخريف ، أقصر أيام العام .

**الملكة :** ألا بد أن نفترق ؟ ألا بد أن نفصل ؟

**ريتشارد :** ستفترق الأيادى يا حبيبتى وتنفصل القلوب !

**الملكة :** لماذا لا نذهب للمنفى معاً - فيأتى الملك معى ؟

**نورثمبرلاند :** قد يظهر ذلك بعض الحب

لكنه يفتقر إلى كياسة السياسى !

٨٥ **الملكة :** إذن دعنى أذهب معه حيث يذهب !

**ريتشارد** : حتى يتضاfer بكائي وبكاؤك فى جديلة حزن واحدة !

لا ! ابكىنى أنت فى فرنسا ، وسأبكىك هنا

فالبعاد خير لنا من القرب دون التلاقى

أما طول طريقك فيقاسُ بالآهات

وسأعرف طول طريقى من عدد الأثأت !

**الملكة** : وكلما طال الطريق ازداد عدد الأثأت ! ٩٠

**ريتشارد** : ولكن طريقى قصير ،

ولذلك سأتاوه مرتين فى كل خطوة

وأطيل الطريق بقلبى المثلث بالهمّ

هيا بنا ! نحن نخطب ود الحزن والإيجاز واجب

فلسوف نعيش طويلاً معه بعد زفافنا إليه !

يجب أن نغلق شفاهاً بقبلة واحدة ثم نفترق صامتين ٩٥

بهذه أعطيك قلبى وأخذ قلبك !

[ يقبلها ]

**الملكة** : أعد إلى قلبى بقبلة ثانية ! ليس من الخير

أن تحرمنى قلبى وأن تقتل قلبك !

أما الآن بعد استرداده منك ، فلك أن ترحل

حتى أحاول أن أقتله بآثأتى ! ١٠٠

**ريتشارد** : إننا نتيح للحزن أن يلهو ويعربد بهذا التأخير الأحمق

: فلنقل الوداع من جديد ، وليكمل الأسى روايتنا !

[ يخرج الجميع ]

## المشهد الثاني

[ قصر دوق يورك ]

[ يدخل دوق يورك والدوقة زوجته ]

- الدوقة** : كنت وعدتني باستكمال قصة قدوم ابني عمي\* إلى لندن ! وكنت توقفت عندما بكيت أثناءها !
- يورك** : وأين توقفت ؟
- الدوقة** : عند اللحظة المريعة التي رويت فيها كيف قام الرعاع والسفلة بإلقاء التراب والقاذورات من نوافذ الطوابق العليا على رأس الملك ريتشارد
- يورك** : أذكر ذلك ! وعندها جاء الدوق ، بولينبروك العظيم ، على صهوة جوادٍ مقدامٍ ذى خيلاء كأنما كان يعرف راكبه الطموح وسار بخطوات متتلة تنم عن كبرياء والألسنة تصيح وتهتف « حفظك الله يا بولينبروك ! » وكأما النوافذ نفسها كانت تنطق ! وما أكثر وجوه الشيوخ والشباب التي كانت تتطلع شاخصة إليه من كل شباك وكل كوة ، ترجو أن تشاهد مُحياه وكانت جميع الجدران مزدانة بالتصاوير التي تهتف بصوت واحد « رعاك عيسى ! ومرحبا بك يا بولينبروك ! » وهو يتلفت

\* تقصد ابني أخيها .

- يمنة ويسرة ، ويخفض رأسه العارى  
وينحنى حتى دون مستوى رأس جواده  
ويقول لهم « أشكركم يا أبناء وطنى »  
وظل يكرر ذلك حتى مر موكبهُ ومضى !  
: وا أسفا على ريتشارد المسكين ! أين كان موكبهُ ؟  
: عندما يغادر ممثل بارع خشبة المسرح  
تتحول عيون النظارة دون اكتراث  
إلى من يدخل بعده ، ويصبح كل ما قاله  
ثرثرة مملّة - فهكذا كان شأن عيون الناس  
التي تجهمت لرؤية ريتشارد ، وحدجته بازدراء أكبر !  
لم يهتف أحد 'حفظه الله !'  
ولم يهلل لسان واحد فرحاً وترحيباً بعودته لوطنه  
بل كان الترابُ يلقى على رأسه المقدسة  
وكان يزيحه بيد الحزن الشريفة النبيلة  
وفى وجهه تتصارع الدموع والبسمات  
وهى أوسمة الأسى والصبر  
ولولا أن الله أضفى على قلوب الناس قسوة الفولاذ ،  
لغاية عليا لا يعلمها إلا الله ، لذابت تلك القلوب حتماً  
ولأشفق عليه المتوحشون أنفسهم .  
ولكنَّ لله يدًا فى هذه الأحداث ، ولا بد أن نقبل  
مشيئته العليا ونطمئن إلى قضائه ونرضى به .  
فلقد أقسمنا الآن على أن نكون من رعايا بولينبروك

الدوقة  
يورك



٤٠ وسوف أقر إلى الأبد بسلطانه الملكى وأبجله .  
[ يدخل أوميرل ]

**الدوقة :** ها قد أتى ولدى أوميرل !

**يورك :** كان لقبه أوميرل ، ولكنه فقد اللقب

بسبب ولائه لريتشارد

وعليك يا سيدتى أن تناديه اليوم باسم رتلاند !

وقد قطعت على البرلمان عهداً بضمان ولائه

٤٥ واستمرار إخلاصه للملك الجديد

**الدوقة :** مرحبا يا ولدى ! حدثنى عن أزهار البنفسج التى

انتشرت اليوم على الروابى الخضراء

لفصل الربيع الجديد !\*

**أوميرل :** لا أعرف يا سيدتى ولا أحرص على معرفة أحد !

ويعلم الله أننى لا أكثرث إن أصبحت منهم أم لا !

**يورك :** خذ الحذر إذن فى ظل هذا الربيع الجديد

حتى لا يحصدك المنجل قبل ينوعك !

وما أنباء أوكسفورد ؟ أما زالت تقام فيها

مباريات رياضة الفروسية ؟

**أوميرل :** نعم يا مولاي حسبما أعلم

**يورك :** وأعلم أنك ستشارك فيها !

**أوميرل :** أرجو ذلك إن شاء الله !

\* كناية عن المقربين إلى الملك الجديد ، والمعنى المضمّر هو 'التملقون' والمداهنون . والإشارة إلى الربيع مرتبطة بصورة الشمس المقترنة بالملك .

- يورك** : ما هذا الشيء المختوم البارز من فتحة صدرك ؟ \*
- اوميرل** : إنه لا شيء يا سيدى !
- يورك** : إذن لا يهم إن رآه أحد ! لابد أن أقتنع !
- اوميرل** : لابد أن أقرأ المكتوب !
- ٦٠ : أتوسل إلى معاليك أن تعفينى  
فهى مسألة تافهة ، ولسبب ما  
لا أريد إطلاع أحد عليها !
- يورك** : ولسبب ما يا سيدى أصر على أن أطلع عليها . .  
فأنا أخشى - أخشى
- الدوقة** : ماذا تخشى ؟ ليس سوى عقد اتفاق عقده  
٦٥ بشأن الملابس الزاهية فى يوم الاحتفال !
- يورك** : عقد اتفاق مع نفسه ؟ وماذا يفعل بعقد  
يعقده مع نفسه ؟ أنت حمقاء يا زوجتى !  
دعنى أرى المكتوب يا ولد !
- اوميرل** : أتوسل إليك أن تعفينى ! لا يجوز الكشف عنها !
- يورك** : لابد أن أقتنع ! دعنى أطلع عليها أقول !
- ٧٠ : [ ينتزع الرسالة من صدره ويقرأها ]
- يورك** : خيانة عظيمة ! خيانة خبيثة ! وغد خائن ! عبد ذليل !
- الدوقة** : ما الخبر يا سيدى ؟
- يورك** : أنتم يا من بالمنزل ! أسرجوا حصانى !
- \* كانت الرسالة فى داخل قميصه ولا يبدو منها سوى الختم الشمعى

- ٧٥ : **الدوقة** فليرحمنا الله ! ما أبشع هذه الخيانة !
- : **يورك** عجباً ! ماذا حدث يا مولاي ؟
- : **يورك** أحضروا حذاء الركوب قُلْتُ ! أسرجوا حصاني !
- : **الدوقة** أقسم بشرفي وحياتي وإخلاصي أن أفصح هذا الوغد !
- : **الدوقة** ما الخبر ؟
- ٨٠ : **يورك** صمناً أيتها الحمقاء !
- : **الدوقة** لن أسكت ! قل لي ما الخبر يا أوميرل ؟
- : **أوميرل** اطمئني يا أمي الطيبة ! كل ما هنالك
- : **الدوقة** انني سأدفع حياتي ثمناً لذلك !
- : **الدوقة** تدفع حياتك ثمناً ؟
- : **يورك** أحضروا حذاء السفر ! سأمضي إلى الملك !
- [ يدخل الخادم حاملاً حذاءه ]
- ٨٥ : **الدوقة** اطرح الخادم أرضاً يا أوميرل ! يا ولدي المسكين !
- : أنت مذهول ! [ إلى الخادم ] امض أيها الوغد !
- : لا أريد أن أرى وجهك بعد اليوم !
- : **يورك** هات حذائي قلت لك !
- : **الدوقة** ويحك يا يورك ! ماذا تريد أن تفعل ؟
- : أفلا تتستّر على جريرة ابنك ؟ هل لدينا غيره ؟
- ٩٠ : وهل يُحتمل أن نُنجب سواه ؟ ألم يسكر زمن إنجابي
- : بخمر الزمن ؟ أتريد أن تقطف ابني الوحيد
- : من شجرتي العجوز ، وتحرمني لقب الأم السعيد ؟
- : ألا يشبهك ؟ أليس من صُلبك ؟

- يورك** : أيتها الحمقاء المجنونة !  
 كيف تريدان إخفاء هذه المؤامرة السوداء ؟ ٩٥  
 لقد أقسم اثنا عشر منهم أثناء القربان المقدس  
 ووقعوا على اثنتى عشرة نسخة من وثيقة القسم  
 بقتل الملك فى أكسفورد
- الدوقة** : لن يشارك فيها ! سوف نبقى هنا  
 فلا يكون ضالعاً فيها !
- يورك** : إليك عنى أيتها الحمقاء ! لو كان ولدى عشرين مرة ١٠٠  
 لفضحت أمره !
- الدوقة** : لو كنت تأملت عند وضعه مثلى  
 لزادت شفقتك عليه ! لكننى أعرف ما يدور بخلدك  
 فأنت تشك فى إخلاصى لك ،  
 وتظن أنه نَعْلٌ وليس من صُلْبِكَ ! ١٠٥  
 إياك أن تظن ذلك يا يورك الحبيب ،  
 يا زوجى المحبوب !  
 لم يشبه ولدٌ أباه مثلما يشبهك ابنك !  
 بل إنه لا يشبهنى ولا يشبه أىّ أقربائى  
 ومع ذلك أحبه !
- يورك** : أفسحى الطريق أيتها المشاكسة !
- [ يخرج يورك ]
- الدوقة** : اتبعه يا أوميرل ! اركب جواده وانطلق مسرعاً ١١٠  
 حتى تصل قبله إلى الملك ، واطلب الصفح منه

قبل توجيه الاتهام ! لن أتأخر طويلاً عنك .  
 قد أكون عجوزاً لكنني لا شك أستطيع الاسراع  
 مثل يورك ! وسأظل جاثية أمام بولينبروك  
 ولن أنهض حتى يعفو عنك ! هيا ! انطلق !  
 [ يخرج الجميع ]

### المشهد الثالث

[ غرفة في القصر الملكي - يدخل بولينبروك ، ملكاً ، ومعه

بيرسى ولوردات آخرون ]

**بولينبروك :** هل هناك أنباء عن ولدي المسرف ؟  
 لم أره منذ ثلاثة شهور كاملة ! لو كان فوقنا  
 طاعون يتهددنا ، فإنه ذلك الطاعون !\*  
 أدعو الله أيها السادة أن نعثر عليه .  
 ٥ ابحثوا عنه في حانات لندن ، إذ يُقال  
 إنه يختلف إليها كل يوم مع رفقاء السوء  
 بعض المنحليين والفاسقين ، الذين لا يتورعون ،  
 فيما يقال ، عن التربص في الأزقة الضيقة  
 بالعسس لضربهم ، وبالمسافرين لسرقة نقودهم .  
 ١٠ والعجيب أن يرى هذا الصغير الطائش المخنث  
 شرفاً في مؤازرة هذه الصحبة المنحلة !

\* إشارة إلى نبوءة ريتشارد في ٨٦/٣ - ٨٧ ، ولما كان العقاب بالطاعون مرسلأ من السماء ، فهو «معلق» فوق الرؤوس ، ويسقط على البشر !

- بيرسى** : لقد قابلت الأمير يا مولاي منذ يومين تقريباً  
وأخبرته بالمباريات التى ستقام فى أوكسفورد
- بولينبروك** : [ ساخراً ] وماذا قال لك البطل الصغير ؟ ١٥
- بيرسى** : قال إنه سيقصد حى الدعارة  
ويلتقط قفاز إحدى الساقطات  
فيرتديه دليل حب ومودة ، ثم يستعين به  
فى طرح أشجع الفرسان عن ظهر جواده !
- بولينبروك** : فاسق ميثوس منه ! لكننى ألمح رغم ذلك ٢٠  
بارقة أمل ، بل بوارق خير إذا بلغ أشده واستوى !  
ولكن من ذاك القادم ؟  
[ يدخل أوميرل فى شبه ذمول ]
- أوميرل** : أين الملك ؟
- بولينبروك** : ما معنى هذه النظرات الزائغة فى عين ابن عمى ؟
- أوميرل** : فليحفظ الله معاليكم ! أتوسل إلى جلالتم ٢٥  
أن أحادث معاليكم على انفراد .
- بولينبروك** : فليخرج الجميع ! وسوف ننفرده به !  
[ يخرج بيرسى واللوردات ]
- أوميرل** : ما شأنك يا ابن عمى ؟ تكلم !  
ستظل ركبته على الأرض
- [ يركع ]
- ويظل لسانى فى سقف حلقى ، ٣٠  
حتى أنال الصفح ثم أنهض وأتكلم !

- بولينبروك** : هل كنت تنتوى الإساءة فحسب أم اقترفتها ؟  
 إن كانت الأولى ، فمهما تكن جسامتها ،  
 فسوف أعفوها حتى يصفو قلبك لى وأظفر بودك !
- أوميرل** : اسمح لى إذن أن أغلق الباب بالمفتاح  
 حتى لا يدخل علينا أحد قبل انتهائى من روايتى !
- بولينبروك** : لا بأس !
- [ يغلق أوميرل الباب بالمفتاح ]
- [ يدق يورك الباب ويصيح من الخارج ]
- يورك** : حذار يا مولاي واحترس ! لديك خائن فى حضرتك !
- بولينبروك** : يا لك من وغد ! سيفى المسلول سيحمينى منك !
- [ يستل سيفه ]
- أوميرل** : لا تسرع بالتأثر يا مولاي . . فلا خوف عليك منى !
- يورك** : [ من الخارج ] افتح الباب أيها الملك الغافل المغفل !  
 هل يدفعنى سوى الحب فى التطاول عليك بهذه  
 الألفاظ ؟  
 افتح الباب وإلا كسرتة !
- [ يدخل يورك ]
- بولينبروك** : ما الخبر يا عمى ؟ تكلم !
- استرد أنفاسك أولاً ! قل ما مدى اقتراب الخطر  
 حتى نحمل السلاح لمواجهة !
- يورك** : [ منقطع الأنفاس ]  
 اقرأ المكتوب هنا حتى تكتشف الخيانة !

- فأنا ألهم من فرط العجلة ولا أستطيع الكلام !
- ٥٠ **اوميرل** : تذكر وأنت تقرأ ما وعدتني به  
لقد أعلنت تويتي فتجاهل اسمي المكتوب !  
فقلبي يناقض توقيع يدي
- يورك** : بل كان حليقاً له أيها الوغد قبل الكتابة  
لقد انتزعت الوثيقة من صدر الخائن أيها الملك  
٥٥ وهو يتوب الآن بسبب الخوف لا الحب  
فلتنس وعدك بالاشفاق عليه ، وإلا غدا الاشفاق  
ثعباناً يلدغ صدرك .
- بولينبروك** : يا للمؤامرة الشنيعة الجسورة الطائشة !  
ويا لك من أب مخلص لولد خائن !  
٦٠ يا لك من نبع صافٍ نقى فضي  
سال منه هذا الجدول في مسايل كدرة  
فعاقت تدفقه ولوثت مجراه !  
إن الإفراط في الخير ينقلب إلى شر  
وفرط خيرك سوف يحو هذه الوصمة المهلكة  
٦٥ التي أصابت ابنك الذي انحرف مساره !\*
- يورك** : إذن تصبح فضيلتي قوادة لرديلته  
ويُهدر شرفي بأيدي الخزي والعار  
شأن الأبناء المسرفين الذين يهدرون ذهب آبائهم !  
لا ! لن ينجو شرفي إلا إن هلك عاره

\* صورة الجدول مستمرة .



٧٠. وسأحيا في خزي يكمن في عاره  
إن وهبته الحياة قتلتنى ! أنفاسُ حياة الخائن  
إزهاقُ حياة المُخلص !
- الدوقة :** [ تصيح من الخارج ] مولاي ! يا من هناك ! بالله عليكم !  
افتحوا الباب !
- بولينبروك :** ما ذاك الصوت الحاد ؟ ما هذه التوسلات واللهفة ؟\*
- الدوقة :** [ من خارج المسرح ]  
إني امرأة وأنا عمك أيها الملك العظيم ! ألا تعرفني ؟ ٧٥  
كلمنى ! ارحمنى وافتح الباب ! أنا شحاذة !  
أتسوّل لأول مرة في حياتي !
- بولينبروك :** تحولنا من مشهد جاد إلى مهزلة  
عنوانها 'الملك والمتسولة' !\*\*
٨٠. قُم يا ابن عمي المُهاب ، فافتح لأملك الباب  
أعلم أنها تريدني أن أصفح عن جرم أنكى وأقبح !
- يورك :** إن صفحتَ استجابةً لأيّ سائل ،

\* الآيات من ٧٤ حتى ١٣٨ مقفاة ، والمشهد يسمى 'بمشهد الدوقة' ، ويقول النقاد إن القوافي والإرشادات المسرحية الخاصة بالركوع والتوسلات تجعله أقرب إلى المشهد الهزلي (الراقص gag) أو الحركي الصاخب (knockabout) الذي كان يقدم بعد المسرحية الرئيسية في المسرح الاليزابيثي . ومن المحال تجنب روح الفكاهة عند تقديم هذا المشهد على المسرح ولذلك يحذفه كثير من المخرجين وإن كان النقاد يرون أنه أساسي للتخفيف من حدة وقع المأساة ، وتقديم الحدث من زاوية أخرى (انظر المقدمة) .

\*\* يحتمل أن الملك يشير إلى الملك كوفيتو والمتسولة التي تزوجها (والمشار إليها في خاب سمي العشاق ١/٤ - ٦٥ - ٨٠) أو إلى قصيدة شعبية فكاهية كانت شائعة آنذاك .

- فسوف تزدهر بالصفح الرذائل  
عليك أن تبتر العضو الفاسد حتى يسلم سائر الجسم  
أما إن تركته فسوف ينشر فيه السقم !  
٨٥ [ تدخل الدوقة ]
- الدوقة** : أيها الملك لا تصدق هذا الرجل القاسى القلب  
فمن لا يحب نفسه ، لا يملك لغيره الحب !
- يورك** : أيتها المخبولة ! ماذا تفعلين هنا ؟  
هل يقوى صدرك العجوز على إرضاع مخائن آخر ؟
- الدوقة** : صبراً يا حبيبى يورك ! استمع إلىّ يا سيدى الكريم !  
٩٠ [ تركع ]
- بولينبروك** : انهضى يا عمتى الكريمة !  
**الدوقة** : أتوسل إليك أن أظل راکعة !  
بل سأسير على ركبتيّ بدلاً من قدميّ  
وأحبس نفسى فلا أرى ضوء النهار الذى يراه السعداء  
حتى تأتيني بالفرح ، أو تأمرنى أن أفرح  
بأن تعفو عن رتلاند ، ولدى الذى أخطأ !  
٩٥
- اوميرل** : وها أنذا أركع لتأكيد توسلات والدتي !  
[ يركع ]
- يورك** : وأنا أقابل ركوعهما بالركوع على ركبى المخلصة  
[ يركع ]
- الدوقة** : أهو جاد فى هذا الدعاء ؟ انظر إلى وجهه !

ليس فى عينيه دموع ، وتوسلاته هازلة !  
 كلماته تخرج من فمه ، وكلماتنا من القلب !  
 ورجاؤه هزيل ضعيف ، ولن يجاب إلى طلبه !  
 أما نحن فتتوسل بالقلب وبالروح وكل كيائنا  
 إن مفاصله المرهقة سوف تسعد بالنهوض  
 أما رُكبنا فسوف تظل راحة حتى تنغرس فى الأرض ! ١٠٥  
 وتوسلاته يغشاها النفاق الكاذب ، أما تضرعاتنا  
 فعامرة بالإخلاص الحق والصدق العميق .  
 وما دامت توسلاتنا قد رجحت كَفَّتْها على توسلاته  
 فأرجو أن تُثابَ بالرحمة  
 التى يستحقها الابتهاال الصادق .

**بولينبروك** : انهضى يا عمى الكريمة ! ١١٠

**الدوقة** : لا تقل 'انهضى' بل قل 'عفوت' أولاً ثم 'انهضى'

ولو كنت المريية التى تعلمك الكلام  
 لكنت كلمة العفو أول كلمة تتعلمها  
 وما عرفت الشوق لسماع تلك الكلمة إلا الآن .

قل عفوت أيها الملك . ولتعلمك الشفقة كيف تقولها! ١١٥  
 إنها كلمة قصيرة ، ولكن حلاوتها مديدة  
 ولا تليق بأفواه الملوك كلمة مثل 'العفو' .

**يورك** : [ ساخرًا ] قلها بالفرنسية يا مولاي وقل 'أعفى'

**الدوقة** : هل تعلمه العفو الذى يحق العفو ؟

آه منك يا زوجى القاسى ، يا غليظ القلب ، ١٢٠

- يا من تجعل الكلمة تنفى نفسها بنفسها !  
 [ إلى بولينبروك ] استعمل الكلمة بمعناها المعتاد هنا  
 فنحن لا نفهم التلاعب الفرنسى بمعانى الألفاظ  
 لقد بدأت عينك تتكلم - فاجعل لسانك مكانها  
 ١٢٥ أو فاغرس أذنك فى قلبك الشفوق  
 حتى تسمع شكوانا وتوسلاتنا التى نفذت إليه  
 وحتى تدفعك الشفقة إلى النطق 'بالعفو' !  
**بولينبروك** : انهضى يا عمى الكريمة !  
**الدوقة** : أنا لا أتوسل كى أنهض بل حتى أرجو العفو !  
**بولينبروك** : عفوت عنه ، وأرجو العفو من الله  
 ١٣٠ **الدوقة** : ما أهنأ حصاد ركبتى الجاثية !  
 لكن الخوف يعتصرنى : قلها مرة ثانية  
 فتكرار النطق بالعفو لا يضاعفه بل يؤكد  
**بولينبروك** : من كل قلبى عفوت عنه  
**الدوقة** : إله على الأرض أنت !\*  
 ١٣٥ **بولينبروك** : أما عن صهرنا الأمين\*\* ورئيس الدير  
 وباقى عصابة المتآمرين ، فسوف يقفوا الهلاك آثارهم !  
 وأرجوك يا عمى الكريم أن تساعد فى تدبير  
 فرق بحث منفصله ، وأن تأمرها بالسير إلى أوكسفورد

\* هذه هى نهاية المشهد الهزلى ، وهى ساخرة خصوصاً فى إطار الحجة التى ساقها الأسقف عن 'قدسية' الملك ( ١٢٥ / ١ / ٤ - ١٢٨ ) . أما هذه العبارة فهى كليشيه أى عبارة اصطلاحية تفيد أو تصف الرحماء .  
 \*\* بلهجة ساخرة مريرة !

والعثور على هؤلاء الخونة أينما يكونوا .  
 أقسم أن أحرمهم الحياة فى هذا العالم  
 وأن أحاسبهم حالما أعثر عليهم .  
 الوداع يا عمى ، ووداعاً يا ابن عمى أيضاً !  
 لقد أحسنت والدتك فى التشفع لك  
 عسى أن تثبت إخلاصك !  
 تعال يا ولدى المشاغب !  
 أدعو الله أن يصلح حالك !

**الدوقة**

[ يخرج الجميع ]

### المشهد الرابع

[ يدخل إكستون وبعض الخدم ]

**إكستون** : ألا تذكر ما قاله الملك ؟ ألا تذكر كلماته :  
 'أما من صديق يخلصنى من هذا الخوف الحى ؟'  
 ألم يقل ذلك ؟  
**الخدم** : كانت هذه كلماته على وجه الدقة .  
**إكستون** : 'أما من صديق ؟' - قالها مرتين  
 وأكدها بتكرارها - هل تذكر ذلك ؟  
**الخدم** : أذكره يا سيدى .  
**إكستون** : وكان يحدق فى بامعان وهو يتكلم  
 كأنما ليقول 'ليتك كنت الرجل الذى  
 ينزع هذا الرعب من قلبى' !

ومعنى 'الخوف الحى' هو الملك المقيم فى بومفريت !  
 هيا بنا ! أنا صديق الملك ، وسوف أخلصه من عدوه !  
 [ يخرجون ]

### المشهد الخامس

[ قلعة بومفريت - غرفة مظلمة - يدخل الملك ريتشارد ]

**ريتشارد** : كنت أنظر فى الموازنة بين هذا السجن  
 الذى أعيش فيه وبين العالم ،  
 فلم أستطع ، لأن العالم حافل بالبشر  
 ولا يعيش سوى بين هذه الجدران !  
 ولكن لا بأس من المحاولة .  
 سأقول إن عقلى قد تزوج من روحى\*  
 وإن زواجهما أنجب أجيالاً ما فتئت تتكاثر من الأفكار  
 وإن هذه الأفكار تعمر هذا العالم الصغير  
 بأمشاج مختلطة تماثل سكان العالم الكبير  
 إذ لا يرضى الفكر ولا يهنأ أبداً\*\*  
 أما الفكر السامى ، مثل التفكير فى المسائل الإلهية ،

\* الأصل يقول : « إن عقلى بمثابة الزوجة التى تزوجها رجل هو روحى ، وإن الروح هى الأب ، وأن هذين أنجبا ذرية ما فتئت تتكاثر . . . » ولكن صعوبة التأنيث والتذكير فى العربية تحول دون وضع صياغة مقبولة . وليس للتذكير والتأنيث دلالة خاصة فى النص .  
 \*\* يقول الشراح إن الفكر هنا معناه طاقة الذهن الخلاقة ، المستمدة مما أودعه الله فى الإنسان من قدرة على التحليل المنطقى وإصدار الأحكام الأخلاقية ، ولذلك فهو مستاء ساخط دائماً .

فهو دائماً ما يصطدم ببواعث الشك والتردد  
 وهو يقيم التناقض بين الكلمة والكلمة -  
 ١٥ والمثال على ذلك قوله « دعوا الأولاد يأتون »\*  
 المتبوعة بقوله « إن مرور جمل من ثقب إبرة  
 أيسر من دخول غنى إلى ملكوت الله »\*\*  
 والأفكار الطامحة إلى مغايم الدنيا  
 ترسم أوهاماً مُحالة : فقد تدفعنى إلى أن أتصور  
 ٢٠ أن أظفارى الضعيفة الهزيلة تستطيع أن تشق لى طريقاً  
 فى الضلوع الصخرية لهذا العالم القاسى ،  
 أى فى الجدران الصلبة لهذا السجن ،  
 ولكنها تعجز فتموت من الإحباط .  
 وأفكار القناعة والرضى\*\*\* تقول لصاحبها عزاءً  
 وسلوى ، إنه ليس أول من استعبدته ربة الحظ ،  
 ٢٥ ولن يكون الأخير ، فهو مثل الشحاذ الغبىّ

\* قوله أى المسيح ، والعبارة من إنجيل متى ( الترجمة العربية المعتمدة ) ١٤/١٩ وإنجيل لوقا ١٦/١٨ .  
 \*\* متى ٢٤/١٩ ( ونظائرها فى مرقس ٢٥/١٠ ولوقا ٢٥/١٨ ) وانظر قوله تعالى فى سورة الأعراف  
 ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ خِيَابِ ﴾ ( ٤٠ ) . وريتشارد يقصد أن ثمة تناقضاً بين :  
 إمكان دخول الجنة وعدم دخولها .  
 \*\*\* المقصود هو الصبر باعتباره من الفضائل التى تدعو إليها المسيحية ، وهو هنا يقابل بين 'عدم الرضى'  
 فى البيت ١١ وبين الرضى بصفته مثلاً أعلى .

الذى قيدت قدماه فى الحباسة الخشبية\* ،  
 فأخذ يعلّل نفله ويبرر عاره قائلًا إن الكثيرين  
 قد سبقوه إليها ، وسوف يعاقبون هذا العقاب !  
 فكأن فى ذلك تلرية وراحة ، إذ يلقي بأحمال تعاسته  
 على كواهل من سبقوه فى احتمالها . ٣٠  
 وهكذا يجتمع فى ذاتى عدة أشكاص  
 ليس بينهم قانع بحاله ! فأنا ملكٌ أحيانًا  
 ولكن ضروب الخيانة تجعلنى أتمنى أن أصبح شحاذًا  
 فأغدو شحاذًا على الفور ! ثم يقنعنى الفقر المدقع  
 أن حال الملك أفضل ، فأتحوّل إليه ، ٣٥  
 ولكننى لا ألبث أن أرى أن بوليتبروك  
 قد سلبنى الملك ، وسرعان ما أستحيل إلى عدم !  
 لكننى مهما أكن ، ومهما يكن أى إنلان  
 من بنى البشر ، فلن يلعبه شىء\* أو يرضيه ٤٠  
 حتى تأتية راحة العدم !

[ تعزف الموسيقى ]

هل أسمع موسيقا ؟ اضبطوا الإيقاع وحافظوا  
 على التناسب الزمنى ! لا يفقد الموسيقى العذبة  
 مثل كلر النمط الزمنى وتجاهل التناسب !

\* هى هيكّل من الخشب توضع فيها قدما المذنب بعض الوقت عقابًا على جنحة ما ، وقد توضع فيها يداه أو عنقه . انظر الملك لير لشيكسبير ترجمة محمد عنانى ، هيئة الكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ١٢٣ .



- ٤٥ وهو ما ينطبق على موسيقى حياة الإنسان !  
 إن أذننى الآن رهيفة تدرك النشار  
 أو كسر النمط الزمنى فى الوتر الناشز !  
 لكنها عجزت عن إدراك الزمن الحقيقى الذى انكسر  
 وكان لازماً للتوافق بين دولتى وزمانى !  
 إننى أهدرت زمانى ، وها هو ذا يهدرنى !  
 بل أحالنى إلى ساعة رقمية له ،  
 ٥٠ الدقائق فيها هى أفكارى !  
 وتكُّ الثوانى فيها هو أتاتى  
 ووجهها عينى الساهرة ، وأصبعى هو عقرب الساعة  
 الذى يدور فيها دائماً ليمسح الدموع  
 ٥٥ وهى ساعة دقاقة يا سيدى ! \* تدق كل ساعة  
 ودقاتها العالية هى آهاتى الصاخبة الهادرة  
 التى تقرع قلبى وهو ناقوس الساعة  
 فأعرف الوقت ! وهكذا فالأنات والدموع والآهات  
 تبين الدقائق والأوقات والساعات !  
 ولكن بولينبروك هو الذى يشهد فى فرح وزهو  
 سرعة انقضاء زمنى ، بينما أقبع عاطلاً هنا  
 ٦٠ كالدمية التى تظهر لتدق الساعة من أجله !

\* ريتشارد يخاطب نفسه .

هذه الموسيقى تدفعنى إلى الجنون !  
يجب أن تتوقف فوراً  
فإذا كانت الموسيقى قد أعادت للمخبولين صوابهم\*  
فيبدو أنها ستحيل العقلاء إلى مجانين فى حالتى !  
ولكن فليبارك الله قلب من يقدمها لى  
فهى دليل على الحب ، وتقدير الحب إلى ريتشارد ٦٥  
جوهرة نادرة فى زمن يكرهه فيه العالم كله !  
[ يدخل سائس الخيول ]

**السائس**

**ريتشارد**

: تحية لك أيها الأمير الملكى !  
: شكراً يا قرينى الشريف ! لقد أضفت عشرة بنسات  
إلى قيمة أدنى العُمَلتين - 'الملكى' و 'الشريف' \*\* !  
من أنت ؟

وكيف أتيت إلى هنا حيث لا تخطر قدم إنسان  
سوى ذلك الكلب الكئيب الذى يأتى بالطعام ٧٠

**السائس**

ليبقى تعاستى فى قيد الحياة !  
: كنت سائساً فقيراً فى اسطبلاتك أيها الملك - أقصد

\* لجأت كورديليا إلى الموسيقى فى مسرحية الملك لير فى محاولة لشفاء والدها - انظر ٢٤/٧/٤  
والآيات التالية ، كما يشير شيكسبير إلى قوة الموسيقى على الشفاء فى بيركليز ( ٩١/٢/٣ ) وفى  
العاصفة ٣٩٢/٢/١ - ٣٩٤ وفى تاجر البندقية يتحدث لورنزو عن قوة الموسيقى بصفة عامة .  
\*\* التورية هنا هى أن 'الملكى' ( أو 'الريال' وهى كلمة توازى 'رويال' أى ملكى ) كان عملة قيمتها  
نصف جنيه استرلينى ، وكان 'الشريف' ( وأقرب مثال قريب منه هو 'الأشرفى' فى تاريخنا )  
عملة توازى ثلث جنيه تقريباً ، بحيث يكون الفارق بينهما ١٢ بنساً فقط ، والمعنى المضمّر هو أن  
ريتشارد لم يعد ملكياً بل شريكاً وحسب . وكان النقاد ينسبون هذه التورية فى القرن الثامن عشر  
إلى الملكة اليزابيث - وربما نقلها شيكسبير عنها ( إن لم يكن ابتدعها ) .

عندما كنتَ ملكًا ! كنتَ مسافرًا إلى يورك ولكننى  
بذلت قصارى جهدى للحصول على الإذن بأن آتى هنا  
لمشاهدة وجه سيدى الملكى السابق ! ولكم أوجع قلبى ٧٥  
أن أشهد الموكب فى يوم التتويج  
وهو يسير فى شوارع لندن !  
كان بولينبروك يركب الجواد العربى الأصهب  
واسمه 'البربرى'  
الذى كثيرًا ما ركبته يا مولاي والذى كنت أحرص

ريتشارد : على رعايته خير رعاية ! ٨٠

هل كان يركب 'البربرى' حقًا ؟  
قل لى يا صديقى الكريم

الساش

: كيف سار به الفرس ؟

ريتشارد

: كان يسير فى خيلاء كأنما يزدري الأرض !

كان فخورًا بوجود بولينبروك على ظهره ؟  
إن ذلك الجواد المشاكس قد أكل الخبز من يدى الملكية ٨٥  
وكانت هذه اليد تربت عليه فيملؤه الزهو !  
ألم يكن الأحرى به أن يتعثر وأن يكبو  
إذ مأل الكبر السقوط ! ألم يكن الأحرى به  
أن يكبو فيكسر رقبة ذلك المتكبر  
الذى اغتصب صهوته ؟

لا تؤاخذنى يا حصانى ! فلماذا ألومك ٩٠  
وقد فطرك الله على أن ترهب الإنسان

وتحمل أثقاله ؟ لم يخلقني الله حصاناً  
لكنني أحمل الأثقال مثل الحمار ! فبولينبروك  
ينخسني بالمهماز ، ويلهب ظهري بالسوط ،  
ويرهق مفاصلي  
وهو يتمايل ويميس عجباً وخيلاء !

**السجان :** [ يدخل السجان ومعه الطعام ]

[ إلى السائس ]

**ريتشارد :** اخرج أيها الرجل فقد انتهت مدة الزيارة . ٩٥  
امض الآن إن كنت تحبني .

**السائس :** فليعرب قلبي عما لا يجسر لساني على قوله !

**السجان :** [ يخرج ]

**ريتشارد :** ألا تفضلت بتناول الطعام ؟

**السجان :** ألن تذوقه أولاً على نحو ما جرت العادة ؟

**ريتشارد :** لا أجرو يا سيدي لأن السير بيرز إكستون ١٠٠  
قد جاء لتوه من عند الملك وأمرني بعكس ذلك .

[ ثائراً ] لعنة الله على هنري لانكاستر وعليك !

**السجان :** لقد فسد مذاق الصبر ولم أعد قادراً عليه !

النجدة ! النجدة ! النجدة !

[ يضرب السجان ]

**ريتشارد :** [ يدخل القنلة وهم إكستون وبعض الخدم على وجه السرعة ]

ما هذا ؟ ماذا يقصد الموت بهذا الاعتداء الفظ ؟\* ١٠٥

\* ربما كان ريتشارد يقصد أن الموت بالسهم أقل فظاظة - حسبما يقول الشراح .

أيها الوغد ! إن يدك تحمل آلة الفتك بك

[ يختطف السيف من يد الخادم

ويطعنه به ]

أما أنت فاذهب فاشغل بقعة أخرى في الجحيم !

[ يقتل خادماً آخر ، وفي هذه اللحظة

يضر به إكستون ضربة أو يطعنه طعنة

يسقط بعدها على الأرض ]

إن هذه اليد سوف تحترق في نار لا يخمده أوارها

بعد أن اعتدت على شخصي . . وجعلتني أترنح !

١١٠ إن يدك الضارية يا إكستون لوئت بالدم الملكي

أرض الملك . [ في حشجة الموت ] اصعدى إلى

السماء يا روحى !

اصعدى فمكانك في الملأ الأعلى . . وطين لحمى

ودمى يهبط . .

يهبط . . ويهبط ويموت !

[ يلفظ آخر أنفاسه ]

إكستون :

كان عامراً بالشجاعة والدم الملكي معاً !

ولقد سفكت الشجاعة مع دمه ! لكم أتمنى

١١٥ أن أكون قد صنعت خيراً ! إذ عاد الشيطان

الذى رَينَ لى تلك الفعلة

ليقول إن مآلها جهنم !

سوف أحمل الملك الميت إلى الملك الحى !

وعليكم أن تحملوا الآخرين للدفن هنا !

[ يخرجون ]

### المشهد السادس

[ دوى الأبواق ، يدخل بولينبروك ويورك ولفيف من اللوردات

والأتباع ]

**بولينبروك** : اسمع يا عمى يورك الكريم ! يقول آخر ما وصلنا  
من أنباء إن الثوار قد أحرقوا بلدة سيستر\*  
فى مقاطعة جلوسترشير ، لكننا لم نعرف إن كانوا  
قد أسروا أو قتلوا .

[ يدخل نورثمبرلاند ]

مرحبا يا نورثمبرلاند ! ما وراءك من أنباء ؟  
**نورثمبرلاند** : أبدأ أولاً بالإعراب عن غامر السعادة  
لدولتكم المقدسة\*\*  
ثم أتطرق للأمر المهم وهو أننى أرسلت إلى لندن  
رؤوس سولزبرى ، وسبنسر ، ويلنت ، وكنت .  
وسوف تجد تفاصيل القبض عليهم وإعدامهم  
فى هذه الورقة - هنا !

**بولينبروك** : نشكرك يا بيرسى الشريف على جهودك

\* هى بلدة سايرنيستر الحالية ، وكانت تكتب بشتى الصور آنذاك منها سيرسيستر وسيرسيتر ( على  
نحو ما ورد فى تاريخ هوليشيد ) .  
\*\* 'دولة' هنا تعبير مقصود ، فهو يحى التاج ، أو صاحب الدولة ، وكان مثل هذا اللقب معروفاً فى  
مصر إبان العصر الملكى .

وسوف نكافئك المكافأة الجديرة بقدرك الرفيع !

[ يدخل اللورد فيتزواتر ]

**فيتزواتر** : مولاي ! لقد أرسلت من أوكسفورد إلى لندن

رأس بروكاس ورأس السير بينيت سيللي

وهما اثنان من الخونة الخطيرين الذين تأمروا

على الإطاحة بعرشك في أوكسفورد .

**بولينبروك** : لن ننسى جهودك يا فيتزواتر

فقدرك شريف ورفيع ، وأنا واثق من ذلك !

[ يدخل بيرسي وكارلايل ]

**بيرسي** : إن رأس المتآمرين ، وهو رئيس دير وستمنستر ،

لم يحتمل أثقال الأحزان والندم ووَحَزَ الضمير

فأسلم جسده للقبر .

ولكن كارلايل ما يزال **حيًا** ، وهو هنا

ينتظر حكم الملك

وتنفيذ عقابه على تكبره وعناده .

**بولينبروك** : هذا عقابك يا كارلايل : عليك أن تختار

مكانًا **خفيًا** ، كصومعة الناسك أو دير الرهبان ،

تزيد قداسته عن قداستك ، وتتمتع فيه بحياتك !

فإذا عشت مسالمًا ستموت سالمًا من كل أذى .

فأنت وإن كنت عدوًا لى من قديم

لم أبرح الملح فيه بوارق شرف عليا !

[ يدخل إكستون حاملًا نعثًا ]

- ٣٠ **إكستون** : أيها الملك العظيم ! إني أقدم إليك فى هذا النعش  
رجلاً كنتَ تخافُه فأجهزتُ لك عليه ! فى هذا النعش  
يرقد أعتى أعدائك الألداء ، ريتشارد أمير بوردو ،  
خامد الأنفاس ، وقد أحضرته إليك .
- بولينبروك** : لا أشكرك على ذلك يا إكستون !
- ٣٥ لقد ارتكبت يدك الفتاكة عملاً مخزياً  
جنل بالعار رأسى وأراضينا الذائعة كلها !
- إكستون** : لقد فعلتُها بناء على أمرك يا مولاي  
العمادر من شفتيك !
- بولينبروك** : لا يحب السم من يحتاجون إلى السم !  
وذاك شأنى معك ! فأنا وإن كنت رغبت فى موته
- ٤٠ إلا إننى أكره القاتل ، وأحب القتل !  
فليكن وخز الضمير جزاءك على فعلتك  
ولن تحظى منى بكلمة طيبة أو فضل ملكى  
اذهب مع قابيل فاستتر بظلمات الليل  
ولا تكشف عن وجهك نهاراً أو فى أى ضوء آخر
- ٤٥ أعلن لكم أيها اللوردات أن روحى يغشاها الأسى  
لأن أرضى ارتوت بالدم حتى ينمو فرعى !  
تعالوا معى لنعى ما أنعى ، ولنلبس معاً  
ثياب الحداد والحزن السوداء !  
لسوف أقوم برحلة إلى الأرض المقدسة  
٥٠ حتى أغسل يدى الأثمة وأطهرها من هذا الدم



امشوا معى فى جنازته ، ولنشيعة إلى مثواه الأخير  
بالبكاء الصادق خلف هذا النعش  
ومن يرقد فيه ميتًا قبل أوانه

[ يخرجون ]

## النهاية



صورة بولينبرك بعد أن أصبح الملك هنري الرابع.

مطابع  
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٥٣٣٦ / ١٩٩٨  
I.S.B.N 977 - 01 - 5988 - 3